من بداية المجلد الرابع حتى ص 150
بسم الله الرحمن الرحيم

ثم دخلت سنة خمس وستين

ذكر مسير التوّابين وقتلهم

لما أراد سليمان بن صرد الخزاعي الشخوص سنة خمس وستين بعث إلى رؤوس أصحابه فأتوه فلما أهلّ ربيع الآخر خرج في وجوه أصحابه وكانوا تواعدوا للخروج تلك الليلة ، فلما أتى النخيلة دار في الناس فلم يعجبه عددهم ، فأرسل حكيم بن منقذ الكندي ، والوليد بن عصير الكناني فناديا في الكوفة : يا لثارات الحسين ، فكانا أوّل خلق الله دعا يا لثارات الحسين –، فأصبح من الغد وقد أتاه نحو مما في عسكره ، ثم نظر في ديوانه فوجدهم ستة عشر ألفاً ممن بايعه فقال : سبحان الله ما وافانا من ستة عشر ألفاً إلا أربعة آلاف فقيل له : إن المختار يثبط الناس عنك إنه قد تبعه ألفان فقال : قد بقي عشرة آلاف ، أما هؤلاء بمؤمنين ، أما يذكرون الله والعهود والمواثيق ، فأقام بالنخيلة ثلاثاً يبعث إلى من تخلف عنه فخرج إليه نحو من ألف رجل ، فقام إليه المسيب بن نجبة فقال : رحمك الله انه لا ينفعك الكاره ولا يقاتل معك إِلا من أخرجته النية فلا تنتظر أحداً وجدّ في أمرك قال : نعم ما رأيت ؛ ثم قام سليمان في أصحابه فقال : أيها الناس من كان خرج يريد بخروجه وجه الله والآخرة فذلك منا ونحن منه فرحمة الله عليه حياً وميتاً ومن كان إنما يريد الدنيا فوالله ما يأتي فيء نأخذه وغنيمة نغنمها ما خلا رضوان الله ، وما معنا من ذهب ولا فضة ولا متاع ما هو إلا سيوفنا على عواتقنا ، وزاد قدر البلغة فمن كان ينوي هذا فلا يصحبنا فتنادى أصحابه من كل جانب إنا لا نطلب الدنيا وليس لها خرجنا إنما خرجنا نطلب النوبة والطلب بدم ابن بنت رسول الله نبينا صلى الله عليه وسلم ، فلما عزم سليمان على المسير قال له عبد الله بن سعد بن نفيل : إني قد رأيت رأياً إن تكن صوابا فالله الموفق وإن يكن ليس صواباً فمن قبلي ، إنا خرجنا نطلب بدم الحسين وقتلته كلهم لا بالكوفة منهم عمر بن سعد ورؤوس الأرباع والقبائل فأين نذهب من هنا وندع الأوتار؟

فقال أصحابه كلهم : هذا هو الرأي فقال سليمان : لكن أنا لا أرى ذلك إن الذي قتله وعبى الجنود إليه وقال : لا أمان له عندي دون أن يستسلم فأمضي فيه حكمي هذا الفاسق ابن الفاسق عبيد الله بن زياد، فسيروا إليه على بركة الله فإن يظهركم الله عليه رجونا أن يكون من بعده أهون علينا منه ، ورجونا أن يدين لكم أهل مصركم في عافية فينظرون إلى كل من شرك في دم الحسين فيقتلونه ولا يغشون ، وإن تستشهدوا فإنما قاتلتم المحلين وما عند الله خير للأبرار ، إني لا أحب أن تجعلوا جدكم بغير المحلين ولو قاتلتم أهل مصركم ما عدم رجل أن يرى رجلاً قد قتل أخاه وأباه وحميمه ورجلاً يريد قتله فاستخيروا الله وسيروا ، وبلغ عبدالله بن يزيد ، وابراهيم بن محمد بن طلحة خروج ابن صرد ، فأتياه في أشراف أهل الكوفة ، ولم يصحبهم من شرك في دم الحسين خوفاً منه ، وكان عمر بن سعد تلك الأيام يبيت في قصر الإمارة خوفاً منهم ، فلما أتياه قال عبدالله بن يزيد : إن المسلم أخو المسلم لا يخونه ولا يغشه ، وأنتم إخواننا وأهل بلدنا ، وأحب أهل مصر خلقه الله إلينا ، فلا تفجعونا بأنفسكم ولا تنقصوا عددنا بخروجكم من جماعتنا ، أقيموا معنا حتى نتهيأ فإذا سار عدوّنا إلينا خرجنا إليه بجماعتنا فقاتلناه ، وجعل لسليمان وأصحابه خراج جُوخى(ا) إن أقاموا ، وقال ابراهيم بن محمد مثله ، فقال سليمان لهما : قد محضتما النصيحة واجتهدتما في المشورة ، فنحن بالله وله نسأل الله العزيمة على الرشد ولا نرانا إلا ساترين . فقال عبدالله : فأقيموا حتى نعبى معكم جريداً كثيفاً فتلقوا عدوكم بجمع كثيف ، وكان قد بلغهم إقبال عبيد الله بن زياد من الشام في جنود كثيرة فلم يقم سليمان ، فسار عشية الجمعة لخمس مضين من ربيع الآخر سنة خمس وستين فوصل دار الأهواز وقد تخلف عنه ناس كثير فقال : ما أحب أن تتخلفوا ولو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً إن الله كره انبعاثهم فثبطهم واختصكم بفضل ذلك .

ثم ساروا فانتهوا إلى قبر الحسين فلما وصلوا صاحوا صيحة واحدة فما رئي أكثر باكياً من ذلك اليوم فترحموا عليه وتابوا عنده من خذلانه وترك القتال معه وأقاموا عنده يوماً وليلة يبكون وتتضرعون وتترحمون عليه وعلى أصحابه ، وكان من قولهم عند ضريحه : اللهم ارحم حسيناً الشهيد ابن الشهيد ، المهدي ابن المهدي الصديق ابن

---

(1) في معجم البلدان 2 /79 1 : جوخا : بالضم والقصر وقد يفتح اسم نهر عليه كورة واسعة في سواد بغداد .

الصديق ، اللهم إنا نشهدك أنا على دينهم وسبيلهم وأعداء قاتليهم وأولياء محبيهم ، اللهم إنا خذلنا ابن بنت نبينا صلى الله عليه وسلم فاغفر لنا ما مضى منا وتسب علينا ، فارحم حسيناً وأصحابه الشهداء الصديقين ، وإنا نشهدك أنا على دينهم وعلى ما قتلوا عليه ، وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ، وزادهم النظر إليه حنقاً ، ثم ساروا بعد م ن كان الرجل يعود إلى ضريحه كالمودع له ، فازدحم الناس عليه أكثر من ازدحامهم على الحجر الأسود ، ثم ساروا على الأنبار ، وكتب إليهم عبدالله بن يزيد كتاباً منه : يا قومنا لا تطيعوا عدوّكم أنتم في أهل بلادكم خيار كلكم ، ومتى يصبكم عدوّكم يعلموا أنكم أعلام مصركم فيطمعهم ذلك فيمن وراءكم ، يا قومنا إنهم إنْ يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ، ولن تفلحوا إذاً أبداً ، يا قوم إن أيدتنا وأيديكم واحدة وعدونا وعدوكم واحد ، ومتى تجتمع كلمتنا على عدونا نظهر على عدونا ، ومتى تختلف تهن شوكتنا على من خالفنا ، يا قومنا لا تستغشوا نصحي ولا تخالفوا أمري أقبلوا حين يقرأ كتابي عليكم والسلام .

فقال سليمان وأصحابه : فقد أتانا هذا ونم ت في مصرنا ، فحين وطأنا أنفسنا على الجهاد ودنونا من أرض عدونا ما هذا برأي ، فكتب إليه سليمان يشكره وتثني عليه ويقول : إن القوم قد استبشروا ببيعهم أنفسهم من ربهم وإنهم قد تابوا من عظيم ذنبهم ، وتوجهوا إلى الله وتوكلوا عليه ورضوا بما قض الله عليهم ، فلما جاء الكتاب إلى عبدالله قال : استماتت القوم أول خير يأتيكم عنهم قتلهم والله ليقتلن كراماً مسلمين ، ثم ساروا حتى انتهوا إلى قرقيسيا على تعبية وبها زفر بن الحرث الكلابي قد تحصن بها منهم ولم يخرج إليهم ، فأرسل إليه المسيب بن نجبة يطلب إليه م ن يخرج إليه سوقاً فأتى المسيب إلى باب قرقيسيا فعرفهم نفسه وطلب الإِذن على زفر ، فأتى هذيل بن زفر أباه فقال : هذا رجل حسن الهيئة اسمه المسيب بن نجبة يستأذن عليك . فقال أبوه : أما تدري يا بني من هذا؟ هذا فارس مضر الحمراء كلها ، إذ عدّ من أشرافها عشرة كان أحدهم هو ، وهو متعبد رجل ناسك له دِين ائذن له ، فأذن له .

فلما دخل عليه أجلسه إلى جانبه وسأله فعرفه المسيب حاله وما عزموا عليه ، فقال زفر : إنا لم نغلق أبواب المدينة إلا لنعلم إيانا ترتدون أم غيرنا ، وما بنا عجز عن الناس وما نحب قتالكم ، وقد بلغنا عنكم صلاح وسيرة جميلة ، ثم أمر ابنه فأخرج لهم سوقاً وأمر للمسيب بألف درهم وفرس فرد المال وأخذ الفرس وقال : لعلي احتاج إليه

إذا عرج فرسي ، وبعث زفر إليهم بخبز كثير وعلف ودقيق حتى استغنى الناس عن السوق إلا أن كان الرجل يشتري سوطاً أو توباً ، ثم ارتحلوا من الغد وخرج إليهم زفر يشيعهم وقال لسليمان : إنه قد سار خمسة أمراء من الرقة هم الحصين بن نمير ، وشرحبيل بن ذي الكلاع ، وأدهم بن محرز ، وجبلة بن عبدالله الخثعمي ،وعبيدالله بن زياد ، في عدد كثير مثل الشوك والشجر ، فإن شئتم دخلتم مدينتنا وكانت أيدينا واحدة فإذا جاءنا هذا العدو قاتلناهم جميعاً ، فقال سليمان : قد طلب أهل مصرنا ذلك منا فأبينا عليهم ، قال زفر : فبادروهم إلى عين الوردة - وهي رأس عين -فاجعلوا المدينة في ظهوركم وتكون الرستاق والماء والمادة في أيديكم وما بيننا وبينكم ، فأنتم آمنون منه ، فاطووا المنازل فوالله ما رأيت جماعة قط أكرم منكم فإني أرجو أن تسبقوهم وإن قاتلتموهم فلا تقاتلوهم في فضاء ترامونهم وتطاعنونهم ، فإنهم أكثر منكم ولا آمن أن يحيطوا بكم فلا تقفوا لهم فيصرعوكم ، ولا تصفوا لهم فإني لا أرى معكم رجالة ومعهم الرجالة والفرسان ، بعضهم يحمي بعضاً ولكن القوهم في الكتائب والمقانب ، ثم بثوها فيما بين ميمنتهم وميسرتهم واجعلوا مع كل كتيبة أخرى إلى جانبها فإن حمل على احدى الكتيبتين رحلت الأخرى فنفست عنها ، ومتى شاءت كتيبة ارتفعت ومتى شاءت كتيبة انحطت ، ولو كنتم صفاً واحداً فزحفت إليكم الرجالة فدفعتم عن الصف انتقض فكانت الهزيمة ثم ودعهم ودعا لهم ودعوا له وأثنوا عليه ، ثم ساروا مجدين فانتهوا إلى عين الوردة فنزلوا غربيها وأقاموا خمساً فاستراحوا وأراحوا . وأقبل أهل الشام في عساكرهم حتى كانوا من عين الوردة على مسيرة يوم وليلة ، فقام سليمان في أصحابه وذكر الآخرة ورغب فيها ثم قال : أما بعد فقد أتاكم عدوكم الذي دأبتم إليه في السير آناء الليل والنهار فإذا لقيتموهم فأصدقوهم القتال واصبروا إن الله مع الصابرين ، ولا يولينهم امرؤ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة ، ولا تقتلوا مدبراً ولا تجهزوا على جريح ، ولا تقتلوا أسيراً من أهل دعوتكم إلا أن يقاتلكم بعد أن تأسروه فان هذه كانت سيرة علي في أهل هذه الدعوة ، ثم قال : إن أنا قتلت فأمير الناس مسيب بن نجبة ، فإن قتل فالأمير عبدالله بن سعد بن نفيل فإن قتل فالأمير عبدالله بن وأل ، فإن قتل فالأمير رفاعة بن شداد ، رحم الله امرأ صدق ما عاهد الله عليه .

ثم بعث المسيب في أربعمائة فارس ثم قال سِرْ حتى تلقى أول عساكرهم فشن عليهم الغارة فإن رأيت ما تحبه ط لا رجعت وإياك أن تترك واحداً من أصحابك أو

تستقبل آخر حتى لا تجد منه بدأً . فسار يومه وليلته ثم نزل السحر ؛ فلما أصبحوا أرسل أصحابه في الجهات ليأتوه بمن يلقون فأتوه بأعرابي فسأله عن أدنى العساكر منه فقال : أدنى عسكر من عساكرهم منك عسكر شرحبيل بن ذي الكلاع ، وهو منك على رأس ميل ، وقد اختلف هو والحصين ادعى الحصين أنه على الجماعة ، وأبى شرحبيل ذلك وهما ينتظران أمر ابن زياد . فسار المسيب ومن معه مسرعين فأشرفوا عليهم وهم غارون فحملوا في جانب عسكرهم فانهزم العسكر وأصاب المسيب منهم رجالاً فأكثروا فيهم الجراح وأخذوا الدواب ، وخلى الشاميون معسكرهم وانهزموا فغنم منه أصحاب المسيب ما أرادوا ، ثم انصرفوا إلى سليمان موفورين ، وبلغ الخبر ابن زياد فسرح الحصين بن نمير مسرعاً حتى نزل في اثني عشر ألفاً ، فخرج أصحاب سليمان إليه لأربع بقين من جمادي الأولى وعلى ميمنتهم عبدالله بن سعد ، وعلى ميسرتهم المسيب بن نجبة ، وسليمان في القلب ، وجعل الحصين على ميمنته جبلة بن عبدالله ، وعلى ميسرته ربيعة بن المخارق الغنوي . فلما دنا بعضهم من بعضَ دعاهم أهل الشام إلى الجماعة على عبد الملك بن مروان ودعاهم أصحاب سليمان إلى خلع عبد الملك وتسليم عبيد الله بن زياد إليهم ، وأنهم يخرجون من بالعراق من أصحاب ابن الزبير ثم يرد الأمر إلى أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم فأبى كل منهم . فحملت ميمنة سليمان على ميسرة الحصين والميسرة أيضاً على الميمنة وحمل سليمان في القلب على جماعتهم فانهزم أهل الشام إلى معسكرهم ، وما زال الظفر لأصحاب سليمان إلى أن حجز بينهم الليل فلما كان الغد صبح الحصين جيش مع ابن ذي الكلاع ثمانية آلاف أمدهم بهم عبيد الله بن زياد ، وخرج أصحاب سليمان فقاتلوهم قتالاً لم يكن أشد منه جميع النهار لم يحجز بينهم إلا الصلاة ، فلما أمسوا تحاجزوا وقد كثرت الجراح في الفريقين وطاف القصاص على أصحاب سليمان يحرضونهم ، فلما أصبح أهل الشام أتاهم أدهم بن محرز الباهلي في نحو من عشرة آلاف من ابن زياد فاقتتلوا يوم الجمعة قتالاً شديدا إلى ارتفاع الضحى . ثم إن أهل الشام كثروهم وتعطفوا عليهم من كل جانب ، ورأى سليمان ما لقي أصحابه فنزل ونادى : عباد الله من أراد البكور إلى ربه والتوبة من ذنبه فإلي، ثم كسر جفن سيفه ونزل معه ناس كثير وكسروا جفون سيوفهم ومشوا معه فقاتلوهم فقتلوا من أهل الشام مقتلة عظيمة وجرحوا فيهم فأكثروا الجراح ، فلما رأى الحصين صبرهم وبأسهم بعث الرجالة ترميهم بالنبل واكتنفهم الخيل

والرجال ، فقتل سليمان رحمه الله رماه يزيد بن الحصين بسهم فوقع ثم وتب ثم وقع ، فلما قتل سليمان أخذ الراية المسيب بن نجبة وترحم على سليمان ، ثم تقدم فقاتل بها ساعة ثم رجع ثم حمل فعل ذلك مراراً ثم قُتل رضي الله عنه بعد أن قتل رجالاً ، فلما قتل أخذ الراية عبدالله بن سعد بن نفيل وترحم . عليهما ثم قرأ { فمنهم من قضى نَحْبَهُ ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً}(ا) وحف به من كان معه من الأزد ، فبينما هم في القتال أتاهم فرسان ثلاثة من سعد بن حذيفة يخبرون بمسيره في سبعين ومائة من أهل المدائن ، وتخبرون أيضاً بمسير أهل البصرة مع المثنى بن مخربة العبدي في ثلاثمائة فسرّ الناس ، فقال عبدالله بن سعد : ذلك لو جاؤونا ونحن أحياء ، فلما نظر الرسل إلى مصارع إخوانهم ساءهم ذلك واسترجعوا وقاتلوا معهم ، وقتل عبدالله بن سعد بن نفيل قتله ابن أخي ربيعة بن مخارق ، وحمل خالد بن سعد بن نفيل على قاتل أخيه فطعنه بالسيف واعتنقه الآخر فحمل أصحابه عليه فخلصوه بكثرتهم وقتلوا خالداً ، وبقيت الراية ليس عندها أحد فنادوا عبدالله بن وأل فإذا هو قد اصطلى الحرب في عصابة مي ، فحمل رفاعة بن شداد فكشف أهل الشام عنه ، فأتى فأخذ الراية وقاتل ملياً ثم قال لأصحابه : من أراد الحياة التي ليس بعدها موت ، والراحة التي ليس بعدها نصب ، والسرور الذي ليس بعده حزن فليتقرب إلى الله بقتال هؤلاء المحلين الرواح إلى الجنة - وذلك عند العصر- فحمل هو وأصحابه فقتلوا رجالاً وكشفوهم ، ثم إن أهل الشام تعطفوا عليهم من كل جانب حتى ردّوهم إلى المكان الذي كانوا فيه وكان مكانهم لا يؤتى إلا من وجه واحد ، فلما نهان المساء تولى قتالهم أدهم بن محرز الباهلي فحمل عليهم في خيله ورجله فوصل ابن محرز إلى ابن وأل وهو يتلو{ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً}(2) الآية فغاظ ذلك أدهم بن محرز فحمل عليه فضرب يده فأبانها ثم تنحى عنه وقال : إني أظنك وددت أنك عند أهلك ، قال ابن وأل : بئسما ظننت والله ما أحب أن يدك مكانها إلا أن يكون لي من الأجر ما في يدي ليعظم وزرك ويعظم أجري . فغاظه ذلك أيضاً فحمل عليه وطعنه فقتله وهو مقبل ما يزول ؛ وكان ابن وأل من الفقهاء العباد ، فلما قتل أتوا رفاعة بن شداد البجلي وقالوا : لتأخذ الراية فقال : ارجعوا بنا لعل الله بجمعنا ليوم شرلهم ، فقال له عبدالله بن عوف بن الأحمر : هلكنا

(ا) الأحزاب 23 .

(2) آل عمران 169 .

والله لئن انصرفنا لَيَرْكَبُن أكتافنا ، فلا نبلغ فرسخاً حتى نهلك عن آخرنا، وإن نجا منا ناج أخذته العرب يتقربون به إليهم فقتل صبراً ، هذه الشمس قد قاربت الغروب فنقاتلهم على خيلنا فإذا غسق الليل ركبنا خيولنا أول الليل وسرنا حتى نصبح ونسير على مهل ويحمل الرجل صاحبه وجريحه ، ونعرف الوجه الذي نأخذه ، فقال رفاعة : نعم ما رأيت . وأخذ الراية وقاتلهم قتالاً شديداً ، ورام أهل الشام إهلاكهم قبل الليل فلم لِصلوا إلى ذلك لشدة قتالهم ، وتقدم عبدالله بن عزيز الكناني (أ) فقاتل أهل الشام ومعه ولده محمد وهو صغير فنادى بني كنانة من أهل الشام وسلم ولده إليهم ليوصلوه إلى الكوفة فعرضوا عليه الأمان فأبى ثم قاتلهم حتى قتل ، وتقدم كرتب بن تزيد الحميري عند المساء في مائة من أصحابه فقاتلهم أشد قتال فعرض عليه وعلى أصحابه ابن ذي الكلاع الحميري الأمان . قال : قد كنا آمنين في الدنيا وإنما خرجنا نطلب أمان الآخرة فقاتلوهم حتى قتلوا ، وتقدم صخر(2)بن هلال المزني في ثلاثين من مزينة فقاتلوا حتى قتلوا . فلما أمسوا رجع أهل الشام إلى معسكرهم ، ونظر رفاعة إلى كل رجل قد عقربه فرسه وجرح فدفعه إلى قومه . ثم سار بالناس ليلته ، وأصبح الحصين ليلتقيهم فلم يرهم فلم يبعث في آثارهم وساروا حتى أتوا قرقيسيا فعرض عليهم زفر الإقامة فأقاموا ثلاثا فأضافهم ثم زودهم وساروا إلى الكوفة ، ثم أقبل سعد بن حذيفة بن اليمان في أهل المدائن فبلغ هيت فأتاه الخبر فرجع فلقي المثنى بن مخربة العبدي في أهل البصرة بصدود(3) فأخبره ، فأقاموا حتى أتاهم رفاعة فاستقبلوه وبكى بعضهم إلى بعض وأقاموا يوماً وليلة ثم تفرقوا فسار كل طائفة إلى بلدهم ، ولما بلغ رفاعة الكوفة كان المختار محبوساً فأرسل إليه - أما بعد فمرحباً بالعصبة الذين عظم الله لهم الأجر حين انصرفوا ورضي فعلهم حين قتلوا(4) أما ورب البيت ما خطا خاط منكم خطوة ولا ربا ربوة(5))إلا كان تواب الله له أعظم من الدنيا ، إن سليمان قد قض ما عليه وتوفاه الله وجعل روحه مع أرواح النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، ولم يكن بصاحبكم الذي به

---

(1) في الطبري " الكندي " .
(2) في الطبري " صخير" بالتصغير.
(3) في الطبري " بصندوداء " وكذا في معجم البلدان .
(4) في الطبري "حين انصرفوا ورضي انصرافهم حين قفلوا" .
(5) في الطبري -"ولا رتا رتوة" .

تنصرون ، إني أنا الأمير المأمور والأمين المأمون ، وقاتل الجبارين والمنتقم من أعداء الدين ، المقيد من الأوتار ، فأعدوا واستعدوا وأبشروا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه والطلب بدم أهل البيت والدفع عن الضعفاء وجهاد المحلين والسلام .

وكان قتل سليمان ومن معه في شهر ربيع الأخر ، ولما سمع عبد الملك بن مروان بقتل سليمان وانهزام أصحابه صد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال : أما بعد فإن الله قد أهلك من رؤوس أهل العراق ملقح فتنة ورأس ضلالة سليمان بن صرد ألا وإن السيوف تركن رأس المسيب خذاريف وقد قتل الله منهم رأسين عظيمين ضالين مضلين ، عبدالله بن سعد الأزدي ، وعبدالله بن وأل البكري ، ولم يبق بعدهم من عنده امتناع ، وفي هذا نظر فإن أباه كان حياً ، قال أعشى همدان في ذلك وهي مما يكتم ذلك الزمان :

ألم خيالٌ مِنْكِ يا أمَّ غالب فحييتِ عنا مِنْ حَبيب مُجَانِبِ
وما زلتُ في شجو(ا)ومازلتُ مقصدا لهم غَير أني من فراَقِكِ ناصبِ
فما أنسَ لا أنْسَ انفتالَكِ في الضحى إلينا مَعَ البيضِ الحسانِ الخراعبِ
تراءت لنا هيفاءَ مهضومةَ الحشا لطيفةَ طيِّ الكَشْح ريَا الحقائب
مسيكة غزار ودسى بهائها(2) كشمس الضحى تنكل بين السحائب
فلما تغشاها السحابُ وحوله بدا حاجب منها وضنت بجانبِ
فتلك الهوى وَهي الجوى لي والمنى فأحبب بها من خلةٍ (3) لم تصاقبِ
ولا يبعد الله الشبابَ وذكرَه وحب (4) تصافي المعصرات السواكبِ
وتزدادُ ما أحببته من عتابنا لعاباً وسقيا للخدينِ المقاربِ

---

(1) في الطبري "وما زلت لي شجواً ".
(2) في الطبري شطر البيت هكذا "مبتلة غراء رود شبابها" والمبتلة الجميلة كأنها تبتل حسنها على أعضائها أي فرق على أعضائها فنال كل عضو نصيبه ، والغراء البيضاء الجبهة ، والرود اللينة المثنى تشبيهاً لها بالريح اللينة الهبوب ، والقصد هنا ناعمة الشباب ، ومعنى تنكل أي تختفي بين السحائب فيكون السحاب لها وهي ما نسميه الآن الناموسية .
(3) الخلة بالضم الخليلة .

(4) حب أفعل تفضيل ومعناه ما أحبه أو أحبب به .

فإني وإن لم أنسهنَ لذاكرٌ رويةٍ مخبات (ا) كريم المناصبِ
توسل بالتقوى إلى الله صادقاً وتقوى الإلهَ خير تكسابِ كاسبِ
وخلى عن الدنيا فلم يلتبسْ بها وتابَ إلى اللهِ الرفيعِ المراتبِ
تخلى عن الدنيا وقال طَرَحْتُها(2) فلستُ إليها ما حييتُ بآيِبِ
وما أنا فيما يكره (3) الناسُ فَقْدَهُ ويسعى له الساعون فيها براغب
توجهه نحْوَ الثويةِ سائراً إلى "بن زيادٍ في الجموع الكتائبِ (4)
بقومٍ همو أهلُ التقيةِ والنهيِ مصاليتُ أنجادٌ سراة مناجِبِ
مضوا تاركي رأي ابن طلحةَ حسبة ولم يستجيبوا للأميرِ المخاطبِ
فسارُوا وهم ما بينَ ملتمسِ التقى وآخرِ مما جَرَّ بالأمسِ تائبِ
فلاقوا بعينِ الوردةِ الجيشَ ناضلًا(5) إليهم فحَسوهمْ (6) ببيضٍ مَواضب
يمانية تذري الأكف وتارةِ بخيلٍ عتاقٍ مقرباتٍ سلاهبِ
فجاءهُمُ جمعٌ مِنَ الشّامِ بعده جموعٌ كموج البحر من كلِّ جانبِ
فما بَرِحُوا حتى أبِيدَتْ سَرَاتُهُمْ فلم يَنْجُ منهم ثَم غيرُ عصائبِ
وغودِرَ أهلُ الصبرِ صَرْعَى فأصبحوا تعاورهم (7) ريح الصبا والجنائبِ
فأضحى(8) الخزاعيُّ الرئيسُ مجدّلاً كأنْ لم يقاتل مَرَّة ويحاربِ
ورأس بني شمخ وفارس قومه شنوءة والتيمي هادي الكتائبِ
وعمرو بن بِشْرٍ والوليد وخالد وزيد بن بكر والحليس (9) بن غالبِ
وضارب من همدان كل مُشَيع إذا شد لم تنكل كريم المكاسبِ

---

(1) في الطبري "رزيئة مخبات " .
(2) في الطبري "وقال اطرحنها" .
(3) في الطبري "يكبر" .
(4) في الطبري "الكواكب " .
(5) في الطبري " فاصلاً".
(6) فحسوهم : بتشديد السين المهملة قتلوهم .
(7) تعاورهم : أصلها تتغاورهم حذفت إحدى التاءين ، أي تتناوبهم . (8) في الطبري " وأضحى " بالواو.
(9)الحليس: تصغير حلس .

ومن كل قوم قد أصبتُ (1)زعيمهم وذا حَسَب (2)في ذروةِ المجدِ ثاقبِ أنجوا غيرَ ضَرْبٍ يَفْلِقُ الهامَ وَقْعُهُ وطعنٍ بأطرافِ الأَسِنَةِ صائبِ
وإن سعيداً يوم يدمر(3) عامراً لأشجع من ليثٍ بدربى(4)مواثبِ
فيا خيرَ جيش بالعراقِ وأهله سقيتم روايا كل أسْحَمَ (5) ساكبِ
فلا يبعدنْ فرساننا وحماتنا إذا البيض أبدت عن خدامٍ الكواعبِ
وما قتلوا حتى أثاروا عصابة تَجَلَّيْنَ (6) نوراً كالشُّمُوسِ الصواربِ

وقيل : قتل سليمان ومن معه في شهر ربيع الآخر(الخزاعي) الذي هو في هذا الشعر هو سليمان بن صرد الخزاعي ، و(رأس بني شمخ) هو المسيب بن نجبة الفزاري و (فارس شنوءة) هو عبدالله بن سعد بن نفيل الأزدي أزد شنوءة (والتيمي) هو عبدالله بن وأل التيمي من تيم اللات بن ثعلبة بن عكابة بن صب بن علي بن بكر بن وائل و(الوليد) هو ابن عصير الكناني و (خالد) هو خالد بن سعد بن نفيل أخو عبدالله و (نجبة) بالنون والجيم والباء الموحدة المفتوحات .

ذكر بيعة عبد الملك وعبد العزيز ابني مروان بولاية العهد

في هذه السنة أمر مروان بن الحكم بالبيعة لابنيه عبد الملك ، وعبد العزيز ،وكان السبب في ذلك أن عمرو بن سعيد بن العاص لما هزم مصعب بن الزبير حين وجهه أخوه عبد الله إلى فلسطين رجع إلى مروان وهو بدمشق قد غلب على الشام ومصر فبلغ مروان أن عمراً يقول : إن الأمر لي بعد مروان فدعا مروان حسان بن ثابت بن بحدل فأخبره أنه تريد أن يبايع لابنيه عبد الملك وعبد العزيز وأخبره بما بلغه عن عمرو فقال : أنا أكفيك عمراً ، فلما اجتمع الناس عند مروان عشياً ، قام حسان فقال :

---

(1) في الطبري " قد أصيب " .
(2) في الطبري "وذو حسب ، .
(3) يدمر كينصر هجم هجوم الشر.
(4) دربي كبشرى وهو بضم الدال المهملة وسكون الراء .
(5) أسحم السين والحاء المهملتين هو السحاب الأدكن لأنه يكون غزير الماء .
(6) في الطبري "محلين ثوراً كالليوث الضوارب " . في قوله : في القاموس ثورى - كرضوي – نهر بدمشق أي أنهم لم يقتلوا حق أثاروا عصابة عظيمة تحل عند ذلك النهر .

انه قد بلغنا أن رجالا يتمنون أماني قوموا فبايعوا لعبد الملك ، وعبد العزيز من بعده فبايعوا عن آخرهم .

ذكر بعث ابن زياد وحبيش

في هذه السنة سير مروان بن الحكم بعثين ، أحدهما مع عبيد الله بن زياد إلى الجزيرة ومحاربة زفر بن الحرث بقرقيسيا واستعمله على كل ما يفتحه ، فإذا فرغ من الجزيرة توجه لقصد العراق وأخذه من ابن الزبير ، فلما كان بالجزيرة بلغه موت مروان وأتاه كتاب عبد الملك بن مروان يستعمله على ما استعمله عليه أبوه وتحثه على المسير إلى العراق ، والبعث الآخر إلى المدينة مع حُبيش بن دَلَجة القيني فسار بهم حتى انتهى إلى المدينة وعليها جابر بن الأسود بن عوف ابن أخي عبد الرحمن بن عوف من قبل ابن الزبير فهرب منه جابر ، ثم إن الحرث بن أبي ربيعة وهو أخو عمرو بن ربيعة وجه جيشاً من البصرة وكان والياً عليها لابن الزبير وجعلّ عليهم الحنيف بن السِجْف التيمي لحرب حبيش ، فلما سمع بهم حبيش سار إليهم من المدينة ، وأرسل عبد الله بن الزبير العباس بن سهل بن سعد الساعدي (1) إلى المدينة أميراً وأمره أن يسير في طلب حبيش حتى يوافي الجند من أهل البصرة الذين عليهم الحنيف ، فأقبل عباس في آثارهم حتى لحقهم بالربذة فقاتلهم حبيش فرماه يزيد بن سنان بسهم فقتله ، وكان معه يومئذ يوسف بن الحكم ، وابنه الحجاج وهما على جمل واحد وانهزم أصحابه فتحرز منهم خمسمائة بالمدينة ، فقال العباس بن سهل : انزلوا على حكمي فنزلوا فقتلهم ، ورجع فلُ حبيش إلى الشام ، ولما دخل يزيد بن سنان المدينة كان عليه ثياب بيض فاسودت مما مسحه الناس ومما صبوا عليه من الطيب .

ذكر موت مروان بن الحكم وولاية ابنه عبد الملك

في شهر رمضان من هذه السنة مات مروان بن الحكم . وكان سبب موته أن معاوية بن يزيد لما حضرته الوفاة لم يستخلف أحداً ، وكان حسان بن بَحْدَل يريد أن يجعل الأمر من بعده في أخيه خالد بن يزيد وكان صغيراً وحسان خال أبيه يزيد فبايع

---

(1) في الطبري "عياش " بالياء المثناة من تحت وآخره شين معجمة، وفي تقريب التهذيب "عباس بن سهل بن سعد السعدي " .

حسان مروان بن الحكم وهو يريد أن يجعل الأمر بعده لخالد ، فلما بايعه هو وأهل الشام قيل لمروان : تزوج أم خالد وهي بنطَ أبي هاشم بن عتبة حتى يصغر شأنه فلا يطلب الخلافة فتزوجها فدخل خالد يوماً على مروان وعنده جماعة وهو يمشي بين صفين فقال مروان : والله إنك لأحمق تعال يا ابن الرطبة الاست يقصر به ليسقطه من أعين أهل الشام ، فرجع خالد إلى أمه فأخبرها فقالت له :لا يعلمن ذلك منك الا أنا ، أنا أكفيكه، فدخل عليها مروان فقال لها : هل قال لك خالد في شيئاً ؟ قالت :لا إنه أشد لك تعظيماً من أن يقول فيك شيئاً فصدقها ومكث أياماً ، ثم إن مروان نام عندها يوماً فغطته بوسادة حتى قتلته (1) فمات بدمشق وهو ابن ثلاث وستين سنة ، وقيل : إحدى وستين ، وأراد عبد الملك قتل أم خالد فقيل له : يظهر عند الخلق ان امرأة قتلت أباك فتركها .

ولما توفي مروان قام بأمر الشام بعده ابنه عبد الملك وكان بمصر ابنه عبد العزيز بطاعة أخيه عبد الملك ، وكان عبد الملك ولد لسبعة أشهر فكان الناس يذمونه لذلك ، قيل : إنه اجتمع عنده قوم من الأشراف فقال لعبيد الله بن زياد بن ظبيان البكري : بلغني أنك لا تشبه أباك فقال : بلى والله اني لأشبه به من الماء بالماء والغراب بالغراب ولكن إن شئت أخبرتك بمن لم تنضجه الأرحام ولم يولد بالتمام ولم يشبه الأخوال والأعمام قال : من ذاك ؟ قال : سويد بن منجوف ، فلما خرج عبيد الله وسويد قال له سويد : ما سرني بمقالتك له حمر النعم فقال عبيد الله : وما سرني والله باحتمالك إياي وسكوتك سودها .

ذكر صفته ونسبه وأخباره

هو مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ، وأمه آمنة بنت علقمة بن صفوان بن أمية من كنانة ، وكان مولده سنة اثنتين من الهجرة . وكان أبوه قد أسلم عام الفتح ، ونفاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف لأنه يتجسس عليه ، ورآه النبي صلى الله عليه وسلم يوماً يمشي ويتخلج (2) في مشيه كأنه يحكيه فقال له :كن كذلك فما زال كذلك حتى

---

(1) في البداية والنهاية "فلما أخذه النوم عمدت إلى وسادة فوضعتها على وجهه وتحاملت عليها هي وجواريها حتى مات غماً" وقيل سمته .

(2) يتخلج - بخاء معجمة وجيم بينهما لام - يتفكك ويتمايل ، كالمفلوج .

مات ، ولما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم كلم عثمان أبا بكر في رده لأنه عمه فلم يفعل . فلما توفي أبو بكر وولي عمر كلمه أيضاً في رده فلم يفعل . فلما ولي عثمان رده وقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدني أن يرده إلى المدينة فكان ذلك مما أنكر الناس عليه . وتوفي في خلافة عثمان فصلى عليه . وقد رويت أخبار كثيرة في لعنه ولعن من في صلبه رواها الحفاظ وفي أسانيدها كلام .

وكان مروان قصيراً أحمر أوقص يكنى أبا الحكم وأبا عبد الملك . واعتق في يوم واحد مائة رقبة . وولى المدينة لمعاوية مرات فكان إذا ولي يبالغ قي سعتَ علي وإذا عزل وولي سعيد بن العاص كف عنه فسئل عنه محمد بن علي الباقر وعن سعيد فقال : كان مروان خيراً لنا في السر وسعيد خيراً لنا في العلانية .

وقد أخرج حديث مروان في الصحيح . وكان الحسن والحسين يصليان خلفه ولا يعيدان الصلاة . وهو أول من قدم الخطبة في صلاة العيد قبل الصلاة . ولما مات بويع لولده عبد الملك بن مروان في اليوم الذي مات فيه . وكان يقال له ولولده بنو الزرقاء يقول ذلك من يريد ذمهم وعيبهم . وهي الزرقاء بنت موهب جدة مروان بن الحكم لأبيه وكانت من ذوات الرايات التي يستدل بها على ثبوت البغاء فلهذا كانوا يذمون بها . ولعل هذا كان منها قبل أن يتزوجها أبو العاص بن أمية والد الحكم فإنه كان من أشراف قريش ولا يكون هذا من امرأة له وهي عنده والله أعلم (حُبيش بن دَلَجة) بضم الحاء المهملة وفتح الباء الموحدة المفتوحة ثم الياء المثناة من تحت وآخره شين معجمة (ودلجة) بفتح الدال واللام .

ذكر مقتل نافع بن الأزرق

في هذه السنة اشتدت شوكة نافع بن الأزرق وهو الذي ينتسب اليه الا زارقة من الخوارج . وكان سبب قوته اشتغال أهل البصرة واختلافهم بسبب مسعود بن عمرو وقتله وكثرة جموعه . وأقبل نحو الجسر فبعث إليه عبد الله بن الحرث مسلم بن عبيس بن كريز بن ربيعة فخرج إليه فدفعه عن أرض البصرة حتى بلغ دولاب من أرض الأهواز فاقتتلوا هناك . وجعل مسلم بن عبيس على ميمنته الحجاج بي باب الحميري ، وعلى ميسرته حارثة بن بدر الغداني ، وجعل ابن الأزرق على ميمنته عبيدة بن هلال ، وعلى

ميسرته الزبير(ا) بن الماحوز التميمي ، واشتد قتالهم فقتل مسلم أمير أهل البصرة ؛ وقتل نافع بن الأزرق أمير الخوارج في جمادى الآخرة ، فأمر أهل البصرة عليهم الحجاج بن باب الحميري ، وأمرت الخوارج عبد الله بن الماحوز التميمي واقتتلوا فقتل عبد الله . والحجاج ، فأمّر أهل البصرة عليهم ربيعة بن الأجرم (2) التميمي ، وأمّرت الخوارج عبيد الله بن الماحوز التميمي ثم عادوا فاقتتلوا حتى أمسوا وقد كره بعضهم بعضاً وملوا القتال . فبيناهم كذلك متواقفون متحاجزون إذ جاءت الخوارج سرية مستريحة لم تشهد القتال فحملت علىِ الناس من ناحية عبد القيس فانهزم الناس وقتل أمير أهل البصرة ربيعة بعد أن قتل أيضاً دغفل بن حنظلة الشيباني النسابة . وأخذ الراية حارثة بن زيد(3) فقاتل ساعة وقد ذهب الناس عنه فقاتل وحمى الناس ومعه جماعة من أهل البصرة ثم أقبل حتى نزل بالأهواز وبلغ ذلك أهل البصرة فافزعهم ، وبعث عبد الله بن الزبير الحرث بن أبي ربيعة وعزل عبد الله بن الحرث فأقبلت الخوارج نحو البصرة .

ذكر محاربة المهلب الخوارج

لما قربت الخوارج من البصرة أتى أهلها الأحنف بن قيس وسألوه أن يتولى حربهم فأشار بالمهلب بن أبي صفرة لما يعلم فيه من الشجاعة ، والرأي ، والمعرفة بالحرب ، وكان قد قدم من عند ابن الزبير وقد ولاه خراسان ، فقال الأحنف : ما لهذا الأمر غير المهلب ، فخرج إليه أشراف أهل البصرة فكلموه فأبى فكلمه الحرث بن أبي ربيعة فاعتذر بعهده على خراسان ، فوضع الحرث ، وأهل البصرة كتاباً إليه عن ابن الزبير يأمره بقتال الخوارج وأتوه بالكتاب فلما قرأه قال : والته لا أسير إليهم إلا أن تجعلوا لي ما غلبت عليه وتقطعوني من بيت المال ما أقوى به من معي فأجابوه إلى ذلك وكتبوا له به كتاباً وأرسلوا إلى ابن الزبير فأمضاه ، فاختار المهلب من أهل البصرة ممن يعرف نجدته وشجاعته اثني عشر ألفاً منهم محمد بن واسع ، وعبد الله بن رياح الأنصاري ، ومعاوية بن قرة المزني ، وأبو عمران الجوني ، وخرج المهلب الى

---

(1) في الأصل " الزمن " وهو غلط .
(2) في الطبري "ربيعة الاجذم " .
(3) في الطبري "حارثة بن بدر" .

الخوارج وهم عند الجسر الأصغر فحاربهم وهو في وجوه الناس وأشرافهم فدفعهم عن الجسر ولم يكن بقي إلا أن يدخلوا فارتفعوا الى الجسر الأكبر فسار إليهم في الخيل والرجال ، فلما رم وه قد قاربهم ارتفعوا فوق ذلك ، ولما بلغ حارثة بن زيد(ا) . تأمير المهلب على قتال الأزارقة قال لمن معه من الناس :

كرنبوا ودولبوا وحيث شئتم فاذهبوا

وأقبل بمن معه نحو البصرة فرد الحرث بن أبي ربيعة الى المهلب ، وركب حارثة في سفينة في نهر دجيل يريد البصرة فأتاه رجل من تميم وعليه سلاحه والخوارج وراءه فصاح التميمي بحارثة يستغيث به ليحمله معه فقرب السفينة إلى شاطىء النهر وهو جرف فوثب التميمي إليها فغاصت بجميع من فيها فغرقوا ، وأما المهلب فإنه سار حتى نزل بالخوارج وهم بنهر تيري (2) فتنحوا عنه إلى الأهواز فسيّر المهلب إلى عسكرهم الجواسيس تأتيه بأخبارهم ، فلما أتاه خبرهم سار نحوهم واستخلف أخاه المعارك بن أبي صفرة على نهر تيرى ، فلما وصل الأهواز قاتَلت الخوارج مقدمته وعليهم ابنه المغيرة بن المهلب بن أبي صفرة فجال أصحابه ثم عادوا ، فلما رأى الخوارج صبرهم ساروا عن سوق الأهواز إلى مناذر(3) فسار يريدهم ، فلما قاربهم سير الخوارج جمعاً عليهم واقد مولى أبي صفرة الى نهر تيرى وبها المعارك فقتلوه وصلبوه ، وبلغ الخبر إلى المهلب فسير ابنه المغيرة إلى نهر تيرى فانزل عمه المعارك ودفنه وسكن الناس واستخلف بها جماعة ، وعاد إلى أبيه وقد نزل سولاف . وكان المهلب شديد الاحتياط والحذر لا ينزل إلا في خندق وهو على تعبية وتتولى الحرس نفسه ، فلما نازل الخوارج بسولاف ركبوا ووقفوا له واقتتلوا قتالًا شديداً صبر فيه الفريقان ثم حملت الخوارج حملة صادقة على المهلب وأصحابه فانهزموا وقتل منهم ، وتبت المهلب وأبلى ابنه المغيرة يومئذ بلاءً حسناً ظهر فيه أثره ونادى المهلب اصحابه فعادوا إليه معهم جمع كثير نحو أربعة آلاف فارس ، فلما كان الغد أراد القتال بمن معه فنهاه بعض أصحابه لضعفهم

(ا) في الطبري "حارثة بن بدر" .
(2) تيرى بكسر أوله وفتح الراء .
(3) مناذر كمساجد .

وكثرة الجراح فيهم فترك القتال وسار وقطع دُجيل (ا) ونزل بالعاقول (2) وهو لا يؤتى إلا من جهة واحدة ، وفي يوم سولاف يقول ابن قيس الرقيات :

ألا طرقت من آل مَيَّةَ طارقَةْ على أنَّها معشوقةُ الدلِّ عاشِقَةْ
تميسُ وأرضِ السُّوسِ بيني وبينها وسولاف رستاقٍ حَمَتْهُ
الأزارِقَةْ إذا نحن شَنَّى صادفتنا(3 عِصابة حَرُورِيَّةٌ أضْحَتْ مِنَ الدِّينِ
مارِقَةْ
أجازَتْ (4) إلينا العسكرَيْنِ كِلَيْهِما فباتَتْ لنا دون اللحافِ
معَانِقَةْ

وقال فيه بعض الخوارج :

وكائِنْ تَرَكْنا يومَ سُولافَ مِنْهُمُ أسارى وقَتْلَى في الجحيمِ
مَصِيرُها

وأكثر الشعراء فيه ، فلما وصل المهلب إلى العاقول نزل فيه وأقام ثلاثة أيام ثم ارتحل وسار نحو الخوارج وهم بسلى ، وسلبرى فنزل قريباً منهم ، وكان كثيراً ما يفعل أشياء يحدث بها الناس لينشطوا الى القتال فلا يرون لها أثراً حتى قال الشاعر :

أنت الفتى كُلَّ الفتى لو كنتَ تَصْدُقَ ما تقولُ

وسماه بعضهم الكذاب ، وبعض الناس يظن انه كذاب في كل حال وليس كذلك إنما كان يفعل ذلك مكايدة للعدو ، فلما نزل المهلب قريباً من الخوارج وخندق عليه وضع المسالح وأذكى العيون والحرس والناس على راياتهم ومواقفهم وأبواب الخندق محفوظة ، فكان الخوارج إذا أرادوا بياته وغرته وجدوا أمراً محكماً فرجعوا فلم يقاتلهم انسان كان أشد عليهم منه ، ثم ان الخوارج أرسلوا عبيدة بن هلال والزبير بن الماحوز في عسكر ليلاً إلى عسكر المهلب ليبيتوه فصاحوا بالناس عن يمينهم ويسارهم فوجدوهم على تعبية قد حذروا فلم ينالوا منهم شيئاً ، وأصبح المهلب فخرج إليهم في تعبية وجعل الأزد وتميماً ميمنة ، وبكر بن وائل وعبد القيس ميسرة ، وأهل العالية في القلب ، وخرجت الخوارج وعلى ميمنتهم عبيدة بن هلال اليشكري ، وعلى ميسرتهم

(ا) دجيل اسم شعب .
(2) العاقول اسم قرية .
(3) في الأصل "صادقتنا" بالقاف وهو تصحيف .
(4) في الأصل "أحادت " بالحاء والدال المهملتين وهو تحريف .

الزبير بن الماحوز وكانوا أحسن عدة وأكرم خيلًا من أهل البصرة لأنهم مخروا الأرض وجردوها ما بين كرمان إلى الأهواز فالتقى الناس واقتتلوا أشد قتال وصبر الفريقان عامة النهار ، ثم ان الخوارج شدت على الناس شدة منكرة فأجفلوا وانهزموا لا يلوي م حد على أحد حتى بلغت الهزيمة البصرة وخاف أهلها السباء ، وأسرع المهلب حتى سبق المنهزمين إلى مكان مرتفع ثم نادى إليَّ عباد الله فاجتمع إليه ثلاثة آلاف أكثرهم من قومه من الأزد فلما رآهم رضي عدتهم فخطبهم وحثهم على القتال ووعدهم النصر وأمرهم أن يأخذ كل رجل منهم عشرة أحجار وقال : سيروا بنا نحو عسكرهم فإنهم الآن آمنون وقد خرجت خيلهم في طلب إخوانهم فوالله إني لأرجو أن لا ترجع إليهم خيلهم حتى تستبيحوا عسكرهم وتقتلوا أميرهم فأجابوه فأقبل بهم راجعاً فما شعرت الخوارج إلا والمهلب يقاتلهم في جانب عسكرهم فلقيهم عبد الله بن الماحوز والخوارج فرماهم أصحاب المهلب بالأحجار حتى اثخنوهم ثم طعنوهم بالرماح وضربوهم بالسيوف فاقتتلوا ساعة فقتل عبد الله بن الماحوز ، وكثير من أصحابه وغنم المهلب عسكرهم ، وأقبل من كان في طلب أهل البصرة راجعاً وقد وضع المهلب لهم خيلاً ورجالاً تختطفهم وتقتلهم وانكفؤوا راجعين مذلولين مغلوبين فارتفعوا إلى كرمان وجانب أصبهان ، وقال بعض الخوارج لما رأى قتال أصحاب المهلب بالحجارة :

أتانا بأحجارٍ ليقتلنا بها وهل تقتل الأقران وتحك بالحجر

ولما فرغ المهلب منهم أقام مكانه حتى قدم مصعب بن الزبير على البصرة أميراً وعزل الحرث بن أبي ربيعة وفي هذا اليوم يقول الصلتان العبدي :

بِسَلَّى وَسلَّبرا مصارعُ فتية كرام وقتلى لم توَسَّدْ خدودُها

فلما قتل عبد الله بن الماحوز استخلف الخوارج الزبير بن الماحوز ، وكتب المهلب إلى الحرث بن أبي ربيعة يعرفه ظفره . فأرسل الحرث الكتاب إلى ابن الزبير بمكة ليقرأه على الناس هناك ، وكتب الحرث إلى المهلب أما بعد - فقد بلغني كتابك تذكر فيه نصر الله وظفر المسلمين فهنيئاً لك يا أخا الأزد شرف الدنيا وعزها وثواب الآخرة وفضلها ، فلما قرأ المهلب كتابه ضحك وقال : أما يعرفني إلا بأخي الأزد فما هو إلا أعرابي جاف ، وقيل : ان عثمان بن عبيد الله بن معمر قاتل الخوارج . ونافع بن الأزرق قبل مسلم فقتل عثمان ، وانهزم أصحابه بعد أن قتل من الخوارج خلق كثير ،

فسير إليهم من البصرة بعده حارثة بن زيد الغداني فلما رآهم عرف أنه لا طاقة له بهم فقال لأصحابه : كرنبوا ودولبوا وكيف شئتم فاذهبوا

يعني ما شاء ، ثم سار بعده مسلم بن عبيس ، وقيل : إن المهلب لما دفع الخوارج من البصرة الى ناحية الأهواز أقام بقية سنته يجبي كور دجلة ورزق أصحابه وأتاه المدد من البصرة حتى بلغ أصحابه ثلاثين ألفاً فعلى هذا تكون هزيمة الخوارج سنة ست وستين .

ذكر نجدة بن عامر الحنفي

هو نجدة بن عامر بن عبد الله بن ساد بن المفرج الحنفي كان مع نافع بن الأزرق ففارقه لاحداثه في مذهبه ما تقدم ذكره ، وسار إلى اليمامة ، ودعا أبو طالوت إلى نفسه ، فمضى إلى الحضارم فنهبها وكانت لبني حنيفة فأخذها منهم معاوية بن أبي سفيان فجعل فيها من الرقيق ما عدتهم وعدة أبنائهم ونسائهم أربعة آلاف فغنم ذلك وقسمه بين أصحابه وذلك سنة خمس وستين فكثر جمعه . ثم ان عيراً خرجت من البحرين ، وقيل : من البصرة تحمل مالاً وغيره يراد بها ابن الزبير فاعترضها نجدة فأخذها وساقها حتى أتى بها أبا طالوت بالحضارم فقسمها بين أصحابه وقال : اقتسموا هذا المال وردوا هؤلاء العبيد واجعلوهم يعملون الأرض لكم فإن ذلك أنفع فاقتسموا المال وقالوا : نجدة خير لنا من أبي طالوت فخلعوا أبا طالوت وبايعوا نجدة وبايعه أبو طالوت وذلك في سنة ست وستين ونجدة يومئذ ابن ثلاثين سنة : ثم سار في جمع إلى بني كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة فلقيهم بذي المجاز فهزمهم وقتلهم قتلاً ذريعاً . وصبر كلاب وعطيف ابنا قرة بن هبيرة القشيريان وقاتلا حتى قتلا .

وانهزم قيس بن الرقاد الجعدي فلحقه أخوه لأبيه معاوية فسأله أن يحمله ردفاً فلم يفعل ، ورجع نجدة إلى اليمامة فكثر أصحابه فصاروا ثلاثة آلاف ، ثم سار نجدة إلى البحرين سنة سبع وستين فقالت الأزد : نجدة أحب إلينا من ولاتنا لأنه ينكر الجور وولاتنا يجوزونه فعزموا على مسالمته ، واجتمعت عبد القيس ومن بالبحرين غير الأزد على محاربته ، فقال بعض الأزد : نجدة أقرب إليكم منه إلينا لأنكم كلكم من ربيعة فلا تحاربوه ، وقال بعضهم لا ندع نجدة وهو حروري مارق تجري علينا أحكامه فم التقوا

بالقطيف فانهزمت عبد القيس وقتل منهم جمع كثير ، وسبى نجدة من قدر عليه من أهل القطيف فقال الشاعر :

نصحت لعبد القيس يوم قطيفها وما نفعُ نصحٍ قَبْلُ لا يُتَقَبَلُ

وأقام نجدة بالقطيف ووجه ابنه المطرح في جمع إلى المنهزمين من عبد القيس فقاتلوه بالثوير فقتل المطرح بن نجدة وجماعة من م صحابه ، وأرسل نجدة سرية إلى الخط فظفر بأهله ، وأقام نجدة بالبحرين ، فلما قدم مصعب بن الزبير إلى البصرة سنة تسع وستين بعث إليه عبد الله بن عمير الليثي الأعور في أربعة عشر ألفاً فجعل يقول : اثبت نجدة فإنا لا نفر فقدم ونجدة بالقطيف فأتى نجدة عسكر ابن عمير وهو غافل فقاتلهم طويلاً وافترقوا وأصبح ابن عمير فهاله ما رأى في عسكره من القتلى والجرحى ، وحمل عليهم نجدة فلم يلبثوا أن انهزموا فلم يبق عليهم نجدة وغنم ما في عسكرهم ، وأصاب جواري فيهن أم ولد لابن عمير فعرض عليها أن يرسلها إلى مولاها فقالت لا حاجة بي إلى من فرّ عني وتركني ، وبعث نجدة أيضاً بعد هزيمة ابن عمير جيشاً إلى عمان واستعمل عليهم عطية بن الأسود الحنفي وقد غلب عليها عباد بن عبد الله وهو شيخ كبير ، وابناه سعيد وسليمان يعشران السفن وتجبيان البلاد ، فلما أتاهم عطية قاتلوه فقتل عباد واستولى عطية على البلاد فأقام بها أشهر" ثم خرج منها واستخلف رجلاً يكنى أبا القاسم ، فقتله سعيد وسليمان ابنا عباد وأهل عمان ، ثم خالف عطية نجدة على ما نذكره إن شاء الله فعاد إلى عمان فلم يقدر عليها ، فركب في البحر وأتى كرمان وضرب بها دراهم سماها العطوية وأقام بكرمان ، فأرسل إليه المهلب جيشاً فهرب إلى سجستان ثم إلى السند فلقيته خيل المهلب بقندابيل فقتلته ، وقيل : قتله الخوارج .

ثم بعث نجدة الى البوادي بعد هزيمة ابن عمير أيضاً من يأخذ من أهلها الصدقة ، فقاتل أصحابه بني تميم بكاظمة ، وأعان أهل طويلع بني تميم فقتلوا من الخوارج رجلاً فأرسل نجدة إلى أهل طويلع من أغار عليهم وقتل منهم نيفاً وثلاثين رجلاً وسبى ، ثم إنه دعاهم بعد ذلك فأجابوه فأخذ منهم الصدقة ، ثم سار نجدة إلى صنعاء في خف من الجيش فبايعه أهلها وظنوا أن وراءه جيشاً كثيراً فلما لم يروا مدداً يأتيه ندموا على بيعته وبلغه ذلك فقال : إن شئتم أقلتكم بيعتكم وجعلتكم في حل منها وقاتلتكم فقالوا لا نستقيل بيعتنا ، فبعث إلى مخالفيها فاخذ منهم الصدقة ، وبعث نجدة أبا فديك إلى حضرموت فجبى صدقات أهلها ، وحج نجدة سنة ثمان وستين ، وقيل :

سنة تسع وستين وهو في ثمانمائة وستين رجلاً ، وقيل : في الفي رجل وستمائة رجل ، وصالح ابن الزبير على ان يصلي كل واحد بأصحابه وتقف بهم وتكف بعضهم عن بعض فلما صدر نجدة عن الحج سار إلى المدينة فتأهب أهلها لقتاله ونقلد عبد الله بن عمر سيفاً ، فلما كان نجدة بنخل أخبر بلبس ابن عمر السلاح فرجع إلي، الطائف وأصاب بنتاً لعبد الله بن عمرو بن عثمان كانت عند ظئر لها فضمها إليه فقال بعض أصحابه : إن نجدة ليتعصب لهذه الجارية فامتحنوه فسأله بعضهم بيعها منه فقال قد اعتقت نصيبي منها فهي حرة قال : فزوجني إياها قال : هي بالغ وهي أملك بنفسها فأنا استأمرها فقام من مجلسه ثم عاد فقال : قد استأمرتها فكرهت الزواج فقيل : إن عبد الملك أو عبد الله بن الزبير كتب إليه والله لئن أحدثت فيها حدثاً لأطأن بلادك وطأة لا يبقى معها بمري ، وكتب نجدة إلى ابن عمر يسأله عن أشياء فقال : سلوا ابن عباس فسألوه ، ومساءلة ابن عباس مشهورة ، ولما سار نجدة من الطائف أتاه عاصم بن عروة بن مسعود الثقفي فبايعه عن قومه ولم يدخل نجدة الطائف .

فلما قدم الحجاج الطائف لمحاربة ابن الزبير قال لعاصم : ياذا الوجهين بايعت نجدة ؟ قال : أي والله وذو عشرة أوجه أعطيت نجدة الرضا ودفعته عن قومي وبلدي ، واستعمل الحاروق وهو حراق على الطائف ، وتبالة ، والسراة ، واستعمل سعد الطلائع على ما يلي نجران . ورجع نجدة إلى البحرين فقطع الميرة عن أهل الحرمين منها ومن اليمامة . فكتب إليه ابن عباس أن ثمامة بن اثال لما أسلم قطع الميرة عن أهل مكة وهم مشركون فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أهل مكة أهل الله فلا تمنعهم الميرة فجعلها لهم وأنك قطعت الميرة عنا ونحن مسلمون فجعلها نجدة لهم ، ولم يزل عمال نجدة على النواحي حتى اختلف عليه أصحابه فطمع فيهم الناس فأكلا الحاروق فطلبوه بالطائف فهرب ، فلما كان في العقبة(ا) في طريقه لحقه قوم يطلبونه فرموه بالحجارة حتى قتلوه .

ذكر الاختلاف على نجدة وقتله وولاية أبي فديك

ثم ان أصحاب نجدة اختلفوا عليه لأسباب نقموها عليه ، فمنها أن أبا سنان

حيان بن واتل أشار على نجدة بقتل من أجابه تقية فشتمه نجدة فهم بالفتك به فقال له

---

(1) لم يبين أي عقبة هي ولعلها عقبة كراء وهي مشهورة في ناحية الطائف .

نجدة : كلف الله أحداً علم الغيب ؟ قال لا . قال : فإنما علينا أن نحكم بالظاهر فرجع أبو سنان إلى نجدة ت ومنها أن عطية بن الأسود خالف على نجدة وسببه أن نجدة سير سرية بحراً وسرية براً فأعطى سرية البحر أكثر من سرية البر ، فنازعه عطية حتى أغضبه فشتمه نجدة فغضب عليه وألب الناس عليه ، وكلم نجدة في رجل يشرب الخمر في عسكره فقال : هو رجل شديد النكاية على العدو وقد استنصر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمشركين . وكتب عبد الملك إلى نجدة يدعوه إلى طاعته ويوليه اليمامة ولهدر له ما أصاب من الأموال والدماء فطعن عليه عطية وقال : ما كاتَبه عبد الملك حتى علم منه دهاناً في الدين وفارقه إلى عمان .

ومنها أن قوماً فارقوا نجدة واستتابوه فحلف أن لا يعود ثم ندموا على استتابته وتفرقوا ، ونقموا عليه أشياء أخر ، فخالف عليه عامة من معه وانحازوا عنه وولوا أمرهم أبا فديك عبد الله بن ثور أحد بني قيس بن ثعلبة ، واستخفى نجدة فأرسل أبو فديك في طلبه جماعة من أصحابه وقال : إن ظفرتم به فجيئوني به ، وقيل لأبي فديك : إن لم تقتل نجدة تفرق الناس عنك فألح في طلبه وكان نجدة مستخفياً في قرية من قرى هجر ، وكان للقوم الذين اختفى عندهم جارية يخالف إليها راع لهم فأخذت الجارية من طيب كان مع نجدة فسألها الراعي عن أمر الطيب فأخبرته ، فأخبر الراعي أصحاب أبي فديك بنجدة فطلبوه فنذر بهم ، فأتى أخواله من بني تميم فاستخفى عندهم ثم أراد المسير إلى عبد الملك فأتى بيته ليعهد إلى زوجته فعلم به الفديكية وقصدوه فسبق إليه رجل منهم فأعلمه فخرج وبيده السيف فنزل الفديكي عن فرسه وقال : إن فرسي هذا لا يدرك فاركبه فلعلك تنجو عليه فقال : ما أحب البقَاء ولقلي تعرضت للشهادة في مواطن ما هذا بأحسنها ، وغشيه أصحاب أبي فديك فقتلوه وكان شجاعاً كريماً وهو يقول :

وإن جر مولانا علينا جريرة صبرنا لها إن الكرام الدعائم

ولما قتل نجدة سخط قتله لوم من أصحاب أبي فديك ففارقوه ؛ وثار به مسلم بن جبير فضربه اثنتي عشرة ضربة بسكين فقتل مسلم وحمل أبو فديك إلى منزله فبرىء.

ذكر استعمال مصعب على المدينة

في هذه السنة عزل عبد الله بن الزبير أخاه عبيدة بن الزبير عن المدينة واستعمل

أخاه مصعباً ، وسبب ذلك أن عبيدة خطب الناس فقال لهم : قد ترون ما صنع الله بقوم في ناقِة قيمتها خمسة دراهم فسمي مقوم الناقة فبلغ ذلك أخاه عبد الله فعزله واستعمل مصعباً.

ذكر بناء ابن الزبير الكعبة

لما احترقت الكعبة حين غزا أهل الشام عبد الله بن الزبير أيام يزيد تركها ابن الزبير يشنع بذلك على أهل الشام . فلما مات يزيد واستقر الأمر لابن الزبير شرع في بناتها فأمر بهدمها حتى ألحقت بالأرض وكانت قد مالت حيطانها من حجارة المنجنيق وجعل الحجر الأسود عنده وكان الناس يطوفون من وراء الأساس وضرب عليها السور وأدخل فيها الحجر ، واحتج بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعائشة : " لولا حدثان عهد قومك بالكفر لرددت الكعبة على أساس ابراهيم وأزيد فيها الحجر " فحفر ابن الزبير فوجد أساساً امثال الجمال فحركوا منها صخرة فبرقت بارقة فقال : اقروها على أساسها وبناتها ، وجعل لها بابين يدخل من أحدهما ويخرج من الآخر ، وقيل : كانت عمارتها سنة أربع وستين .

ذكر الحرب بين ابن خازم وبني تميم

في هذه السنة كانت الحرب بين ابن خازم السلمي وبني تميم بخراسان ، وسبب ذلك أن من كان بخراسان من بني تميم أعانوا ابن خازم على من بها من ربيعة وقد تقدم ذكر ذلك ، فلما صفت له خراسان جفا بني تميم وكان قد جعل ابنه محمداً على هراة وجعل على شرطته بكير بن وشاح وضم إليه شماس بن دثار العطاردي - وكانت أم محمد تميمية - فلما جفا ابن خازم بني تميم أتوا ابنه محمداً بهراة فكتب ابن خازم إلى ابنه محمد ، وإلى بكير ، وشماس يأمرهم بمنعهم عن هراة ، فأما شماس فصار مع بني تميم ، وأما بكير فإنه منعهم من الدخول فأقاموا ببلاد هراة ، فأرسل بكير إلى شماس إني اعطيتك ثلاثين ألفاً فاعط كل رجل من بني تميم ألفا على أن ينصرفوا فأبوا عَلية وأقاموا يترصدون محمد اً فخرج يتصيد فأخذوه وشدوه وثاقاً وشربوا ليلتهم وجعلوا يبولون عليه كلما أرادوا البول فقال لهم شماس : أما إذا بلغتم هذا منه فاقتلوه بصاحبيكما اللذين قتلهما بالسياط - وكان قد ضرب رجلين من تميم بالسياط حتى ماتا -فقاموا إليه

ليقتلوه فنهاهم عنه حيان بن مشحبة(1) الضبي وألقى نفسه عليه فلم يقبلوا منه وقتلوا محمداً ، فشكر ابن خازم لحيان ذلك ولم يقتله فيمن قتل ، وكان الذي تولى قتل محمد رجلين اسم أحدهما عجلة واسم الأخر كسيب فقال ابن خازم :بئس ما اكتسب كسيب لقومه ولقد عجل عجلة لقومه شراً .

وأقبلت تميم إلى مرو وأمروا عليهم الحريش بن هلال القريعي وأجمع أكثرهم على قتال ابن خازم ، فقاتل الحريش بن هلال عبد الله بن خازم سنتين ، فلما طالت الحرب خرج الحريش فنادى ابن خازم وقال له : طالت الحرب بيعنا فعلام نقتل قومي وقومك ؟ ابرز إليّ فأينا قتل صاحبه صارت الأرض له. فقال له ابن خازم : قد انصفت وبرز إليه فتضاربا وتصاولا تصاول الفحلين لا يقدر أحدهما على صاحبه ثم غفل ابن خازم فضربه الحريش على رأسه فألقى فروة رأسه على وجهه وانقطع وكاتب الحريش وانتزع السيف ولزم ابن خازم عنق فرسه راجعاً إلى أصحابه ثم غاداهم القتال فمكثوا بذلك بعد الضربة أياماً ثم مل الفريقان فتفرقوا ثلاث فرق . فرقة إلى نيسِابور مع بحير بن ورقاء ، وفرقة إلى ناحية أخرى ، وفرقة فيها الحريش إلى مرو الروذ ، فاتبعه ابن خازم إلى قرية تسمى الملحمة والحريش ني اثني عشر رجلًا وقد تفرقت عنه اصحابه وهم في خربة، فلما انتهى إليه ابن خازم خرج إليه في أصحابه فحمل مولى لابن خازم على الحريش فضربه فلم يصنع شيئاً فقال الحريش لرجل معه : إن سيفي لا يصنع في سلاحه شيئاً فاعطني خشبة فأعطاه عوداً من عناب فحمل على المولى فضربه فسقط وقيذاً ، ثم قال لابن خازم : ما تريد مني وقد خليتك والبلاد ؟ قال : إنك تعود إليها قال :لا أعود فصالحه على أن يخرج من خراسان ولا يعود إلى قتاله فأعطاه ابن خازم أربعين ألفاً ، وفتح له الحريش باب القصر فدخله ابن خازم وضمن له وفاء دينه وتحدثا طويلاً ، وطارت قطنة عن الضربة التي برأس ابن خازم فأخذها الحريش ووضعها مكانها فقال له ابن خازم : مسك اليوم ألين من مسك امس فقال الحريش : معذرة إلى الله وإليك أما والله لولا ركابي انقطع لخالط السيف رأسك ، وقال الحريش في ذلك :

أزالَ عَظمَ ذراعي عَنْ مُركبِهِ حملُ الرديني الإدلاج بالسحَرِ
حَوْلَيْنِ ما اغتمضت عيني بمنزلةٍ إلا وكفّي وسادٌ لي على حَجَرِ

---

(1) في الطبري " جيهان بن مشجعة " .

بَزِّي الحديدُ وَسِرْبالي إذا هجعت عني العيون مجال الفالجِ الذَّكَرِ(1)

(بحير بن ورقاء) بفتح الباء الموحدة والحاء المهملة المكسورة ، و(الحريش) بالحاء والراء المهملتين والشين المعجمة .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة وقع طاعون الجارف بالبصرة وعليها عبيد الله بن معمر فهلك به خلق كثير فماتت أم عبيد الله فلم يجدوا لها من يحملها حتى استأجروا من حملها وهو الأمير ، وحج بالناس عبد الله بن الزبير ، وكان على المدينة مصب ، وعلى الكوفة ، ابن مطيع ، وعلى البصرة الحرث بن ربيعة المخزومي ، وعلى خراسان عبد الله بن خازم . وفيها توفي عبد الله بن عمرو بن العاص السهمي وكان قد عمي آخر عمره وكانت وفاته بمصر ، وقيل : توفي سنة ثمان وستين (2) .

(ا) فى الطبري - مجال القارح الذكر- .

(1) كان رضى الله عنه من خيار الصحابة وعلمائهم وعبادهم وكتب عن النبي صلى الله عليه وسلم كثيراً أسلم قبل أبيه ولم يكن أشر من أبيه إلا باثنتي عشرة سنة ، وكان واسع العلم مجتهداً في العبادة عاقلاً ، وكان يلوم أباه في القيام مع معاوية ، وكان يقرأ الكتابين القرآن والتوراة ، وقبل : إنه بكى حتى عمي .

تم دخلت سنة ست وستين

ذكر وثوب المختار بالكوفة

في هذه السنة رابع عشر ربيع الأوّل وثب المختار بالكوفة وأخرج عنها عبد الله بن مطيع عامل عبد الله بن الزبير . وسبب ذلك أن سليمان بن صرد لما قتل قدم من بقي من أصحابه الكوفة فلما قدموا وجدوا المختار محبوساً قد حبسه عبدالله بن تزيد الحطمي ، وإبراهيم بن محمد بن طلحة وقد تقدم ذكر ذلك ، فكتب إليهم من الحبس يثني عليهم وتمنيهم الظفر ويعرفهم أنه هو الذي أمره محمد بن علي - المعروف بابن الحنفية - بطلب الثار فقرأ كتابه رفاعة بن شداد ، والمثنى بن مخربة العبدي ، وسعد بن حذيفة بن اليمان ، وتزيد بن أنس ، وأحمر بن شميط الأحمسي . وعبد الله بن شداد البجلي ، وعبد الله بن كامل ، فلما قرؤوا كتابه بعثوا إليه ابن كامل يقولون له : إننا بحيث يسرك فإن شئت أن نأتيك ونخرجك من الحبس فعلنا فأتاه فأخبره فسر بذلك وقال لهم : إني أخرج في أيامي هذه .

وكان المختار قد أرسل إلى ابن عمر يقول له : إنني قد حبست مظلوماً وتطلب إليه أن يشفع فيه إلى عبد الله بن يزيد ، وابراهيم بن محمد بن طلحة فكتب إليهما ابن عمر في أمره فشفعاه وأخرجاه من السجن وضمناه وحلفاه أنه لا يبغيهما غائلة ولا يخرج عليهما ما كان لهما سلطان ، فإن فعل فعليه ألف بدنة ينحرها عند الكعبة ومماليكه أحرار ذكرهم وانثاهم ، فلما خرج نزل بداره فقال لمن يثق به : قاتلهم الله ما أحمقهم حين يرون أني أفي لهم ، أما حلفي بالله فإنني إذا حلفت على يمين فرأيت خيراً منها أن أكفر عن يميني وخروجي عليهم خير من كفي عنهم ، وأما هدي البدن وعتق المماليك فهو أهون علي من بصقة فوددت أن تم لي أمري ولا أملك بعده مملوكاً أبداً . ثم اختلفت إليه الشيعة واتفقوا على الرضا به ، ولم يزل أصحابه يكثرون وأمره يقوى حتى عزل ابن الزبير عبد الله بن تزيد الحطمي ، وابراهيم بن محمد بن طلحة ، واستعمل

عبد الله بن مطيع على عملهما بالكوفة فلقيه بحير بن رستان الحميري (1) عند مسيره إلى الكوفة فقال له : لا تسر الليلة فإن القمر بالناطح فلا تسر . فقال له : وهل نطلب إلا النطح فلقى نطحاً كما يريد فكان البلاء موكلًا بمنطقه وكان شجاعاً ، وسار ابراهيم إلى المدينة وكسر الخراج وقال : كانت فتنة فسكت عنه ابن الزبير .

وكان قدوم ابن مطيع في رمضان لخمس بقين منه ، وجعل على شرطته إياس بن أبي مضارب (2) العجلي وأمره بحسن السيرة والشدة على المريب . ولما قدم صد المنبر فخطبهم وقال : أما بعد فإن أمير المؤمنين بعثني على مصركم وتغوركم وأمرني بجباية فيئكم . وأن لا أحمل فضل فيئكم عنكم إلا برضا منكم . وان أتبع وصية عمر بن الخطاب التي أوصى بها عند وفاته وسيرة عثمان بن عفان فاتقوا الله واستقيموا ولا تختلفوا وخذوا على أيدي سفهائكم فإن لم تفعلوا فلوموا أنفسكم ولا تلوموني ، فوالله لأوقعن بالسقيم العاصي ولأقيمن درء الأصعر(3) المرتاب فقام إليه السائب بن مالك الأشعري فقال : أما حمل فيئنا برضانا فإنّا نشهد أنّا لا نرضى أن يحمل عنا فضله وأن لا يقسم إلا فينا ، وأن لا يسار فينا إلا بسيرة علي بن أبي طالب التي سار بها في بلادنا هذه حتى هلك ، ولا حاجة لنا في سيرة عثمان في فيئنا ولا في أنفسنا، ولا في سيرة عمر بن الخطاب فينا ، وإن كانت أهون السيرتين علينا وقد كان يفعل بالناس خيراً . فقال يزيد بن أنمي ، : صدق السائب وبرَّ فقال ابن مطيع : نسير فيكم بكل سيرة أحببتموها ثم نزل.

وجاء إياس بن مضارب إلى ابن مطيع فقال له : ان السائب بن مالك من رؤوس أصحاب المختار فابعث إلي المختار فليأتك فإذا جاءك فاحبسه حتى يستقيم أمر الناس فإن أمره قد استجمع له وكأنه قد وتب بالمصر ، فبعث ابن مطيع إلى المختار زائدة بن قدامة ، وحسين بن عبد الله البرسمي من همدان ، فقالا : أجب الأمير فعزم على الذهاب فقرأ زائدة { وإذ يَمْكُر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك }(4) الآية فألقى المختار ثيابه وقال : ألقوا عليّ قطيفة فقد وعكت إني لأجد برداً شديداً ارجعا إلى الأمير فاعلماه حالي ، فعادا إلى ابن مطيع فأعلماه فتركه ؛ ووجه المختار إلى أصحابه

---

(1) في الطبري " بحير بن ريسان الحميري " .
(2) في الطبري " أياس بن مضارب " .

(3) الأصعر- بالعين المهملة - والصعر هو امالة الوجه عن الناس تهاوناً بهم .

(4) الأنفال 30 .

فجمعهم حوله في الدور وأراد أن يثب في الكوفة في المحرم ، فجاء رجل من أصحاب شبام -وشبام حي من همدان -وكان شريفاً "سمه عبد الرحمن بن شريح فلقي سعيد بن منقذ الثوري ، وسعر بن أبي سعر الحنفي ، والأسود بن جراد الكندي ، وقدامة بن مالك الجشمي فقال لهم : إن المختار يريد يخرج بنا ولا ندري أرسله ابن الحنفية أم لا، فانهضوا بنا إلى ابن الحنفية نخبره بما قدم علينا به المختار فإن رخص . لنا في اتباعه تبعناه وإن نهانا عنه اجتنبناه ، فوالله ما ينبني أن يكون شيء من الدنيا آثر عندنا من سلامة ديننا قالوا له : أصبت .

فخرجوا إلى ابن الحنفية فلما قدموا عليه سألهم عن حال الناس فأخبروه عن حالهم وما هم عليه وأعلموه حال المختار وما دعاهم إليه واستأذنوه في اتباعه ، فلما فرغوا من كلامهم قال لهم بعد أن حمد الله وأثنى عليه وذكر فضيلة أهل البيت والمصيبة بقتل الحسين ثم قال لهم : وأما ما ذكرتم ممن دعاكم إلى الطلب بدمائنا فوالله لوددت أن الله انتصر لنا من عدونا بمن شاء من خلقه -ولوكره لقال لا تفعلوا -فعادوا وناس من الشيعة ينتظرونهم ممن م علموه بحالهم ، وكان ذلك قد شق على المختار وخاف أن يعودوا بأمر يخذل الشيعة عنه ، فلما قدموا الكوفة دخلوا على المختار قبل دخولهم إلى بيوتهم فقال لهم : ما وراءكم ؟ فقد فتنتم وارتبتم فقالوا له : إنا قد أمرنا بنصرك ، فقال : الله أكبر اجمعوا لي الشيعة فجمع من كان قريباً منهم فقال لهم : إن نفراً قد أحبوا أن يعلموا مصداق ما جئت به فرحلوا إلى الامام المهدي فسألوه عما قدمت به عليكم فنبأهم أني وزيره وظهيره ورسوله وأمركم باتباعي وطاعتي فيما دعوتكم إليه من قتال المحلين والطلب بدماء أهل بيت نبيكم المصطفين ، فقام عبد الرحمن بن شريح وأخبرهم بحالهم ومسيرهم وأن ابن الحنفية أمرهم بمظاهرته وموازرته وقال لهم : ليبلغ الشاهد الغائب واستعدوا وتأهبوا ، وقام جماعه من أصحابه فقالوا نحواً من كلامه فاستجمعت له الشيعة وكان من جملتهم الشعبي وأبوه شراحيل .

فلما تهيأ أمره للخروج لمَال له بعض أصحابه : إن أشراف أهل الكوفة مجمعون على قتالكم مع ابن مطيع فإن اجابنا إلى أمرنا ابراهيم بن الأشتر رجونا القوة على عدونا فإنه فتى رئيس وابن رجل شريف له عشيرة ذات عز وعدد. فقال لهم المختار : فالقوه وأدعوه فخرجوا إليه ومعهم الشعبي فأعلموه حالهم وسألوه مساعدتهم عليه وذكروا له ما كان أبوه عليه من ولاء علي وأهل بيته . فقال لهم : إني قد أجبتكم إلى الطلب بدم الحسين

وأهل بيته على أن تولوني الأمر . فقالوا له : أنت لذلك أهل ولكن ليس إلى ذلك سبيل هذا المختار قد جاءنا من قبل المهدي وهو المأمور بالقتال وقد أمرنا بطاعته . فسكت ابراهيم ولم يجبهم فانصرفوا عنه فأخبروا المختار فمكث ثلاثاً ثم سار في بضعة عشر من أصحابه ، والشعبي ، وأبوه فيهم إلى ابراهيم فدخلوا عليه فألقى لهم الوسائد فجلسوا عليها وجلس المختار معه على فراشه فقال له المختار : هذا كتاب من المهدي محمد بن علي أمير المؤمنين وهو خير أهل الأرض اليوم وابن خير أهلها قبل اليوم بعد انبياء الله ورسله وهو يسألك أن تنصرنا وتوازرنا ، قال الشعبي : وكان الكتاب معي ؛ فلما قضى كلامه قال لي : ادفع الكتاب إليه فدفعه إليه الشعبي فقرأه فإذا فيه من محمد المهدي إلى ابراهيم بن مالك الأشتر ، سلام عليك فإني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو أما بعد فإني قد بعثت إليكم وزيري وأميني الذي ارتضيته لنفسي وأمرته بقتال عدوي والطلب بدماء أهل بيتي فانهض معهم بنفسك وعشيرتك ومن أطاعك فإنك إن تنصرني (ا) وأجبت دعوتي كانت لك بذلك عندي فضيلة ولك اعنة الخيل وكل جيش غاز وكل مصر ومنبر وتغر ظهرت عليه فيما بين الكوفة وأقصى بلاد الشام .

فلما فرغ من قراءة الكتاب قال : قد كتب إليّ ابن الحنفية قبل اليوم وكتبت فلم يكتب إلي إلا باسمه واسم أبيه ، قال المختار : إن ذلك زمان وهذا زمان ، قال : فمن يعلم أن هذا كتابه إليَّ ؟ فشهد جماعة ممن معه منهم زيد بن أنس ، وأحمر بن شميط ، وعبد الله بن كامل ، وجماعتهم إلا الشعبي فلما شهدوا تأخر ابراهيم عن صدر الفراش وأجلس المختار عليه وبايعه ثم خرجوا من عنده ، وقال ابراهيم للشعبي : قد رأيتك لم تشهد مع القوم أنت ولا أبوك أفترى هؤلاء شهدوا على حق ؟ فقال له : هؤلاء سادة القراء ، ومشيخة المصر ، وفرسان العرب ولا يقول مثلهم إلا حقاً(2) فكتب أسماءهم وتركها عنده ، ودعا إبراهيم عشيرته ، ومن أطاعه وأقبل يختلف إلى المختار كل عشية عند المساء يدبرون أمورهم ، واجتمع رأيهم على أن يخرجوا ليلة الخميس لأربع عشرة من ربيع الأول سنة ست وستين . فلما كانتَ تلك الليلة عند المغرب صلى الله عليه وسلم ابراهيم بأصحابه ثم خرج يريد المختار وعليه وعلى اصحابه السلاح ، وقد أتى اياس بن

---

(1) في الطبري " إن نصرتي " .

(2) في البداية والنهاية : وكتمته ما في نفسي من اتهامهم ، ولكنى كنت أحب أن يخرجوا للأخذ بثأر الحسين

مضارب عبد الله بن مطيع فقال له : ان المختار خارج عليك بإحدى هاتين الليلتين وقد بعثت ابني إلى الكناسة فلو بعثت في كل جبانة عظيمة بالكوفة رجلاً من أصحابك في جماعة من أهل الطاعة لهاب المختار وأصحابه الخروج عليك ، فبعث ابن مطيع عبد الرحمن بن سعيد بن قيس . الهمداني إلى جبانة السبيع وقال : اكفني قومك ولا تحدثن بها حدثاً ، وبعث كعب بن أبي كعب الخثعمي إلى جبانةَ بشر ، وبعث زحر بن قيس الجعفي إلى جبانة كندة ، وبعث عبد الرحمن بن مخنف إلى جبانة الصائديين ، وبعث شمر بن ذي الجوشن إلى جبانة سالم ، وبعث يزيد بن رويم إلى جبانة المراد وأوصى كلاً منهم أن لا يؤتى من قبله ، وبعث شبث بن ربعي إلى السبخة وقال : إذا سمعت صوت القوم فوجه نحوهم ، وكان خروجهم إلى الجبابين يوم الاثنين ، وخرج ابراهيم بن الأشتر يريد المختار ليلة الثلاثاء - وقد بلغه ان الجبابين قد ملئت رجالاً وأن إياس بن مضارب في الشرط قد أحاط بالسوق والقصر- فأخذ معه من أصحابه نحو مائة دارع وقد لبسوا عليها الأقبية فقال له أصحابه : تجنب الطريق فقال : والله لأمرَّن وسط السوق بجنب القصر ولأرعبن عدونا ولأرينَهم هوانهم علينا . فسار على باب الفيل ثم على دار عمرو بن حريث فلقيهم إياس بن مضارب في الشرط مظهرين السلاح فقال : من أنتم ؟ فقال ابراهيم : أنا ابراهيم بن الأشتر فقال اياس : ما هذا الجمع الذي معك وما تريد؟ ولسست بتاركك حتى آتي بك الأمير فقال ابراهيم : خلِّ سبيلاً قال لا أفعل ، وكان مع اياس بن مضارب رجل من همدان يقال له أبو قطن - وكان يكرمه وكان صديقاً لابن الاشتر- فقال له ابن الاشتر : ادن مني يا أبا قطن فدنا منه وهو يظن ان ابراهيم يطلب منه أن يشفع فيه إلى إياس ، فلما دنا منه أخذ رمحاً كان معه وطعن به إياساً في ثغرة نحره فصرعه ، وأمر رجلاً من قومه فأخذ رأسه . وتفرق أصحاب إياس ورجعوا إلي ابن مطيع فبعث مكانه ابنه راشد بن أياس على الشرط وبعث مكان راشد إلى الكناسة سويد بن عبد الرحمن المنقري أبا القعقاع بن سويد .

وأقبل ابراهيم بن الأشتر إلى المختار وقال له : إنا اتعدنا للخروج القابلة وقد جاء أمر لا بد من الخروج الليلة وأخبره الخبر . ففرح المختار بقتل إياس وقال : هذا أول الفتح إن شاء الله تعالى . ثم قال لسعيد بن منقذ : قم فاشعل النيران في الهوادي والقصب وارفعها . وسر أنت يا عبد الله بن شداد فنادِ يا منصور أمت . وقم أنت يا سفيان بن ليلى ، وأنت يا قدامة بن مالك فناد يا لثارات الحسين . ثم لبس سلاحه فقال

له ابراهيم : إن هؤلاء الذين في الجبابين يمنعون أصحابنا من اتياننا فلو سرت إلى قومي بمن معي ودعوت من أجابني وسرت بهم في نواحي الكوفة ودعوت بشعارنا لخرج إلينا من أراد الخروج . ومن أتاك حبسته عندك إلى من معك فإن عوجلت كان عندك من يمنعك إلى أن آتيك فقال له : افعل وعجل وإياك أن تسير إلى أميرهم تقاتله ولا تقاتل أحداً وأنت تستطيع أن لا تقاتله إلا أن يبدأك أحد بقتال ، فخرج ابراهيم وأصحابه حتى أتى قومه واجتمع إليه جلُّ من كان أجابه ، وسار بهم في سكك المدينة ليلاً طويلاً وهو يتجنب المواضع التي فيها الأمراء الذين وضعهم ابن مطيع . فلما انتهى إلى مسجد السكون أتاه جماعة من خيل زحر بن قيس الجعفي ليس عليهم أمير فحمل عليهم إبراهيم فكشفهم حتى أدخلهم جبانة كندة وهو يقول : اللهم إنك تعلم أنّا غضبنا لأهل بيت نبيك وثرنا لهم فانصرنا على هؤلاء . ثم رجع ابراهيم عنهم بعد ان هزمهم .

ثم سار ابراهيم حتى أتى جبانة أثير فتنادوا بشعارهم فوقف فيها فأتاه سويد بن عبد الرحمن المنقري ورجا أن يصيبهم فيحظى بها عند ابن مطيع فلم يشعر به ابراهيم إلا وهو معه ، فقال ابراهيم لأصحابه : يا شرطة الله انزلوا فإنكم أولى بالنصر من هؤلاء الفساق الذين خاضوا في دماء أهل بيت نبيكم فنزلوا . ثم حمل عليهم ابراهيم حتى أخرجهم إلى الصحراء فانهزموا فركب بعضهم بعضاً وهم يتلاومون وتبعهم حتى ادخلهم الكناسة فقال لإبراهيم أصحابه : اتبعهم واغتنم ما دخلهم من الرعب فقال لا ولكن نأتي صاحبنا يؤمن الله بنا وحشته وبعلم ما كان من نصرنا له فيزداد هو وأصحابه قوة مع أني لا آمن أن يكون قد أوتي .

ثم سار ابراهيم حتى أتى باب المختار فسمع الأصوات عالية والقوم يقتتلون . وقد جاء شبث بن ربعي من قبل السبخة فعبى له المختار يزيد بن أنس ، وجاء حجار بن أبجر العجلي فجعل المختار في وجهه أحمر بن شميط ، فبينما الناس يقتتلون إذ جاء ابراهيم من قبل القصر . فبلغ حجاراً وأصحابه أن ابراهيم قد أتاهم من ورائهم فتفرقوا في الازقة قبل أن يأتيهم ، وجاء قيس بن طهفة النهدي في قريب من مائة وهو من أصحاب المختار فحمل على شبث بن ربعي وهو يقاتل يزيد بن أنس فخلى لهم الطريق حتى اجتمعوا ؛ وأقبل شبث إلى ابن مطيع وقان له : اجمع الامراء الذين بالجبابين وجميع الناس ثم انفذ إلى هؤلاء القوم فقاتلهم فإن أمرهم قد قوي وقد خرج المختار ث ظهر واجتمع ، أمره ، فلما بلغ قوله المختار خرج في جماعة من أصحابه حتى نزل في

ظهر دير هند في السبخة ، وخرج أبو عثمان النهدي فنادى في شاكروهم مجتمعون في دورهم يخافون أن يظهروا لقرب كعب الخثعمي منهم - وكان قد أخذ عليهم أفواه السكك - فلما أتاهم أبو عثمان في جماعة من أصحابه نادى يا لثارات الحسين يا منصور أمت أمت يا أيها الحي المهتدون إن أمين آل محمد ووزيرهم قد خرج فنزل دير هند وبعثني إليكم داعياً ومبشراً فاخرجوا رحمكم الله فخرجوا من الدور تتداعون يا لثاراتَ الحسين وقاتلوا كعباً حتى خلى لهم الطريق فأقبلوا إلى المختار فنزلوا معه ، وخرج عبد الله بن قتادة في نحو من مائتين فنزل مع المختار وكان قد تعرض لهم كعب فلما عرف أنهم من قومه خلى عنهم ،- حرجت شبام - وهم حي من همدان - من آخر ليلتهم فبلغ خبرهم عبد الرحمن بن سعيد الهمداني فأرسل إليهم إن كنتم تريدون المختار فلا تمروا على جبانة السبيع فلحقوا بالمختار ، فتوافى إلى المختار ثلاثة آلاف وثمانمائة من اثني عشر ألفاً كانوا بايعوه فاجتمعوا له قبل الفجر فأصبح وقد فرغ من تعبيته وصلى بأصحابه بغلس ، وأرسل ابن مطيع إلى الجبابين فأمر من بها ان يأتوا المسجد ، وأي راشد بن إياس فنادى في الناس برئت الذمة من رجل لم يأت المسجد الليلة فاجتمعوا ، فبعث ابن مطيع شبث بن ربعي في نحو ثلاثة آلاف إلى المختار ، وبعث راشد بن إياس في أربعة آلاف من الشرط ، فسار شبث إلى المختار فبلغه خبره وقد فرغ من صلاة الصبح فأرسل من أتاه بخبرهم ، وأتى إلى المختار ذلك الوقت سعر بن أبي سعر الحنفي وهو من أصحابه لم يقدر على اتيانه إلا تلك الساعة فرأى راشد بن إياس في طريقه فأخبر المختار خبره أيضاً ، فبعث المختار ابراهيم بن الأشتر إلى راشد في سبعمائة ، وقل! : في ستمائة فارس وستمائة راجل ، وبعث نعيم بن هبيرة أخا مصقلة بن هبيرة في ثلاثمائة فارس وستمائة راجل وأمره بقتال شبث بن ربعي ومن معه وأمرهما بتعجيل القتال وأن لا يستهدفا لعدوّهما فإنه أكثر منهما . فتوجه ابراهيم إلى راشد، وقدّم المختار يزيد بن أنس في موضع مسجد شبث بن ربعي في تسعمائة أمامه ، فتوجه نعيم إلى شبث فقاتله قتالاً شديداً . فجعل نعيم سعر بن أبي سعر على الخيل . ومشى هو في الرجالة فقاتلهم حتى أشرقت الشمس وانبسطت فانهزم أصحاب شبث حتى دخلوا البيوت ،فناداهم شبث وحرضهم فرجع إليه منهم جماعة فحملوا على أصحاب نعيم وقد تفرقوا فهزمهم وصبر نعيم فقتل وأسر سعر بن أبي سعر ، وجماعة من أصحابه فأطلق العرب وقتل الموالي. وجاء شبث حتى أحاط بالمختار

وكان قد وهن لقتل نعيم . وبعث ابن مطيع يزيد بن الحرث بن رويم في ألفين فوقفوا في أفواه السكك .

وولى المختار يزيد بن أنس خيله وخرج هو في الرجالة فحملت عليه خيل شبث فلم يبرحوا مكانهم ، فقال لهم يزيد بن أنس : يا معشر الشيعة انكم كنتم تقتلون وتقطع أيديكم وأرجلكم وتسمل أعينكم وترفعون على جذوع النخل في حب أهل بيت نبيكم وأنتم مقيمون في بيوتكم وطاعة عدوكم فما ظنكم بهؤلاء القوم إذا ظهروا عليكم اليوم والله لا يدعون منكم عيناً تطرف وليقتلنكم صبراً ولترون منهم في أولادكم وأزواجكم وأموالكم ما الموت خير منه والله لا ينجيكم منهم إلا الصدق والصبر والطعن الصائب والضرب الدارك فتهيؤوا للحملة فتيسروا ينتظرون أمره وجثوا على ركبهم .

وأما ابراهيم بن الأشتر فإنه لقي راشداً فإذا معه أربعة آلاف فقال ابراهيم لأصحابه : لا يَهولَنَّكم كثرة هؤلاء ، فوالله لَربَّ رجل خير من عشرة والته مع الصابرين ، وقدم خزيمة بن نصر إليهم في الخيل ونزل هو يمشي في الرجالة ، وأخذ ابراهيم يقول لصاحب رايته : تقدم برايتك امض بهؤلاء وبهؤلاء ، واقتتل الناس قتالاً شديداً ، وحمل خزيمة بن نصر العبسي على راشد فقتله ثم نادى قتلت راشداً ورب الكعبة وانهزم أصحاب راشد ، وأقبل ابراهيم ، وخزيمة، ومن معهما بعد قتل راشد نحو المختار أرسل البشير إلى المختار بقتل راشد فكبر هو وأصحابه وقويت نفوسهم ، ودخل أصحاب ابن مطيع الفشل ، وأرسل ابن مطيع حسان بن فائد بن بكر العبسي في جيش كثيف نحو ألفين فاعترض ابراهيم ليرده عمن بالسبخة من أصحاب ابن مطيع فتقدم إليهم إبراهيم فانهزموا من غير قتال ، وتأخر حسان يحمي أصحابه فحمل عليه خزيمة فعرفه فقال : يا حسان لولا القرابة لقتلتك فانج بنفسك فعثر به فرسه فوقع فابتدره الناس فقاتل ساعة فقال له خزيمة : أنت آمن فلا تقتل نفسك . وكف عنه الناس، وقال لابراهيم : هذا ابن عمي وقد أمنته فقال : أحسنت وأمر بفرسه فأحضر فأركبه وقال : الحق بأهلك .

وأقبل ابراهيم نحو المختار- وشبت بن ربعي محيط به - فلقيه يزيد بن الحرث وهو على أفواه السكك التي تلي السبخة فأقبل إلى إبراهيم ليصده عن شبث وأصحابه فبعث ابراهيم إليه طائفة من أصحابه مع خزيمة بن نصر وسار نحو المختار وشبت فيمن بقي معه . فلما دنا منهم ابراهيم "مل على شبث وحمل يزيد بن م نس فانهزم شبث ومن

معه إلى أبيات الكوفة . وحمل خزيمة بن نصر على يزيد بن الحرث فهزمه وازدحموا على أفواه السكك وفوق البيوت . وأقبل المختار فلما انتهى إلى أفواه السكك رمته الرماة بالنبل فصدوه عن الدخول إلى الكوفة من ذلك الوجه .

ورجع الناس من السبخة منهزمين إلى ابن مطيع وجاءه قتل راشد بن إياس فسقط في يده ، فقال له عمرو بن الحجاج الزبيدي : أيها الرجل لا تلق بيدك واخرج إلى الناس واندبهم إلى عدوك فإن الناس كثير وكلهم معك إلا هذه الطائفة التي خرجت والته يخزيها وأنا أول منتدب فانتدب معي طائفة ومع غيري طائفة ، فخرج ابن مطيع فقام في الناس ووبخهم على هزيمتهم وأمرهم بالخروج إلى المختار . وأصحابه ولما رأى المختار أنه قد منعه يزيد بن الحرث من دخول الكوفة عدل إلى بيوت مزينة ، وأحمس ، وبارق ، وبيوتهم منفردة ، فسقوا أصحابه الماء ولم يشرب هو فإنه كان صائماً فقال احمر بن شميط لابن كامل : أتراه صائماً ؟ قال : نعم قال : لو أفطر كان أقوى له قال : إنه معصوم وهو أعلم بما يصنع فقال أحمر : صدقت أستغفر الله ، فقال المختار : نعم المكان للقتال هذا ، فقال ابراهيم : إن القوم قد هزمهم الله وأدخل الرعب في قلوبهم ، سر بنا فوالله ما دون القصر مانع ، فترك المختار هناك كل شيخ ضعيف ذي علة وثقلهم واستخلف عليهم أبا عثمان النهدي وقدم ابراهيم أمامه ، وبعث ابن مطيع عمرو بن الحجاج في ألفين فخرج عليهم ، فأرسل المختار إلى إبراهيم أن اطوه ولا تقم عليه فطواه وأقام ؛ وأمر المختار يزيد بن أنس أن يواقف عمرو بن الحجاج فمض إليه ، وسار المختار في أثر ابراهيم ثم وقف في موضع مصلى خالد بن عبد الله ، ومض ابراهيم ليدخل الكوفة من نحو الكناسة فخرج إليه شمر بن ذي الجوشن في ألفين فسرح إليه المختار سعيد بن منقذ الهمداني فواقعه وأرسل إلى إبراهيم يأمره بالمسير : فسار حتى انتهى إلى سكة شبت فإذا نوفل بن مساحق في ألفين . وقيل : خمسة آلاف وهو الصحيح .

وقد أمر ابن مطيع منادياً في الناس ان الحقوا بابن مساحق ، وخرج ابن مطيع فوقف بالكناسة واستخلف شبت بن ربعي على القصر ، فدنا ابن الاشتر من ابن مطيع فأمر أصحابه بالنزول وقال لهم : لا يهولنكم أن يقال جاء شبت ، وآل عتيبة بن النهاس وأل الأشعث ، وآل يزيد بن الحرث ، وآل فلان . فسمى بيوتات م هل الكوفة . ثم قال : ان هؤلاء لو وجدوا حرَّ السيوف لانهزموا عن ابن مطيع انهزام المعزى من الذئب

ففعلوا ذلك ، وأخذ ابن الاشتر أسفل قبائه فأدخله في منطقته وكان القباء على الدرع فلم يلبثوا حين حمل عليهم أن انهزموا يركب بعضهم بعضاً على أفواه السكك وازدحموا ، وانتهى ابن الاشتر إلى ابن مساحق فأخذ بعنان دابته ورفع السيف عليه فقال له : يا ابن الاشتر انشدك الله هل بيني وبينك من إحنة أو تطلبني بثأر ، فخلّى سبيله. وقال : اذكرها فكان يذكرها له ، ودخلوا الكناسة في آثارهم حتى دخلوا السوق والمسجد وحصروا ابن مطيع ومعه الاشراف من الناس غير عمرو بن حريث فإنه أتى داره ثم خرج إلى البر ، وجاء المختار حتى نزل جانب السوق ووَلّى ابراهيم حصار القصر ومعه يزيد بن أنس ، وأحمر بن شميط ، فحصروهم ثلاثاً فاشتد الحصار عليهم فقال شبت لابن مطيع : انظر لنفسك ولمن معك فوالله ما عندهم غنى عنك ولا عن أنفسهم . فقال : أشيروا عليَّ فقال شبت : الرأي أن تأخذ لنفسك ولنا أماناً وتخرج ولا تهلك نفسك ومن معك ، فقال ابن مطيع : إني لأكره أن آخذ منه أماناً والأمور لأمير المؤمنين مستقيمة بالحجاز والبصرة قال : فتخرج ولا يشعر بك أحد فتنزل بالكوفة عند من تثق إليه حتى تلحق بصاحبك ، وأشار بذلك عبد الرحمن بن سعيد ، وأسماء بن خارجة ، وابن مخنف ، وأشراف الكوفة فأقام حتى أمسى وقال لهم : قد علمت أن الذين صنعوا هذا بكم أنهم أراذلكم وأخساؤكم وإن أشرافكم وأهل الفضل منكم سامعون مطيعون وأنا مبلغ ذلك صاحبي ومعلمه طاعتكم وجهادكم حتى كان الله الغالب على أمره فأثنوا عليه خيراً. وخرج عنهم وأتى دار أبي موسى؛ فجاء ابن الأشتر ونزل القصر ففتح أصحابه الباب وقالوا : يا ابن الأشتر آمنون نحن ؟ قال : أنتم آمنون فخرجوا فبايعوا المختار ودخل المختار القصر فبات فيه؛ وأصبح أشراف الناس في المسجد وعلى باب القصر .

وخرج المختار فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عبيه فقال : الحمد للّه الذي وعد وليه النصر وعدوه الخسر وجعله فيه إلى آخر الدهر وعداً مفعولاً وقضاء مقضياً وقد خاب من افترى ، أيها الناس إنّا رفعت لنا راية ومدت لنا غاية فقيل لنا في الراية أن ارفعوها وفي الغاية أن اجروا إليها ولا تعدوها فسمعنا دعوة الداعي ومقالة الواعي فكم من ناع وناعية لقتلى في الواعية وبعداً لمن طغى وأدبر وعصى وكذب وتولى ، ألا فادخلوا أيها الناس وبايعوا بيعة هدى ، فلا والذي جعل السماء سقفاً مكفوفاً ، والأرض فجاجاً سبلاً ، ما بايعتم بعد بيعة علي بن أبي طالب ، وآل علي أهدى منها . ثم نزل ودخل

عليه أشراف الكوفة فبايعوه على كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والطلب بدماء أهل البيت وجهاد المحلين والدفع عن الضعفاء وقتال من قاتلنا وسلم من سالمنا . وكان ممن بايعه المنذر بن حسان ، وابنه حسان ، فلما خرجا من عنده استقبلهما سعيد بن منقذ الثوري قي جماعة من الشيعة فلما رأوهما قالوا : هذان والله من رؤوس الجبارين فقتلوا المنذر وابنه حسان فنهاهم سعيد حتى يأخذوا أمر المختار فلم ينتهوا فلما سمع المختار ذلك كرهه . وأقبل المختار يمني الناس ويستجر مودة الأشراف ، ويحسن السيرة؛ وقيل له : ان ابن مطيع في دار أبي موسى فسكتَ فلما أمسى بعث له بمائة ألف درهم وقال : تجهز بهذه فقد علمت مكانك وأنك لم يمنعك من الخروج إلا عدم النفقة وكان بينهما صداقة ووجد المختار في بيت المال تسعة آلاف ألف فأعطى أصحابه الذين قاتل بهم حين حصر ابن مطيع في القصر وهم ثلاثة وخمسمائة لكل رجل منهم خمسمائة درهم ، وأعطى ستة آلاف .من أصحابه أتوه بعدما أحاط بالقصر وأقاموا معه تلك الليلة وتلك الأيام الثلاثة مائتين مائتين ، واستقبل الناس بخير وجعل الأشراف جلساءه ، وجعل على شرطته عبد الله بن كامل الشاكري ، وعلى حرسه كيسان أبا عمرة ، فقام أبو عمرة على رأسه ذات يوم وهو مقبل على الأشراف بحديثه ووجهه فقال لأبي عمرة بعض أصحابه من الموالي : أما ترى أبا اسحاق قد أقبل على العرب ما ينظر إلينا ، فسأله المختار عما قالوا له فأخبره فقال : قل لهم لا يشقُّ عليهم ذلك فأنتم مني وأنا منكم وسكت طويلاً ثم قرأ : { إنا من المجرمين منتقمون }(1) فلما سمعوها قال بعضهم لبعض : ابشروا كأنكم والله قد قتلتم –يعني الرؤساء - .

وكان أول راية عقدها المختار لعبد الله بن الحرث أخي الأشتر على أرمينية ، وبعث محمد بن عمير بن عطارد على أذربيجان . وبعث عبد الرحمن بن سعيد بن قيس على الموصل ، وبعث اسحاق بن مسعود على المدائن وأرض جوخى ، وبعث قدامة بن أبي عيسى بن زمعة النصري حليف ثقيف على بهقباذ الأعلى . وبعث محمد بن كعب بن قرظة على بهقباذ الأوسط ، وبعث سعد بن حذيفة بن اليمان على حلوان وأمره بقتال الأكراد وإقامة الطرق ، وكان ابن الزبير قد استعمل على الموصل محمد بن الأشعث بن قيس ، فلما وَلي المختار وبعث عبد الرحمن بن سعيد إلى

---

(1) السجدة 22 .

الموصل أميراً سار محمد عنها إلى تكريت ينظر ما يكون من الناس ثم سار إلى المختار فبايعه ، فلما فرغ المختار مما يريد صار يجلس للناس وتقضي بينهم ، ثم قال : إن لي فيما أحاول لشغلا عن القضاء ، ثم أقام شريحاً يقضي بين الناس ثم خافهم شريح فتمارض ، وكانوا يقولون إنه عثماني ، وإنه شهد على حجر بن عدي ، وإنه لم يبلغ هانىء بن عروة ما أرسله به . وإن علياً عزله عن القضاء، فلما بلغ شريحاً ذلك منهم تمارض فجعل المختار مكانه عبد الله بن عتبة بن مسعود ، ثم إن عبد الله مرض فجعل مكانه عبد الله بن مالك الطائي .

ذكر قتل المختار قتلة الحسين عليه السلام

وفي هذه السنة وتب المختار بمن بالكوفة من قتلة الحسين ، وكان سبب ذلك أن مروان بن المحكم لما استوثقت له الشام بعث جيشين ، أحدهما إلى الحجاز عليه حبيش بن دلجة القيني وقد ذكرنا أمره وقتله ، والجيش الأخر إلى العراق مع عبيد الله بن زياد ؛ وقد ذكرنا ما كان من أمره وأمر التوابين ، وكان قد جعل لابن زياد ما غلب عليه وأمره أن ينهب الكوفة ثلاثاً ، فاحتبس بالجزيرة وبها قيس عيلان مع زفر بن الحرث على طاعة ابن الزبير ، فلم يزل عبيد الله بن زياد مشتغلاً بهم عن العراق نحو سنة فتوفي مروان وولي بعده ابنه عبد الملك بن مروان فأقر ابن زياد على ما كان أبوه ولاه وأمره بالجد في أمره .

فلما لم يمكنه في زفر ومن معه من قيس شيء أقبل إلى الموصل فكتب عبد الرحمن بن سعيد عامل المختار إلى المختار يخبره بدخول ابن زياد أرض الموصل وأنه قد تنحى له عن الموصل إلى تكريت ، فدعا المختار يزيد بن أنس الأسدي وأمره أن يسير إلى الموصل فينزل بأداني أرضها حتى يمده بالجنود، فقال له يزيد : خلني انتخب ثلاثة آلاف فارس وخلني مما توجهني إليه فإن احتجت كتبت إليك استمدك فأجابه المختار ، فانتخب له ثلاثة آلاف وسار عن الكوفة وسار معه المختار والناس يشيعونه ، فلما ودعه قال له : إذا لقيت عدوّك فلا تناظرهم وإذا أمكنتك الفرصة فلا تؤخرها وليكن خبرك كل يوم عندي وإن احتجت إلي مدد فاكتب إليّ مع أني ممدك وإن لم تستمد لأنه أشد لعضدك وأرعب لعدوك ، ودعا الناس له بالسلامة ودعا لهم فقال لهم : سلوا الله لي الشهادة فوالله لئن فاتني النصر لا تفوتني الشهادة .

فكتب المختار إلى عبد الرحمن بن سعيد أن خل بين يزيد وبين البلاد فسار يزيد إلى المدائن ثم سار إلى أرض جوخى والراذانات إلى أرض الموصل فنزل بباقلى،(1) ، وبلغ خبره ابن زياد فقال : لأبعثن إلى كل ألف ألفين ، فأرسل ربيعة بن مخارق الغنوي في ثلاثة آلاف ، وعبد الله بن جملة الخثعمي في ثلاثة آلاف ، فسار ربيعة قبل عبد"الله بيوم فنزل يزيد بن أنس بباقلي ، فخرج يزيد بن أنس وهو مريض شديد المرض راكب على حمار يمسكه الرجال فوقف على أصحابه وعباهم وحثهم على القتال وقال : إن هلكت فأميركم ورقاء بن العازب الأسدي فإن هلك فأميركم عبد الله بن ضمرة العذري فان هلك فأميركم سعر بن أبي سعر الحنفي وجعل على ميمنته عبد الله ، وعلى ميسرته سعرا ، وعلى الخيل ورقاء ، ونزل هو فوضع بين الرجال على سرير وقال : قاتلوا عن أميركم إن شئتم م وفروا عنه وهو يأمر الناس بما يفعلون ثم يغمى عليه ثم يفيق .

واقتتل العاس عند فلق الصبح يوم عرفة واشتد قتالهم إلى ارتفاع الضحى فانهزم أهل الشام وأخذ عسكرهم وانتهى أصحاب يزيد إلى ربيعة بن مخارق وقد انهزم عنه أصحابه وهو نازل ينادي يا أولياء الحق أنا ابن مخارق إنما تقاتلون العبيد الأبَّاق ومن ترك الإسلام وخرج منه فاجتمع إليه جماعة فقاتلوا معه فاشتد القتال ، ثم انهزم م هل الشام ، وقتل ربيعة بن مخارق قتله عبد الله بن ورقاء الأسدي ، وعبد الله بن ضمرة العذري ، فلم يسر المنهزمون غير ساعة حتى لقيهم عبد الله بن جملة(2) في ثلاثة آلاف فرد معه المنهزمين ونزل يزيد بباقلى فباتوا ليلتهم يتحارسون، فلما صبحوا يوم الأضحى خرجوا إلى القتال فاقتتلوا قتالًا شديداً ثم نزلوا فصلوا الظهر ثم عادوا إلى القتال فانهزم م هل الشام ، وترك ابن جملة في جماعة فقاتل قتالاً شديداً فحمل عليه عبد الله بن قراد الخثعمي فقتله ، وحوى أهل الكوفة عسكرهم وقتلوا فيهم قتلًا ذريعاً؛ وأسروا منهم ثلاثمائة أسير وأمر يزيد بن أنس بقتلهم وهو بآخر رمق فقتلوا ، ثم مات آخر النهار فدفنه أصحابه وسقط في أيديهم ، وكان قد استخلف ورقاء بن عازب الأسدي فصلى عليه ثم قال لأصحابه : ماذا ترون ؟ انه قد بلغني أن ابن زياد قد أقبل إليكم في ثمانين ألفاً وإنما أنا رجل منكم فأشيروا علي فإني لا أرى لنا بأهل الشام طاقة على هذه الحال وقد هلك

(1) في الطبري " فنزل ببنات تلى " ولعلها بنات قين .

(2) في الطبري "ابن حملة " بالحاء المهملة .

يزيد وتفرق عنا بعض من معنا فلو انصرفنا اليوم من تلقاء أنفسنا لقالوا : إنما رجعنا عنهم لموت أميرنا ولم يزالوا هائبين وإن لقيناهم اليوم كنا مخاطرين فإن هزمونا اليوم لم تنفعنا هزيمتنا إياهم بالأمس . فقالوا : نعْمَ ما رأيت . فانصرفوا فبلغ ذلك المختار ، وأهل الكوفة فأرجف الناس بالمختار وقالوا : إن يزيد قتل ولم يصدقوا أنه ف ،ت ، فدعا المختار ابراهيم بن الأشتر وأمره على سبعة آلاف وقال له : سر فإذا لقيت جيش يزيد بن أنس فأنت الأمير عليهم فارددهم معك حتى تلقى ابن زياد ، وأصحابه فتناجزهم ، فخرج ابراهيم فعسكر بحمام أعين وسار ، فلما سار اجتمع أشراف الكوفة عند شبث بن ربعي وقالوا : والله إن المختار تأمر علينا بغير رضا منا ولقد أذرى(ا) بمواليينا فحملهم على الدواب وأعطاهم فيئنا - وكان شبث شيخهم وكان جاهلياً إسلامياً - فقال لهم شبث : دعوني حتى ألقاه ، فذهب إليه فلم يه غ شيئاً أنكروه إلا ذكره له فأخذ لا يذكر خصلة إلا قال له المختار : أنا أرضيهم في هذه الخصلة وأتي لهم كل ما أحبوا ، وذكر له الموالي ومشاركتهم في الفيء فقال له : إن أنا تركت مواليكم وجعلت فيئكم لكم تقاتلون معي بني أمية ، وابن الزبير وتعطوني على الوفاء عهد الله وميثاقه وما ج طمئن إليه من الأيمان ؟ فقال شبث : حتى أخرج إلى أصحابي فاذكر لهم ذلك ، فخرج إليهم فلم يرجع إليه وأجمع رأيهم على قتاله .

فاجتمع شبث بن ربعي ، ومحمد بن الأشعث ، وعبد الرحمن بن سعيد بن قيس ، وشمر حتى دخلوا على كعب بن أبي كعب الخثعمي فكلموه في ذلك فأجابهم إليه ، فخرجوا من عنده حتى دخلوا على عبد الرحمن بن مخنف الأزدي فدعوه إلى ذلك فقال لهم : ان أطعتموني لم تخرجوا فقالوا له : لم ؟ فقال : لأني أخاف أن تتفرقوا وتختلفوا ومع الرجل شجعانكم وفرسانكم مثل فلان وفلان ثم معه عبيدكم ومواليكم وكلمة هؤلاء واحدة ومواليكم أشد حنقاً عليكم من عدوكم فهم مقاتلوكم بشجاعة العرب وعداوة العجم ، وإن انتظرتموه قليلاً كفيتموه بقدوم أهل الشام ومجيء أهل البصرة فتكفونه بغيركم (2) ولم تجعلوا بأسكم بينكم فقالوا : ننشدك الله أن تخالفنا وتفسد علينا رأينا وما أجمعنا عليه ؛ فقال : إنما أنا رجل منكم ، فإذا شئتم فاخرجوا ،

---

(1) في الأصل " آذى بمواليينا " .

(2) في الطبري " فتكونوا قد كفيتموه بغيركم " وهي اظهر .

فوثبوا بالمختار بعد مسير إبراهيم بن الاشتر وخرجوا بالجبابين كل رئيس بجبانة ، فلما بلغ المختار خروجهم أرسل قاصداً مجداً إلى إبراهيم بن الأشتر فلحقه وهو بساباط فأمره بالرجوع والسرعة وبعث المختار إليهم في ذلك أخبروني ماذا تريدون فإني صانع كل ما أحببتم ؟ قالوا : أن تعتزلنا فإنك زعمت (ا)أن ابن الحنفية بعثك ولم يبعثك قال : فأرسلوا إليه وفداً من قبلكم وأرسل أنا إليه وفداً ثم أنظروا في ذلك حتى يظهر لكم –وهو يريد أن يريثهم بهذه المقالة حتى يقدم عليه ابراهيم بن الأشتر- وأمر أصحابه فكفّوا أيديهم وقد أخذ عليهم أهل الكوفة بأفواه السكك فلا يصل إليهم شيء إلا القليل ، وخرج عبد الله بن سبيع في الميدان فقاتله بنو شاكر قتالاً شديداً فجاءه عقبة بن طارق الجشمي فقاتل معه ساعة حتى ردهم عنه ، ثم أقبل فنزل عقبة مع شمر ومعه قيس عيلان في جبانة سلول ، ونزل عبد الله بن سبيع مع أهل اليمن في جبانة السبيع . ولما سار رسول المختار وصل إلى ابن الأشتر عشية يومه فرجع ابن الأشتر بقية عشيته تلك الليلة ثم نزل حتى امسى وأراحوا دوابهم قليلاً ثم سار ليلته كلها ومن الغد فوصل العصر وبات ليلته في المسجد ومعه من أصحابه أهل القوة .

ولما اجتمع أهل اليمن بجبانة السبيع حضرت الصلوات فكره كل رأس من أهل اليمن أن يتقدمه صاحبه فقال لهم عبد الرحمن بن مخنف : هذا أول الاختلاف قدموا الرضى فيكم سيد القراء رفاعة بن شداد البجلي ففعلوا فلم يزل يصلي بهم حتى كانت الوقعة ، ثم إن المختار عبى أصحابه في السوق وليس فيه بنيان فأمر ابن الأشتر فسار إلى مضر وعليهم شبث بن ربعي ، ومحمد بن عمير بن عطارد وهم بالكناسة ، وخشي أن يرسله إلى أهل اليمن فلا يبالغ في قتال قومه ، وسار المختار نحو أهل اليمن بجبانة السبيع ووقف عند دار عمرو بن سعيد(2) وسرح بين يديه أحمر بن شميط البجلي ، وعبد الله بن كامل الشاكري ، وأمر كلاً منهما بلزوم طريق ذكره له يخرج إلى جبانة السبيع وأسر إليهما أن شباماً قد أرسلوا إليه يخبرونه أنهم يأتون القوم من ورائهم ، فمضيا كما أمرهما فبلغ أهل اليمن مسيرهما فافترقوا إليهما واقتتلوا أشد قتال رآه الناس ، ثم انهزم أصحاب أحمر بن شميط ، وأصحاب ابن كامل ووصلوا إلى المختار

(ا) في الأصل " عزمت " وهي غلط .

(2) في الطبري " عند دار عمر بن سعد بن أبي وقاص " وهي الصحيحة .

فقال : ما وراءكم ؟ قالوا : هزمنا وقد نزل أحمر بن شميط ومعه ناس من أصحابه . وقال أصحاب ابن كامل : ما ندري ما فعل ابن كامل . فأقبل بهم المختار نحو القوم حتى بلغ دار أبي عبد الله الجدلي فوقف .

ثم أرسل عبد الله بن قراد الخثعمي في أربعمائة إلى ابن كامل وقال له : إن كان قد هلك فأنت مكانه وقاتل القوم وإن كان حياً فاترك عنده ثلاثمائة من أصحابك وامض في مائة حتى تأتي جبانة السبيع فتأتي أهلها من ناحية حمام قطن ، فمضى فوجد ابن كامل يقاتلهم في جماعة من أصحابه قد صبروا معه فترك عنده ثلاثمائة رجل وسار في مائة حتى أتى مسجد عبد القيس ، وقال لأصحابه : إني أحب أن يظهر المختار وأكره أن تهلك أشراف عشيرتي اليوم ووالله لأن أموت أحب إلي من أن يهلكوا على يدي ولكن قفوا فقد سمعت أن شباماً يأتونهم من ورائهم فلعلهم يفعلون ذلك ونعافى نحن منه فأجابوه إلى ذلك . فبات عند مسجد عبد القيس .

وبعث المختار مالك بن عمرو النهدي وكان شجاعاً ، وعبد الله بن شريك النهدي في أربعمائة(ا) إلى أحمر بن شميط فانتهوا إليه وقد علاه القوم وكثروه فاشتد قتالهم عند ذلك ، وأما ابن الأشتر فإنه مضى إلى مضر فلقي شبث بن ربعي ومن معه فقال لهم ابراهيم : ويحكم انصرفوا فما أحب أن يصاب من مضر على يدي فأبوا وقاتلوا فهزمهم وجرح حسان بن فائد العبسي فحمل إلى أهله فمات ، فكان مع شبث وجاءت البشارة إلى المختار بهزيمة مضر ، فأرسل إلى أحمر بن شميط ، وابن كامل يبشرهما فاشتد أمرهما فاجتمع شبام وقد رأسوا عليهم أبا القلوص ليأتوا اليمن ورائهم فقال بعضهم لبعض : لو جعلتم جدكم على مضر وربيعة لكان أصوب - وأبو القلوص ساكت -فقالوا : ما تقول ؟ فقال : قال الله تعالى : { قاتلوا الذين يلونكم من الكفار}(2) فساروا معه نحو أهل اليمن ، فلما خرجوا إلى جبانة السبيع لقيهم على فم السكة الأعسر الشاكري فقتلوه ونادوا في الجبانة وقد دخلوها يالثارات الحسين فسمعها يزيد بن عمير ذي مران الهمداني فقال : يالثارات عثمان . فقال لهم رفاعة بن شداد : ما لنا ولعثمان ؟ لا أقاتل مج قوم يبغون دم عثمان . فقال له ناس من قومه جئت بنا وأطعناك حتى إذا رأينا قومنا تأخذهم السيوف . قلت : انصرفوا ودعوهم ، فعطف عليهم وهو

---

(1) في الطبري " في مائتين ".
(2) النوبة : الآية 123 .

يقول :

أنا ابن شدّادِ على دين علي لست لعثمانَ بن أروى بولي

لأصْلَيَنَّ اليومَ فيمن يصطلي بِحَرِ نار الحرب غَيْرَ مؤتلِي

فقاتل حتى قتل ، وكان رفاعة مع المختار فلما رأى كذبه أرَاد قتله غيلة قال : فمنعنى قول النبي صلى الله عليه وسلم " من ائتمنه رجل على دمه فقتله فأنا منه بريء " ، فلما كان هذا اليوم قّاتل مع م هل الكوفة . فلما شمع يزيد بن عمير يقول : يالثارات عثمان عاد عنهم فقاتل مع المختار حتى قتل ، وقتل يزيد بن عمير بن ذي مران ، والنعمان بن صهبان الجرمي وكان ناسكاً ، وقتل الفرات بن زحر بن قيس وجرح أبوه زحر ، وقتل عبد الله بن سعيد بن قيس (أ) وقتل عمر بن مخنف ، وقاتل عبد الرحمن بن مخنف حق جرح وحملته الرجال على أيديهم وما يشعر ، وقاتَل حوله رجال من الأزد ، وانهزم أهل اليمن هزيمة قبيحة ، وأخذ من دور الوادعيين خمسمائة أسير فأتى بهم المختار مكتفين فأمر المختار بإحضارهم وعرضهم عليه وقال : انظروا من شهد منهم قتل الحسين فأعلموني فقتل كل من شهد منهم قتل الحسين فقتل منهم مائتين وثمانية وأربعين قتيلاً ، وأخذ أصحابه يقتلون كل من كان يؤذيهم فلما سمع المختار بذلك أمر بإطلاق كل من بقي من الأسارى وأخذ عليهم المواثيق أن لا يجامعوا عليه عدواً ولا يبغوه وأصحابه غائلة ، ونادى منادي المختار من أغلق بابه فهو آمن إلا من شرك في دماء آل محمد صلى الله عليه وسلم ، وكان عمرو بن الحجاج الزبيدي ممن شهد قتل الحسين فركب راحلته وأخذ طريق واقصة فلم يُر له خبر حتى الساعة.

وقيل : أدركه أصحاب المختار وقد سقط من شدة العطش فذبحوه وأخذوا رأسه ، ولما قتل فرات بن زحر بن قيس أرسلت عائشة بنت خليفة بن عبد الله الجعفية وكانت امرأة الحسين إلى المختار تسأله أن يأذن لها فى دفنه ففعل فدفنته ، وبعث المختار غلاماً له يدعى زربي في طلب شمر بن ذي الجوشن ومعه أصحابه فلما دنوا منه قال شمر لأصحابه : تباعدوا عني لعله يطمع في فتباعدوا عنه فطمع زربي فيه ثم حمل عليه شمر فقتله ، وسار شمر حتى نزل مساء ساتيدما ثم سار حتى نزل قرية يقال لها الكلتانية على شاطىء نهر إلى جانب تل ، ثم م رسل إلى أهل تلك القرية فأخذ منها علجاً فضرته وقال : امض بكتابي هذا إلى مصب بن الزبير فمضى العلج حتى دخل

(ا) في الطبري " وقتل عبد الرحمن بن سعيد بن قيس ".

القرية وفيها أبو عمرة صاحب المختار وكان قد أرسله المختار إلى تلك القرية ليكون مسلحة بينه وبين أهل البصرة فلقي ذلك العلج علجاً آخر من تلك القرية فشكا إليه ما لقي من شمر فبينا هو يكلمه إذ مرّ به رجل من أصحاب أبي عمرة اسمه عبد الرحمن بن أبي الكنود فرأى الكتاب وعنوانه لمصعب بن الزبير من شمر فقال للعلج : أين هو؟ فأخبره فإذا ليس بينه وبينهم إلا ثلاثة فراسخ قال : فأقبلوا يسيرون إليه وكان قد قال لشمر أصحابه : لو ارتحلت بنا من هذه القرية فإنا نتخوف منها ، فقال : كل هذا فزعاً من الكذاب والله لا أتحول منها ثلاثة أيام ملأ الله قلوبهم رعباً فإنهم لنيام إذ سمع وقع الحوافر فقالوا في أنفسهم : هذا صوت الدبى ثم اشتد فذهب أصحابه ليقوموا فإذا بالخيل قد اشرفت من التل فكبروا وأحاطوا بالأبيات فولى أصحابه هاربين وتركوا خيولهم ، وقام شهر وقد اتزر- ببرد وكان أبرص فظهر بياض برصه من فوق البرد –وهو يطاعنهم بالرمح وقد عجلوه عن لبس ثيابه وسلاحه وكان أصحابه قد فارقوه ، فلما أبعدوا عنه سمعوا التكبير وقاتلًا يقول : قتل الخبيث قتله ابن أبي الكنود وهو الذي رأى الكتاب مع العلج وألقيت جثته للكلاب ، قال : وسمعته بعد أن قاتلنا بالرمح ثم ألقاه وأخذ السيف فقاتلنا به وهو يرتجز شعراً :

نَبَّهْتُمُ لَيْثَ عَرينِ باسلا جهماً مُحَتاه يدقُ الكاهلا
لم يُرَ يوماً عن عدو ناكلا إلا كذا مقاتلًا أو قاتلا
يَنْزَحُهُمْ (أ) ضرباً وَيَرْوِي العاملا

وأقبل المختار إلى القصر من جبانة السبيع ومعه سراقة بن مرداس البارقي أسيراً فناداه شعراً :

امنن علي اليوم يا خير معدِ نجير من حل بتجر(2) والجند وخير من لبى وحيا وسجد فأرسله المختار إلى السجن ثم أحضره من الغد فأقبل إليه وهو يقول شعراً :

ألا أبلغ أبا إسحق أنا نَزَوْنا نَزْوَةً كانت علينا
خرجنا لا نرى الضعفاء شيئاً وكان خروجُنا بطراً وَحَيْنا(3)

---

(1) قي الطبري " يبرحهم ضرباً " .
(2) في الطبري " من حل بشحر" .
(3) وبعد هذين البيتين بيتان ذكرهما الطبري وهما :

لقينا منهم ضرباً طلحفاً وطعناً صائباً حتى انثنينا
نصرت على عدوك كل يوم بكلِّ كتيبةٍ تنعى حُسَيْنا
كنصرِ محمدٍ في يوم بدر وقوم الشعب إذ لاقى حُنَيْنا
فأسجحَ إذ ملكت فلو ملكنا لجرنا في الحكومة واعتدينا
تقبل توبةً مني فإني سأشكر إذ جعلت النقدَ دَيْنا

قال : فلما انتهى إلى المختار قال : أصلح الله الأمير أحلف بالله الذي لا إله إلا هو لقد رأيت الملائكة تقاتل معك على الخيول البلق بين السماء والأرض؛ فقال له المختار : اصد المنبر فأعلمِ الناس فصعد فأخبرهم بذلك ثم نزل فخلا به فقال له : إني قد علمت انك لم تر شيئاَ وإنما أردت ما قد عرفت أن لا أقتلك فاذهب عني حيت شئت لا تفسد علي أصحابي ، فخرج إلى البصرة فنزل عند مصعب وقال شعراً :

ألا أبلغ أبا إسحق أني رأيت البُلْقَ دهماً مصمتاتِ
كفرتُ بِوَحْيِكُمْ وجعلتُ نذراً عليَّ قتالكم حتى المماتِ
أري عَينيَّ ما لم تبصراه كلانا عالمٌ بالتّرهَاتِ (1)

وقتل يومئذ عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني وادعى قتله سعر بن أبي سعر ، وأبو الزبير الشبامي - وشبام بن همدان - ورجل آخر فقال ابن عبد الرحمن لأبي الزبير الشبامي : أتقتل أبي عبد الرحمن سيد قومك ؟ فقوم لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوَادّونَ من حادّ الله ورسوله }(2) الآية ،وانجلت الوقعة عن سبعمائة وثمانين قتيلاً من قومه ، وكان أكثر القتل ذلك اليوم في أهل اليمن ، وكانت الوقعة لست ليالٍ بقين من ذي الحجة سنة ست وستين ، وخرج أشراف الناس فلحقوا بالبصرة وتجرد المختار لقتلة الحسين وقال : ما من ديننا أن نترك قتلة الحسين أحياء بئس ناصر آل محمد صلى الله عليه وسلم أنا إذاً في الدنيا أنا إذاً الكذاب كما سمونيِ وإني أستعين بالله عليهم فسموهم

= نراهم في مصافهم قليلا وهم مثل الدبى حين التقينا
برزنا إذ رأيناهم فلما رأينا القوم قد برزوا الينا

(1) سقط هنا بيت ذكره الطبري وهو :
إذا قالوا أقول لهم كذبتم وإن خرجوا لبست لهم أداتي

(2) المجادلة : الآية 22 .

لي ثم اتبعوهم حتى تقتلوهم فإني لا يسوغ لي الطعام والشراب حتى أطهر الأرض منهم ، فدل على عبدالله بن أسيد الجهني، ومالك بن بشير البدي ، وحمل بن مالك المحاربي فبعث إليهم المختار فأحضرهم من القادسية فلما رآهم قال : يا أعداء الله ورسوله أين الحسين بن علي ؟ أدوا إنى الحسين ، قتلتم من أمرتم بالصلاة عليهم ؟ فقالوا : رحمك الله بعثنا كارهين فامنن علينا واستبقنا فقال لهم : هلا مننتم على الحسين ابن بنت نبيكم فاستبقيتموه وسقيتموه .

وكان البدي صاحب برنسه فأمر بقطع يديه ورجليه وترك يضطرب حتى مات وقتل الآخرين ، وأمر بزياد بن مالك الضبعي ، وبعمران بن خالد القشيري، وبعبد الرحمن بن أبي خشارة(1) البجلي ، وبعبدالله بن قيس الخولاني فأحضروا عنده فلما رآهم قال : يا قتلة الصالحين وقتلة سيد شباب أهل الجنة قد أقاد الله منكم اليوم لقد جاءكم الورس في يوم نحس - وكانوا نهبوا من الورس الذي كان مع الحسين - ثم أمر بهم فقتلوا ، وأحضروا عنده عبدالله ، وعبد الرحمن ابني صلحت (2) ، وعبدالله بن وهب بن عمرو الهمداني وهو ابن عم أعشى همدان فأمر بقتلهم فقتلوا ، وأحضر عنده عثمان بن خالد بن أسيد(3) الدهماني الجهني وأبو أسماء بشر بن شميط القانصي (4) وكانا قد اشتركا في قتل عبد الرحمن بن عقيل وفي سلبه فضرب أعناقهما وأحرقا بالنار ، ثم أرسل إلى خولي بن يزيد الأصبحي - وهو صاحب رأس الحسين - فاختفى في مخرجه فدخل أصحاب المختار يفتشون عليه فخرجت امرأته واسمها العيوف بنت مالك وكانت تعاديه منذ جاء برأس الحسين فقالت لهم : ما تريدون ؟ فقالوا لها : أين زوجك ؟ قالت : لا أدري وأشارت بيدها إلى المخرج فدخلوا فوجدوه وعلى رأسه قوصرة فأخرجوه وقتلوه إلى جانب أهله وأحرقوه بالنار .

ذكر مقتل عمر بن سعد وغيره ممن شهد قتل الحسين

ثم ان المختار لمال يوماً لأصحابه : لأقتلن غداً رجلاً عظيم القدمين غائر العينين مترف الحاجبين يسر قتله المؤمنين والملائكة المقربين ، وكان عنده الهيثم بن الأسود النخعي

---

(1) في الطبري "ابن أبي خشكارة" .
(2) في الطبري "صلخب " .
(3) في الطبري "أسير" بالراء .
(4) في الطبري "ابن سوط القابضي " .

فعلم أنه يعني عمر بن سعد فرجع إلى منزله وأرسل إلى عمر مع إبنه العريان يعرفه ذلك ، فلما قاله له قال : جزى الله أباك خيراً كيف يقتلني بعد العهود والمواثيق؟ وكان عبدالله بن جعدة بن هبيرة أكرم الناس على المختار لقرابته بعلي وكلمه عمر بن سعد ليأخذ له أماناً من المختار ففعل ، وكتب له المختار أماناً وشرط فيه أن لا يتحدث : وعنى بالحدث دخول الخلاء – ثم إن عمر بن سعد خرج من بيته بعد عود العريان عنه فأتى حمامه فأخبر مولى له بما كان منه وبأمانه فقال له مولاه : وأي حدث أعظم مما صنعت تركت أهلك ورحلك وأتيت إلى ههنا ارجع ولا تجعل عليك سبيلاً فرجع وأتى المختَار فأخبره بإطلاقه (ا) فقال : كلا إن ني عنقه سلسلة سترده ، وأصبح المختار فبعث إلية أبا عمرة فأتاه وقال : أجب الأمير فقام عمر فعثر في جبة له فضربه أبو عمرة بسيفه فقتله وأخذ رأسه فأحضره عند المختار فقال المختار لابنه حفص بن عمر وهو جالس عنده : أتعرف من هذا؟ قال : نعم ولا خير في العيش بعده فأمر به فقتل ، وقال المختار: هذا بحسين وهذا بعلي بن الحسين ولا سواء والله لو قتلت به ثلاثة أرباع قريش ما وفوا أنملة من أنامله .

وكان السبب في تهيج المختار على قتله أن يزيد بن شراحيل الأنصاري أتى محمد بن الحنفية وسلم عليه وجرى الحديث إلى أن تذاكرا المختار فقال ابن الحنفية : إنه يزعم أنه لنا شيعة وقتلة الحسين عنده على الكراسي يحدّثونه ، فلما عاد يزيد أخبر المختار بذلك فقتل عمر بن سعد وبعث برأسه ورأس ابنه إلى ابن الحنفية وكتب إليه يعلمه أنه لَد قتل من قدر عليه وأنه في طلب الباقين ممن حضر قتل الحسين ، قال عبدالله بن شريك : أدركت أصحاب الأردية(2) المعلمة وأصحاب البرانس السود من أصحاب السواري إذا مر بهم عمر بن سعد قالوا : هذا قاتل الحسين وذلك قبل أن يقتله ، وقال ابن سيرين : قال علي لعمر بن سعد : كيف وأنت إذا قمت مقاماً تخير فيه بين الجنة والنار فتختار النار ؟ ثم ان المختار أرسل إلى حكيم بن طفيل الطائي وكان أصاب سلب العباس بن علي ورمى الحسين بسهم وكان يقول تعلق سهمي بسر باله وما ضره زم تاه أصحاب المختار فأخذوه وذهب أهله فشفعوا بعدي بن حاتم فكلمهم عدي فيه فقالوا : ذلك إلى المختار فمضى عدي إلى المختار ليشفع فيه وكان المختار قد

---

(1) في الطبري "بانطلاقه " وهي الصواب .
(2) في الأصل الأزدية وقد أثبتنا الصواب من الطبري .

شفعه في نفر من قومه أصابهم يوم جبانة السبيع فقالت الشيعة : إنا نخاف أن يشفعه المختار فيه فقتلوه رمياً بالسهام كما رمي الحسين حتى صار كأنه القنفذ ، ودخل عدي بن حاتم على المختار فأجلسه معه على مجلسه فشفع فيه عدي فقال المختار : أتستحل أن تطلب في قتلة الحسين ؟ فقال عدي : إنه مكذوب عليه قال : إذاً ندعه لك ، فدخل ابن كامل فأخبر المختار بقتله فقال : ما أعجلكم إلى ذلك ؟ ألا أحضرتموه عندي ؟ وكان قد سره قتله فقال ابن كامل : غلبتني عليه الشيعة ، فقال عدي لابن كامل : كذبت ولكن ظننت أن من هو خير منك سيشفعني فقتلته ، فسبه ابن كامل فنهاه المختار عن ذلك ، وبعث المختار إلى قاتل علي بن الحسين - وهو مرة بن منقذ - من عبد القيس وكان شجاعاً فأحاطوا بداره فخرج إليهم على فرسه وبيده رمحه فطاعنهم فضرب على يده وهرب منهم فنجا ولحق بمصعب بن الزبير وشلت يده بعد ذلك .

وبعث المختار إلى زيد بن رقاد الجنبي (أ) كان يقول : لقد رميت فتى منهم بسهم وكفه على جبهته يتقي النبل فأثبت كفه في جبهته فما استطاع أن يزيل كفه عن جبهته - وكان ذلك الفتى عبدالله بن مسلم بن عقيل -وأنه قال حين رميته : اللهم إنهم استقلونا واستذلونا فاقتلهم كما قتلونا . ثم إنه رمى الغلام بسهم آخر ، وكان يقول : جئته وهو ميت فنزعت سهمي الذي قتلته به من جوفه ولم أزل أنضنض الآخر عن جبهته حتى أخذته وبقي النصل ، فلما أتاه أصحاب المختار خرج إليهم بالسيف فقال لهم ابن كامل :لا تطعنوه ولا تضربوه بالسيف ولكن ارموه بالنبل والحجارة ففعلوا ذلك به فسقط فأحرقوه حياً ، وطلب المختار سنان بن أنس الذي كان يدعي قتل الحسين فراه قد هرب إلى البصرة فهدم داره ، وطلب عبدالله بن عقبة الغنوي فوجده قد هرب إلى الجزيرة فهدم داره وكان قد قتل منهم غلاماً ، وطلب آخر من بني أسد - يقال له حرملة بن الكاهن (2) - كان قد قتل رجلاً من أهل الحسين ففاته ، وطلب أيضاً رجلاً من خثعم اسمه عبدالله بن عروة الخثعمي كان يقول : رميت فيهم لاثني عشر سهماً ففاته ولحق بمصعب بن الزبير فهدم داره ، وطلب أيضاً عمرو بن الصبيح الصدائي كان يقول : لقد

---

(2) في الأصل "الحباني " وهو تحريف وتقدم زيد بر داود وهو غلط . (3) في الطبري "كاهل " باللام .

طعنت فيهم وجرحت وما قتلت منهم أحداً فأتى ليلاً فأخذ وأحضر عند المختار فأمر بإحضار الرماح وطعن بها حتى مات .

وأرسل إلى محمد بن الأشعث - وهو في قرية له إلى جنب القادسية - فطلبوه فلم يجدوه وكان قد هرب إلى مصب فهدم المختار داره وبنى بلبنها وطينها دار حجر بن عدي الكندي كان زياد قد هدمها . (بحير بن ريسان) بفتح الباء الموحدة وكسر الحاء المهملة . (شبام) بكسر الشين المعجمة والباء الموحدة بطن من همدان . و(همدان) بسكون الميم وبالدال المهملة . (سعر) بكسر السين المهملة و(أحمر بن شميط) بالحاء والراء المهملتين ، و(شميط) بالشين المعجمة ، و(شبث) بفتح الشين المعجمة والباء الموحدة (جبانة أثير) بضم الهمزة وبم الثاء المثلثة وبالياء المثناة من تحت وبالراء المهملة (عتيبة بن النهاس) بالعين المهملة وبالتاء المثناة من فوق ثم بالياء المثناة من تحت وبالباء الموحدة (حسان بن فائد) بالفاء .

ذكر بيعة المثنى العبدي للمختار بالبصرة

وفي هذه السنة دعا المثنى بن مخربة العبدي بالبصرة إلى بيعة المختار ، وكان ممن شهد عين الوردة مع سليمان بن صرد ثم رجع فبايع للمختار فسيره إلى البصرة يدعو بها إليه ، فقدم البصرة ودعا بها فأجابه رجال من قومه وغيرهم ، ثم أتى مدينة الرزق فعسكر عندها وجمعوا الميرة بالمدينة . فوجه إليهم القباع أمير البصرة ودعا بها عباد بن حصين وهو على شرطته ، وقيس بن الهيثم في الشرط والمقاتلة فخرجوا إلى السبخة . ولزم الناس بيوتهم فلم يخرجِ أحد ، وأقبل عباد فيمن معه فتواقف هو والمثنى فسار عباد نحو مدينة الرزق وترك قيساَ مكانه . فلما أتى عباد مدينة الرزق أصعد على سورها ثلاثين رجلاَ وقال لهم : إذا سمعتم التكبير فكبروا ورجع عباد إلى قيس وأنشبوا القتال مع المثنى؛ وسمع الرجال الذين في دار الرزق التكبير فكبروا وهرب من كان بالمدينة ، وسمع المثنى التكبير من ورائهم فهرب فيمن معه فكف عنهم قيس وعبّاد ولم يتبعوهم ، وأتى المثنى قومه عبد القيس فأرسل القباع عسكراً إلى عبد القيس ليأتوه بالمثنى ومن معه ، فلما رأى زياد بن عمرو العتكي ذلك أقبل إلى القباع فقال له : لتردن خيلك عن إخواننا أو لنقاتلنهم . فأس سل القباع الأخنف برت قيسر ، وعمر بن عبد الرحمن المخزومي ليصلحا بين الناس فأصلح الأحنف الأمر عليِ أن يخرج المثنى .

وأصحابه عنهم فأجابوه إلى ذلك وأخرجوهم عنهم فسار المثنى إلى الكوفة في نفر يسير من أصحابه .(مخربة) بضم الميم وفتح الحاء المعجمة وتشديد الراء وكسرها ثم باء مفتوحة .

ذكر مكر المختار بابن الزبير

فلما أخرج المختار عاملِ ابن الزبير عن الكوفة - وهو ابن مطيع - سار إلى البصرة وكره أن يأتي ابن الزبير مهزوماً ، فلما استجمع للمختار أمر الكوفة أخذ يخادع ابن الزبير فكتب إليه : قد عرفت مناصحتي إياك وجهدي على أهل عداوتك وما كنت أعطيتني إذا أنا فعلت ذلك من نْفسك فلما وفيت لك لم تف بما عاهدتني عليه فإن ترد مراجعتي ومناصحتي فعلت والسلام ، وكان قصد المختار أن يكف ابن الزبير عنه ليتم أمره والشيعة لا يعلمون بشيء من أمره . فأراد ابن الزبير بن يعلم اسلم هو أم حرب فدعا عمر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام المخزومي فولاه الكوفة وقال له : إن المختار سامع مطيع فتجهز بما بين ثلاثين ألف درهم إلى أربعين ألفاً وسار نحو الكوفة . وأتى الخبر إلى المختار بذلك فدعا المختار زائدة بن قدامة وأعطاه سبعين ألف درهم وقال له : هذا ضعف ما انفق عمر بن عبد الرحمن في طريقه إلينا وأمره أن يأخذ معه خمسمائة فارس ويسير حتى يلقاه بالطريق وتعطيه النفقة وتأمره بالعود فإن فعل وإلا فأره الخيل ، فأخذ زائدة بن قدامة المال ، وسار حتى لقي عمر فأعطاه المال وأمره بالانصراف . فقال له : إن أمير المؤمنين قد ولاني الكوفة ولا بد من إتيانها . فدعا زائدة الخيل وكان قد كمنها فلما رآها قد أقبلت أخذ المال وسار نحو البصرة . فاجتمع هو وابن مطيع في إمارة الحرث بن أبي ربيعة وذلك قبل وثوب المثنى بن مخربة العبدي بالبصرة . وقيل : إن المختار كتب إلى ابن الزبير أني اتخذت الكوفة داراً فإن سوغتني ذلك وأمرت لي بألف ألف درهم سرت إلى الشام فكفيتك ابن مروان . فقال ابن الزبير : إلى متى أماكر كذاب ثقيف ويماكرني ثم تمثل شعراً :

عاري الجواعرِ من ثمود أصلُهُ عَبْدٌ وتزعُمُ أنه من يقدم

وكتب إليه والله ولا درهم

ولا أمتري عبد الهوان ببدرتي وإني لآتي الحتف ما دمت أسمعُ

ثم أن عبد الملك بن مروان بعث عبد الملك بن الحرث بن أبي الحكم بن أبي

العاص إلى وادي القرى وكان المختار قد وادع ابن الزبير ليكف عنه ليتفرغ لأهل الشام ، فكتب المختار إلى ابن الزبير: قد بلغني أن ابن مروان قد بعث إليك جيشاً فإن أحببت أمددتك بمدد فكتب إليه ابن الزبير: إن كنت على طاعتي فبايع لي الناس قبلك وعجل إنفاذ الجيش ومرهم ليسيروا إلى من بوادي القرى من جند ابن مروان فليقاتلوهم والسلام ، فدعا المختار شرحبيل بن ورس الهمداني فسيره في ثلاثة آلاف أكثرهم من الموالي وليس منهم من العرب إلا سبعمائة رجل وقال : سر حتى تدخل المدينة فإذا دخلتها فاكتب إلي بذلك حتى يأتيك أمري – وهو يريد إذا دخلوا المدينة أن يبعث عليهم أميراً ثم يأمر ابن ورس بمحاصرة ابن الزبير بمكة - وخشي ابن الزبير أن يكون المختار إنما يكيده فبعث من مكة عباس بن سهل بن سعد في ألفين وأمره أن يستنفر الأعراب وقال له : إن رأيت القوم على طاعتي وإلا فكايدهم حتى تهلكهم ، فأقبل عباس بن سهل حتى لقي ابن ورس بالرقيم وقد عبى ابن ورس أصحابه ، وأتى عباس وقد تقطع أصحابه ورأى ابن ورس على الماء وقد عبى أصحابه فدنا منهم وسلم عليهم ثم قال لابن ورس سراً : ألستم على طاعة ابن الزبير ؟ قال : بلى قال : فسر بنا على عدوّه الذي بوادي القرى فقال ابن ورس : ما أمرت بطاعتكم إنما أمرت أن آقي المدينة فإذا أتيتها رأيت رأيي ، فقال له عباس : إن كنتم في طاعة ابن الزبير فقد أمرني أن أسيركم الى وادي القرى ، فقال لا أتبعك أقدم المدينة وأكتب إلى صاحبي فيأمر في بأمره ، فقال عباس : رأيك أفضل ، وفطن لما يريد وقال : أما أنا فساتر إلى وادي القرى ، ونزل عباس أيضاً وبعث إلى ابن ورس بجزائر وغنم مسلخة وكانوا قد ماتوا جوعاً فذبحوا واشتغلوا بها واختلطوا على الماء ، وجمع عباس من أصحابه نحو ألف رجل من الشجعان وأقبل نحو فسطاط ابن ورس ، فلما رآهم نادى في أصحابه فلم يجتمع إليه مائة رجل حتى انتهى إليه عباس (ا) واقتتلوا يسيراً فقتل ابن ورس في سبعين من أهل الحفاظ ، ورفع عباس راية أمان لأصحاب ابن ورس فأتوها إلا نجواً من ثلاثمائة رجل مع سليمان بن حمير الهمداني ، وعباس بن جعدة الجدلي ، فظفر ابن سهل منهم بنحو مائتين فقتلهم وأفلت الباقون فرجعوا فمات أكثرهم في الطريق .

(I) قال الطبري ان عباساً انتهى إليهم وهو يقول :

انا ابن سهل فارس غير وكل أروع مقدام اذا الكبش نكل

واعتلى رأس الطرماح البطل بالسيف يوم الروع حتى ينخزل

وكتب المختار بخبرهم إلى ابن الحنفية يقول : إني أرسلت إليك جيشاً ليذلوا لك الأعداء ويحرزوا البلاد فلما قاربوا الطيبة فعل بهم كذا وكذا فإن رأيت أن أبعث إلى المدينة جيشاً كثيفاً وتبعث إليهم من قبلك رجلاً حتى يعلموا أني في طاعتك فافعل فإنك ستجدهم بحقكم أعرف وبكم أهل البيت أرأف منهم تجال الزبير والسلام ، فكتب إليه ابن الحنفية : أما بعد فقد قرأت كتابك وعرفت تعظيمك لحقي وما تنوه به من سروري وإن أحب الأمور كلها إلي ما أطيع الله فيه فأطعِ الله ما استطعت ، وإني لو أردت القتال لوجدت الناس إلي سراعاً والأعوان لي كثيراً ولكن أعتزلكم وأصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين ، وأمره بالكف عن الدماء .

ذكر حال ابن الحنفية مع ابن الزبير

ومسير الجيش من الكوفة

ثم ان ابن الزبير دعا محمد بن الحنفية ومن معه من أهل بيته وشيعته وسبعة عشر رجلاً من وجوه أهل الكوفة منهم أبو الطفيل عامر بن وائلة له صحبة ليبايعوه فامتنعوا وقالوا :لا نبايع حتى تجتمع الأمة فأكثر الوقيعة في ابن الحنفية وذمه فأغلظ له عبدالله بن هانىء الكندي وقال : لئن لم يضرك إلا تركنا بيعتك لا يضرك شيء وإن صاحبنا يقول : لو بايعتني الأمة كلها غير سعد مولى معاوية ما قبلته ، وإنما عرض بذكر سعد لأن ابن الزبير أرسل إليه فقتله فسبه عبدالله وسب أصحابه وأخرجهم من عنده ، فأخبروا ابن الحنفية بما كان منهم فأمرهم بالصبر ولم يلح عليهم ابن الزبير ، فلما استولى المختار على الكوفة وصارت الشيعة تدعو لابن الحنفية . خاف ابن الزبير أن يتداعى الناس إلى الرضا به فألح عليه وعلى أصحابه في البيعة له ، فحبسهم بزمزم وتوعدهم بالقتل والإحراق وإعطاء الله عهداً إن لم يبايعوا أن ينفذ فيهم ما توعدهم به وضرب لهم في ذلك أجلاً ، فأشار بعض من كان مع ابن الحنفية عليه أن يبعث إلى المختار يعلمه حالهم ، فكتب إلى المختار بذلك وطلب منه النجدة فقرأ المختار الكتاب على الناكل ط وقال : إن هذا مهديكم وصريح أهل بيت نبيكم قد ترع صه ومات معه محصوراً عليهم كما يحصر على الغنم (ا) ينتظرون القتل والتحريق في الليل والنهار لست أبا اسحاق إن لم أنصرهم نصراً مؤزراً وإن لم اسرب الخيل في أثر الخيل كالسيل

---

(1) في الطبري " محظور عليهم كما يحظر على الغنم " ولعلها أولى.

يتلوه السيل حتى يحل بابن الكاهلية الويل - يعني ابن الزبير- وذلك أن أم خويلد أبي العوام زهرة بنت عمرو من بني كاهل بن أسد بن خزيمة، فبكى الناس وقالوا : سرحنا إليه وعجل ، فوجه أبا عبدالله الجدلي في سبعين راكباً من أهل القوة ، ووجه ظبيان بن عمارة(1) أخا بني تميم ومعه أربعمائة وبعث معه لابن الحنفية أربعمائة ألف درهم ، وسير أبا المعمر(2) في مائة ، وهانىء بن قيس في مائة ، وعمير بن طارق في أربعين ، وتونس بن عمران في أربعين .

فوصل أبو عبدالله الجدلي إلى ذات عرق فأقام بها حتى أتاه عمير ويونس في ثمانين راكباً فبلغوا مائة وخمسين رجلاً فسار بهم حتى دخلوا المسجد الحرام ومعهم الرايات (3) وهم ينادون يا لثارات الحسين حتى انتهوا إلى زمزم - وقد أعد ابن الزبير الحطب ليحرقهم - وكان قد بقي من الأجل يومان فكسروا الباب ودخلوا على ابن الحنفية فقالوا : خلِّ بيننا وبين عدو؟ الله ابن الزبير ، فقال لهم : إني لا أستحل القتال في الحرم ، فقال ابن الزبير : واعجبا لهذه الخشبية ينعون الحسين كأني أنا قتلته والله لو قدرت على قعْلمَه لقتلتهم وإنما قيل لهم خشبية لأنهم دخلوا مكة وبأيديهم الخشب كراهة اشهار السيوف في الحرم ، وقيل : لأنهم أخذوا الحطب الذي أعده ابن الزبير، وقال ابن الزبير : أتحسبون 4 أني أخلي سبيلهم دون أن يبايع ويبايعون ؟ فقال الجدلي : أي ورب الركن والمقام لتخلين سبيله أو لنجالدنك بأسيافنا جدالاً يرتاب منه المبطلون . فكف ابن الحنفية أصحابه وحذرهم الفتنة ، ثم قدم باقي الجند ومعهم المال حتى دخلوا المسجد الحرام فكبروا وقالوا : يا لثارات الحسين فخافهم ابن الزبير .

وخرج محمد بن الحنفية ومن معه إلى شعب عليِ وهم يسبون ابن الزبير ويستأذنون محمداً فيه فأبى عليهم . فاجتمع مع محمد في الشعب أربعة آلاف رجل فقسم بينهم المال وعزوا وامتنعوا ، فلما قتل المختار تضعضعوا واحتاجوا ، ثم إن البلاد استوثقت لابن الزبير بعد قتل المختار فأرسل إلى ابن الحنفية ادخل في بيعتي وإلا

---

(1) في الطبري " ظبيان بن عثمان " .
(2) في الطبري " سير أبا المعتمر " .
(3) في الطبري " الكافر كوبات " .

نابذتك - وكان رسوله عروة بن الزبير- فقال ابن الحنفية : بؤساً لأخيك ما ألجه فيما اسخط الله وأغفله عن ذات الله ، وقال لأصحابه : إن ابن الزبير يريد أن يثور بنا وقد أذنت لمن أحب الانصراف عنا فإنه لا ذمام عليه منا ولا لوم فإني مقيم حتى يفتح الله بيني وبين ابن الزبير وهو خير الفاتحين ، فقام إليه أبو عبدالله الجدلي وغيره ، فأعلموه أنهم غير مفارقيه ، وبلغ خبره عبد الملك بن مروان فكتب إليه يعلمه أنه إن قدم عليه أحسن إليه وأنه ينزل إلى الشام إن أراد حتى يستقيم أمر الناس ، فخرج ابن الحنفية وأصحابه إلى الشام وخرج معه كثير عزة وهو يقول شعراً :

هديتَ يا مهديَنا ابن المهتدي أنتَ الذي نرضى به ونرتجي
أنت ابنُ خيرِ الناس من بعد النبي أنت إمام الحقّ لسنا نمتري
يا ابن عليّ سِرْ وَمَنْ مِثْل علي

فلما وصل مدين بلغه غدر عبد الملك بعمرو بن سعيد فندم على إتيانه وخافه ،فنزل أيلة وتحدث الناس بفضل محمد وكثرة عبادته وزهده وحسن هديه ، فلما بلغ ذلك عبد الملك ندم على إذنه له في قدومه بلده ، فكتب إليه أنه لا يكون في سلطاني من لم يبايعني فارتحل إلى مكة ونزل شعب أبي طالب ، فأرسل إليه ابن الزبير يأمره بالرحيل عنه ، وكتب إلى أخيه مصعب بن الزبير يأمره أن يسير نساء من مع ابن الحنفية فسير نساء منهن امرأة أبي الطفيل عامر بن وائلة فجاءت حتى قدمت عليه فقال الطفيل شعراً :

إنْ يكُ سَيَّرَها مصعبٌ فإني إلى مصعب متعبُ
أقود الكتيبة مستلئماً كأني أخو عزة أحربُ

وهي عدة أبيات ، وألح ابن الزبير على ابن الحنفية بالانتقال إلى مكة فاستأذنه أصحابه في قتال ابن الزبير فلم يأذن لهم وقال : اللهم ألبس ابن الزبير لباس الذل والخوف وسلط عليه وعلى أشياعه من يسومهم الذي يسوم الناس ، ثم سار إلى الطائف فدخل ابن عباس على ابن الزبير وأغلظ له فجرى بينهما كلام كرهنا ذكره ، وخرج ابن عباس أيضاً فلحق بالطائف ثم توفي فصلى عليه ابن الحنفية وكبر عليه أربعاً ، وبقي ابن الحنفية حتى حصر الحجاج ابن الزبير فأقبل من الطائف فنزل الشعب فطلبه الحجاج ليبايع عبد الملك فامتنع حتى يجتمع الناش ، فلما قتل ابن الزبير كتب ابن الحنفية إلى عبد الملك يطلب منه الأمان له ولمن معه وبعث إليه الحجاج يأمره بالبيعة فأبى وقال :

قد كتبت إلى عبد الملك فإذا جاءني جوابه بايعت ، وكان عبد الملك كتب إلى الحجاج يوصيه بابن الحنفية فتركه .

فلما قدم رسول ابن الحنفية وهو أبو عبدالله الجدلي ومعه كتاب عبد الملك بأمانه وتسط حقه وتعظيم أهله حضر عند الحجاج وبايع لعبد الملك بن مروان وقدم عليه الشام وطلب منه أن لا يجعل للحجاج عليه سبيلاً فأزال حكم الحجاج عنه ، وقيل : إن ابن الزبير أرسل إلى ابن عباس ، وابن الحنفية أن يبايعا فقالا : حتى يجتمع الناس على إمام ثم نبايع فإنك في فتنة فعظم الأمر بينهما وغضب من ذلك وحبس ابن الحنفية في زمزم وضيق على ابن عباس في منزله وأراد إحراقهما فأرسل المختار جيشاً كما تقدم فأزال عنهما ضرر ابن الزبير فلما قتل المختار قوي عليهما ابن الزبير وقال :لا تجاوراني فخرجا إلى الطائف، وأرسل ابن عباس ابنه علياً إلى عبد الملك بالشام وقال : لأن يربني بنو عمي أحب إلي من أن تربني رجل من بني أسد -يعني ببني عمه بني أمية لأنهم جميعهم من ولد عبد مناف ؛ ولمجني برجل من بني أسد ابن الزبير فإنه من بني أسد بن عبد العزي بن قصي – ولما وصل علي بن عبدالله بن عباس إلى عبد الملك سأله عن اسمه وكنيته فقال : اسمي علي والكنية أبو الحسن فقال :لا يجتمع هذا الاسم وهذه الكنية في عسكري أنت أبو محمد ، ولما وصل ابن عباس إلى الطائف توفي به وصلى عليه ابن الحنفية.

ذكر الفتنة بخراسان

ني هذه السنة كان حصار عبدالله بن خازم من كان بخراسان من بني تميم بسبب قتلهم ابنه محمداً وقد تقدم ذكره ، فلما تفرقت بنو تميم بخراسان على ما تقدم أتى قصره قريباً(1) عدة من فرسانهم ما بين السبعين إلى الثمانين فولوا أمرهم عثمان بن بشر بن المحتفز المازني ومعه شعبة بن ظهير النهشلي ، وورد بن الفلق العنبري ، وزهير بن ذؤيب العدوي ، وجيهان بن مشجعة الضبي ، والحجاج بن ناشب العدوي ، ورقية بن الحر في فرسان من تميم وشجعانهم فحاصرهم ابن خازم فكانوا تِخرجون إليه فيقاتلونه ثم يرجعون إلى القصر ، فخرج ابن خازم يوماً قي ستة آلاف وخرج إليه أهل القصر فقالع لهم عثمان بن بشر : ارجعوا فلن تطيقوه فحلف زهير بن

---

(1) في الطبري "فرتنا" .

ذؤيب بالطلاق أنه لا يرجع حتى يتعرض صفوفهم فاستبطن نهراً قد يبس فلم يشعر به أصحاب عبدالله حتى حمل عليهم فحط (1) أولهم على آخرهم واستدار وكر راجعاً واتبعوه يصيحون به ولم يجسر أحد ينزل إليه حتى رجع إلى موضعه فحمل عليهم فأفرجوا له حتى رجع ، فقال ابن خازم لأصحابه : إذا طاعنتم زهيراً فاجعلوا في رماحكم كلاليب ثم علقوها في سلاحه فخرج إليهم يوماً فطاعنهم فأعلقوا فيه أربعة أرماح بالكلاليب فالتفت إليهم ليحمل عليهم فاضطربت أيديهم وخلوا رماحهم فعاد يجر أربعة أرماح حتى دخل القصر ، فأرسل ابن خازم إلى زهير يضمن له مائة ألف وميسان طعمة ليناصحه فلم يجبه ، فلما طال الحصار عليهم أرسلوا إلى ابن خازم ليمكنهم من الخروج ليتفرقوا فقال : لا ، إلا على حكمي فأجابوا إلي ذلك ، فقال زهير : ثكلتكم أمهاتكم والله ليقتلنكم عن آخركم وإن طبتم بالموت نفساً فموتوا إكراماً اخرجوا ثم جميعاً فإما أن تموتوا كراماً وإما أن ينجو بعضكم وتهلك بعضكم ، وايم الله لئن شددتم عليهم شدة صادقة ليفرجن لكم فإن شئتم كنت أمامكم وإن شئتم كنت خلفكم فأبوا عليه فقال : سأريكم ، ثم خرج هو ورقية بن الحر ، وغلام تركي ، وابن ظهير ، فحملوا على القوم حملة منكرة فأفرجوا لهم فمضوا ، فأما زهير فرجع ونجا أصحابه فلما رجع زهير إلى من بالقصر قال : قد رأيتم أطيعوني قالوا : إنا نضعف عن هذا ونطمع في الحياة فقال : لا أكون أعجزكم عند الموت فنزلوا على حكم ابن خازم فأرسل إليهم فقيدهم وحملوا إليه رجلاً رجلاً فأراد أن يمن عليهم فأبى عليه ابنه موسى وقال له : إن عفوت عنهم قتلت نفسي فقتلهم إلا ثلاثة أحدهم الحجاج بن ناشب فشفع فيه بعض من معه فأطلقه ، والآخر جيهان بن مشجعة الضبي الذي ألقى نفسه على محمد بن عبدالله كما تقدم . والآخر رجل من بني سعد من تميم وهو الذي ردّ الناس عن ابن خازم يوم لحقوه وقال : انصرفوا عن فارس مضر ، وقال : ولما أرادوا حمل زهير بن ذؤيب - وهو مقيد - أبى واعتمد على رمحه فوثب الخندق ثم أقبل إلى ابن خازم يحجل في قيوده فجلس بين يديه ، فقال له ابن خازم : كيف شكرك إن أطلقتك وأطعمتك ميسان ؟ قال : لو لم تصنع بي إلا حقن دمي لشكرتك فلم يمكنه ابنه موسى من إطلاقه فقال له أبوه : ويحك نقتل مثل زهير من لقتال عدو المسلمين ؟ من لحمى نساء العرب ؟ فقال : والله لو شركت في دم أخي لقتلتك فأمر بقتله ؟ فقال زهير : إن

---

(1) في الطبري "فحطم" .

لي حاجة لا تقتلني وتخلط دمي بدماء هؤلاء اللئام فقد نهيتهم عما صنعوا وأمرتهم أن يموتوا كراماً وتخرجوا عليكم مصلتين ، وايم الله لو فعلوا لا ذعروا بنيك هذا وشغلوه بنفسه عن طلب ثأر أخيه فأبوا ولو فعلوا ما قتل منهم رجل حتى يقتل رجالاً، فأمر به ابن خازم فقتل ناحية ، فلما بلغ الحريش قتلهم قال :

أعاذلُ إني لم ألم في قتالهم وقد عض سيفي كبشهم ثم صمَّما
أعاذلُ ما ولّيت حتى تبددت رجالٌ وحتى لم أجد متقدّما،
أعاذلُ أفناني السلاح ومن يُطِلْ مقارعةَ الأبطالِ يرجع مُكَلَّما
أعينيَّ إن أنزفتما الدمعَ فاسكبا دماً لازماً لي دون أن تنكفا دما(1)
أبَعْدَ زهيرٍ وابن بشرٍ متابعاً(2) وورد أرجي في خراسان مغنما
أعاذلُ كم من يومِ حربٍ شهدته أكرُّ إذا ما فارس السوء أحجما

. يعني زهير بن ذؤيب ، وابن بشر هو عثمان ، وورد بن الفلق

ذكر مسير ابن الأشتر إلى قتال ابن زياد

وفي هذه السنة لثمان بقين من ذي الحجة سار إبراهيم بن الأشتر لقتال عبيد الله بن زياد ، وكان مسيره بعد فراغ المختار من وقعة السبيع بيومين ، وأخرج المختار معه فرسان أصحابه ووجوههم (3) وأهل البصائر منهم ممن له تجربة وخرج معه المختار يشيعه ، فلما بلغ دير عبد الرحمن بن أم الحكم لقيه أصحاب المختار معهم الكرسي يحملونه على بغل! أشهب وهم يدعون الله له بالنصر ويستنصرونه ، وكان سادن الكرسي حوشب البرسمي فلما رآهم المختار قال :

أما ورب المرسلات عرفا ليقتلن بعد صف صفا وبعد ألف قاسطين ألفا

ثم ودعه المختار وقال له : خذ عني ثلاثاً ، خف الله عز وجل في سر أمرك وعلانيتك ، وعجل السير ، وإذا لقيت عدوك فناجزهم ساعة تلقاهم ، ورجع المختار وسار إبراهيم .فانتهى إلى أصحاب الكرسي وهم عكوف عليه قد رفعوا أيديهم إلى

(ا) في الطبري "أن تسكبا الدما" .
(2) في الطبري "تتابعا" .
(3) في بعض النسخ ووجههم .

السماء يدعون الله تعالى ؛ فقال إبراهيم : اللهم لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا هذه سنة بني إسرائيل – والذي نفسي بيده – إذ عكفوا على عجلهم ثم رج هوا وسار إلى قصده.

ذكر حال الكرسي الذي كان المختار يستنصر به

قال الطفيل بن جعدة بن هبيرة : أضقنا إضاقة شديدة(ا) فخرجت يوماً فإذا جارٌ لى قي زَيات عنده كرسي ركبه الوسخ فقلت في نفسي لو قلت للمختار في هذا شيئاً فأخذته من الزيات وغسلته فخرج عود نضار قد شرب الدهن وهو يبضّ (2) قال : فقلت للمختار إني كنت أكتمك شيئاً وقد بدا لي أن أذكره لك ، ان أبي جعدة كان يجلس على كرسي عندنا ويروى أن فيه أثراً من علي (3) . قال : سبحان الله أخرته إلى هذا الوقت ابعث به ، فأحضرته عنده وقد غشي فأمر لي باثني عشر ألفاً ، ثم دعا الصلاة جامعة فاجتمع الناس فقال المختار : إنه لم يكن في الأمم الخالية أمر إلا وهو كائن في هذه الأمة مثله وإنه كان في بني إسرائيل التابوت وإن هذا فينا مثل التابوت ، فكشفوا عنه وقامت السبئية فكبروا ، ثم لم يلبثوا أن أرسل المختار الجند لقتال ابن زياد وخرج بالكرسي على بغل وقد غشي فقتل أهل الشام مقتلة عظيمة فزادهم ذلك فتنة فارتفعوا حتى تعاطوا الكفر فندمت على ما صنعت وتكلم الناس في ذلك تعيبه (4) ، وقيل : إن المختار قال لآل جعدة بن هبيرة وكانت أم جعدة أم هانىء أخت علي بن أبي طالب لأبويه ائتوني بكرسي علي فقالوا : والله ما هو عندنا فقال : لا تكونن حمقى اذهبوا فأتوني به قال : فظنوا أنهم لا يأتونه بكرسي إلا قال : هذا هو وقبله منهم ، فأتوه بكرسي وقبضه منهم ، وخرجت شبام ، وشاكر، ورؤوس أصحاب المختار وقد جعلوا عليه الحرير ، وكان أوّل من سدنه موسى بن أبي موسى الأشعري كان يلم بالمختار لأن أمه أم كلثوم بنت الفضل بن العباس فعتب الناس علن موسى فتركه وسدنه حوشب البرسمي حتى هلك المختار ، وقال أعشى همدان في ذلك شعراً :

شهدت عليكم أنكم سبئية وإني بكم يا شرطة الشْركِ عارف

---

(1) في الطبري "أعدمت مرة من الورق " .

(3) في الطبري " وهو يبص " بالصاد المهملة.

(3) في الطبري " أثرة من علم " .

(4) في الطبري " فتكلم الناس في ذلك فغيب ".

فأقسم (ا) ماكر سنُكم بسكينةٍ وإن كان قد لُفَتْ عليهِ اللفائفُ
وأن ليس كالتابوتِ فينا وإن سعتَ شبامٌ حَوَالَيْهِ ونهدٌ وخارِفُ
وإني امرؤ أحببتُ آلَ محمد وتابعتُ وحياً ضُمنَتْهُ المصاحفُ
وبايعتُ (2) عبدالله لما تتابعت عليه قريشٌ شُمْطُها والغطارِفُ

وقال المتوكل الليثي :
أبالغ أبا إسحاق إنْ جِئْتَهُ أني بكر سيِّكمو كافرُ
ترو (3) شبام حول أعوادِهِ وتحملُ الوحيَ له شاكرُ
محمرَّةٌ أعينُهُمْ حَوْلَهُ كأنهنَ الحامِضُ الخازِرُ(4)

ذكر عدة حوادث

وحجِ بالناس في هذه السنة عبدالله بن الزبير ، وكان على المدينة مصعب بن الزبير عاملاً لأخيه عبدالله ، وعلى البصرة عبدالله بن أبي ربيعة المخزومي لابن الزبير أيضاً ، وكان بالكوفة المختار متغلباً عليها ، وبخراسان عبدالله بن خازم . وفي هذه السنة توفي أسماء بن حارثة الأسلمي وله صحبة وهو من أصحاب الصفة ، وقيل : بل مات بالبصرة في إمارة ابن زياد ، وتوفي جابر بن سمرة وهو ابن أخت سعد بن أبي وقاص ، وقل : مات في إمارة بشر بن هارون . وتوفي أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري سيد قومه : (حارثةَ) بالحاء المهملة والتاء المثلثة .

---

(1) في الطبري " وأقسم " بالواو .
(2) في الطبري "وتابعت " .
(3) في الطبري "تزو".
(4) في الطبري "كأنهن الحمص الحارد" قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية : قلت هذا وأمثاله مما يدل على قلة عقل المختار واتباعه وضعفه وقلة علمه وكثرة جهله ورداءة فهمه وترويجه الباطل على أتباعه وتشبيهه الباطل بالحق ليضل به الطعام ويجمع عليه جهال العوام .

ثم دخلت سنة سبع وستين

ذكر مقتل ابن زياد

ولما سار ابراهيم بن الأشتر من الكوفة أسرع السير ليلقوا ابن زياد قبل أن يدخل أرض العراق . وكان ابن زياد قد سار في عسكر عظيم من الشام فبلغ الموصل وملكها كما ذكرناه أولاً . فسار إبراهيم وخلف أرض العراق وأوغل في أرض الموصل وجعل على مقدمته الطفيل بن لقيط النخعي وكان شجاعاً . فلما دنا من ابن زياد عبى أصحابه ولم يسر إلا على تعبية واجتماع إلا أنه يبعث الطفيل على الطلائع حتى يبلغ نهر الخازر من بلاد الموصل . فنزل بقرية بارشيا وأقبل ابن زياد إليه حتى نزل قريباً منهم على شاطىء الخازر وأرسل عمير بن الحباب السلمي وهو من أصحاب ابن زياد إلى ابن الاشتر أن القني .

وكانت قيس كلها مضطغنة على ابن مروان من وقعة مرج راهط وجند عبد الملك يومئذ كلب ، فاجتمع عمير ، وابن الأشتر فأخبره عمير أنه على ميسرة ابن زياد وواعده أن ينهزم بالناس فقال له ابن الأشتر : ما رأيك أخندق علي وأتوقف يومين أو ثلاثة؟ فقال عمير لا تفعل وهل يريدون إلا هذا ؟ فإن المطاولة خير لهم هم كثير أضعافكم وليسر يطيق القليل الكثير في المطاولة ولكن ناجز القوم فإنهم قد ملئوا منكم رعباً وإن هم شاموا أصحابك وقاتلوهم يوماً بعد يوم ومرة بعد مرة أنسوا بهم واجترؤوا عليهم ، فقال ابراهيم : الآن علمتَ أنك لي مناصح وبهذا أوصاني صاحبي . قال عمير : أطعه فإن الشيخ قد ضرسته الحرب وقاسى منها ما لم يقاسه أحد وإذا أصبحت فناهضهم . وعاد عمير إلى أصحابه .

وأذكى ابن الاشتر ضرسه (1) ولم يدخل عينه غمض حتى إذا كان السحر الأول عبى أصحابه وكتب كتائبه وأمر أمراءه ، فجعل سفيان بن يزيد الأزدي على ميمنته ، وعلي بن مالك الجشمي على ميسرته وهو أخو أبي الأحوص ، وجعل عبد الرحمن بن عبدالله وهو أخو إبراهيم بن الأشتر لامه على الخيل وكانت خيله قليلة ، وجعل الطفيل بن لقيط على الرجالة ، وكانت رايته مع مزاحم بن مالك ، فلما انفجر الفجر صلى الصبح بغلس تم خرج فصف أصحابه وألحق كل أمير بمكانه ونزل إبراهيم يمشي ويحرض الناس وتمنيهم الظفر ، وسار بهم رويداً فأشرف على تل عظيم مشرف على القوم فجلس عليه وإذ أولئك القوم لم يتحرك منهم أحد ، فأرسل عبد الله بن زهير السلولي ليأتيه بخبر الصَوم فعاد إليه وقال له : قد خرج القوم على دهش وفشل لقيني رجل منهم وليس له كلام : ألا يا شيعة أبي تراب يا شيعة المختار الكذاب قال : فقلت له الذي بيننا أجل من الشتم ، وركب إبراهيم وسار على الرايات يحثهم ويذكر لهم فعل ابن زياد بالحسين وأصحابه وأهل بيته من السبي والقتل ومنع الماء وحرضهم على قتله ، وتقدم القوم إليه وقد جعل ابن زياد على ميمنته الحصين بن نمير السكوني ، وعلى ميسرته عمير بن الحباب السلمي ، وعلى الخيل شرحبيل بن ذي الكلاع الحميري ، فلما تدانى الصفان حمل الحصين بن نمير في ميمنة أهل الشام على ميسرة إبراهيم فثبَ له علي بن مالك الجشمي ففعَل ، ثم أخذ رايته قرة(2) بن علي فقتل في رجال من أهل البأس وانهزمت الميسرة فأخذ الراية عبدالله بن ورقاء بن جنادة السلولي ابن أخي حبشي بن جنادة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستقبل المنهزمين فقالع : إلي لِا شرطة الله فأقبل إليه أكثرهم فمال : هذا أميركم يقاتل ابن زياد ارجعوا بنا إليه فرجعوا وإذا إبراهيم كاشف رأسه ينادي إليّ شرطة الله أنا ابن الأشتر إن خير فراركم كراركم ليس مسيئاً من أعتب ، فرجع إليه أصحابه ، وحملت ميمنة ابراهيم على مسِعرة ابن زياد وهم يرجون أن ينهزم عمير بن الحباب كما زعم فقاتّلهم عمير قتالاً شديداً وأنف من الفرار ، فلما رأى ذلك إبراهيم قال لأصحابه : اقصدوا هذا السواد الأعظم فوالله لئن هزمناه لا نجفل من ترون يمنة ويسرة انجفال طير ذعرت . فمشى أصحابه إليهم فتطاعنوا ثم صاروا إلى

---

(1) في الطبري "حرسه" .
(2) في نسخة "قزة" بالزاي .

السيوف والعمد فاضربوا بها ملياً وكان صوت الضرب بالحديد كصوت القصارين وكان ابراهيم يقول لصاحب رايته انغمس برايتك فيهم فيقول : ليس لي متقدم فيقول : بلى فإذا تقدم شد إبراهيم بسيفه فلا يضرب رجلاً إلا صرعه ، وكر إبراهيم والرجالة بين يديه كأنهم الحملان وحمل أصحابه حملة رجل واحد واشتد القتال فانهزم أصحاب ابن زياد وقتل من الفريقين قتلى كثيرة . وقيل : إن عمير بن الحباب أول من انهزم وإنما كان قتاله أولاً تعذيراً . فلما انهزموا قال إبراهيم : إني قد قتلت رجلاً تحت راية منفردة على شاطىء نهر الخازر فالتمسوه فإني شممت منه رائحة المسك شرقت يداه وغربت رجلاه فالتمسوه فإذا هو ابن زياد قتيلاً بضربة إبراهيم فقد قدته بنصفين وسقط كما ذكر إبراهيم فأخذ رأسه وأحرقت جثته . وحمل شريك بن جدير التغلبي على الحصين بن نمير السكوني وهو يظنه عبيد الله بن زياد فاعتنق كل واحد منهما صاحبه فنادى التغلبي اقتلوني وابن الزانية فقتلوا الحصين ، وقيل : إن الذي قتل ابن زياد شريك بن جدير. وكان هذا شريك شهد صفين مع علي وأصيبت عينه فلما انقضت أيام علي لحق شريك ببيت المقدس فأقام به. فلما قتل الحسين عاهد الله تعالى إن ظهرمن يطلب بدمه ليقتلن ابن زياد أو ليموتن دونه. فلما ظهر المختار للطلب بثار الحسين أقبل إليه وسار مع إبراهيم بن الأشتر فلما التقوا حمل على خيل الشام يهتكها صفاً صفاً مع أصحابه من ربيعة حتى وصلوا إلى ابن زياد وثار الرهج فلا تسمع إلا وقع الحديد فانفجر عن الناس وهما قتيلان شريك وابن زياد والأول أصح . وشريك هو القائل :

كل عيش قد أراه باطلا(1) غير ركز الرمح في ظل الفرس

قال : وقتل شرحبيل بن ذي الكلاع الحميري وادعى قتله سفيان بن يزيد الأزدي ، وورقاء بن عازب الأسدي ، وعبيد الله بن زهير السلمي ، وكان عيينة بن أسماء مع ابن زياد فلما انهزم أصحابه حمل أخته هند بنت أسماء وكانت زوجة عبيد الله بن زياد فذد جما بها وهو يرتجز :

ان تصرمي حباً لنا فربما أرديت في الهيجا فيَ المعلما

ولما انهزم أصحاب ابن زياد تبعهم أصحاب ابراهيم فكان من غرق أكثر ممن قتل ، وأصابوا عسكرهم وفيه من كل شيء ، وأرسل إبراهيم البشارة إلى

---

(1) فى الطبري " تذرا ".

المختار وهو بالمدائن ، وأنفذ إبراهيم عماله إلى البلاد فبعث أخاه عبد الرحمن بن عبد الله إلى نصيبين وغلب على سنجار ودارا وما والاهما من ارض الجزيرة ، فولى زفر بن الحرث قرقيسيا ، وحاتم بن النعمان الباهلي حران ، والرها ، وسميساط وناحيتها ، وولى عمير بن الحباب السلمي كفرتوثا ، وطور عبدين . وأقام ابراهيم بالموصل . وأنفذ رأس عبيد الله بن زياد إلى المختار ومعه رؤوس قواده فألقيت في القصر فجاءت حية دقيقة فتخللت الرؤوس حتى دخلت في فم عبيد الله بن زياد ثم خرجت من منخره ودخلت في منخره وخرجت من فيه فعلت هذا مراراً أخرج هذا الترمذي في جامعه .

وقال المغيرة : أول من ضرب الزيوف في الإسلام عبيد الله بن زياد ، وقال بعض حجاب ابن زياد : دخلت معه القصر حين قتل الحسين فاضطرم في وجهه ناراً . فقال بكمه هكذا على وجهه وقال : لا تحدثن بهذا أحداً .

وقال المغيرة : قالت مرجانة لابنها عبيد الله بعد قتل الحسين : يا خبيث قتلت ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ترى الجنة أبداً ؛ وقال ابن مفرغ حين قتل ابن زياد :

إن المنايا إذا ما زُرْنَ طاغيةً هتكن أستارَ حُجّاب وأبوابِ
أقول بُعْداً وَسُحْقاً عند مصرعِهِ لابن الخبيثةِ وابن الكوْدَنَ الكابي
لا أنت زوحمتَ عن ملكٍ فتمنعه ولا منَتَّ إلى قومٍ بأسبابِ
لا مِنْ نزار ولا من جِذْمِ ذي يَمَنٍ جلمود ذا ألقيت من بين ألهاب
لا تقبل الأرض موتاهم إذا قُبِرُوا وكيف تقبلُ رِجْساً بين أثوابِ

وقال سراقة البارقي يمدح إبراهيم بن الأشتر :

أتاكم غلام في عَرَانِينِ مذحجٍ جريء على الأعداءِ غيرِ نكولِ
فيا ابنَ زيادِ بُو بأعظمِ هالكٍ وذقْ حَدّ ماضي الشفرتينِ صقيلِ
جزى الله خيراً شرطةَ الله إنهم شَفَوْا من عُبَيْدِ اللهِ أمسِ غليلي (1)

وقال عمير بن الحباب السلميّ يذمُّ جيش ابن زياد:

وما كان جيش يجمع الخمرَ والزنا محلًا إذا لاقى العدو لينْصَرَا

---

(11) سقط من الأبيات بيت ذكره الطبرى وهو البيت الثالث : ضربناك بالعضب الحسام بحدة

ذكر ولاية مصعب بن الزبير البصرة

وفي هذه السنة عزل عبد الله بن الزبير الحرث بن أبي ربيعة - وهو القباع -عن البصرة واستعمل عليها أخاه مصعباً ، فقدمها مصعب متلثماً ودخل المسجد وصد المنبر فقال الناس : أمير أمير ، وجاء الحرث بن أبي ربيعة وهو الأمير فسفر مصعب لثامه فعرفوه ، وأمر مصعب الحرث بالصعود إليه فأجلسه تحته بدرجة ثم قام مصعب فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : بسم الله الرحمن الرحيم {طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون - إلى قوله - من المفسدين }(ا) فأشار بيده نحو الشام : { ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين } (2)وأشار نحو الحجاز : (ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون)(3) وأشار نحو الكوفة وقال : يا أهل البصرة بلغني -أنكم تلقبون أمراءكم وقد لقبت نفسي بالجزار .

ذّكر مسير مصعب إلى المختار وقتل المختار

ولما هرب أشراف الكوفة من وقعة السبيع أتى جماعة منهم إلى مصعب فأتاه شبث بن ربعي على بغلة قد قطع ذنبها وطرف أذنها وشق قباءه وهو ينادي : يا غوثاه ، فرفع خبره إلى مصعب فقال : هذا شبث بن ربعي فادخل عليه فأتاه أشراف الكوفة فدخلوا عليه وأخبروه بما اجتمعوا عليه وسألوه النصر لهم والمسير إلى المختار معهم ، وقدم عليه محمد بن الأشعث أيضاً واستحثه على المسير فأدناه مصعب وأكرمه لشرفه ، وقال لأهل الكوفة حين أكثروا عليه :لا أسير حتى يأتيني المهلب بن أبي صفرة ، وكتب إليه - وهو عامله على فارس - يستدعيه ليشهد معهم قتال المختار فأبطأ المهلب واعتل بشيء من الخراج لكراهية الخروج ، فأمر مصعب محمد بن الأشعث أن يأتي المهلب يستحثه ، فأتاه محمد ومعه كتاب مصعب فلما قرأه قال له : أما وجد مصعب بريداً

غيرك ؟ فقال : ما أنا بريد لأحد غير أن نساءنا وأبناءنا وحرمنا غلبتنا عليهم عبيدنا ، فأقبل المهلب معه بجموع كثيرة وأموال عظيمة فقدم البصرة ، وأمر مصعب بالعسكر عند الجسر الأكبر وأرسل عبد الرحمن بن مخنف إلى الكوفة فأمره أن يخرج إليه من قدر عليه وأن يثبط الناس عن المختار وتدعوهم إلى بيعة ابن الزبير سراً ففعل ودخل بيته مستتراً .

ثم سار مصعب فقدّم أمامه عباد بن الحصين الحطمي (1) التميمي ، وبعث عمر بن عبيد الله بن معمر على ميمنته ، والمهلب على ميسرته ، وجعل مالك بن مسمع على بكر ، ومالك بن المنذر على عبد القيس ، والأحنف بن قيس على تميم ، وزياد بن عمرو العتكي على الأزد ، وقيس بن الهيثم على أهل العالية ، وبلغ الخبر المختار فقام في أصحابه فأعلمهم ذلك وندبهم إلى الخروج مع أحمر بن شميط فخرج وعسكر بحمام أعين ، ودعا المختار رؤوس الأرباع الذين كانوا مع ابن الأشتر فبعثهم مع أحمر نجن شميط فسار وعلى مقدمته ابن كامل الشاكري فوصلوا إلى المذار . وأتى مصعب فعسكر قريباً منه ، وعبى كل واحد منهما جنده ثم تزاحفا ، فجعل ابن شميط ابن كامل على ميمنته ، وعلى الميسرة عبد الله بن وهيب الجشمي ، وجعل أبا عمرة مولى عرينة على الموالي ، فجاء عبد الله بن وهيب الجشمي إلى ابن شميط فقال له : إن الموالى والعبِد أولو فجور عند المصدوقة وإن معهم رجالاً كثيراً على الخيل وأنت تمشي فَمُرْهم فليمشوا معك فإني أتخوف أن يطيروا عليها ويسلموك -وكان هذا غشاً منه للموالي لما كان لقي منهم بالكوفة فأحب إن كانت عليهم الهزيمة أن لا ينجو منهم أحد- فلم يتهمه ابن شميط ففعل ما أشار به فنزل الموالي معه . وجاء مصعب وقد جعل عباد بن الحصين على الخيل فدنا عباد من أحمر وأصحابه وقال : إنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة رسوله والى بيعة المختار وإلى أن نجعل هذا الأمر شورى في آل الرسول .

فرجع عباد فأخبر مصعباً فقال له : ارجع فاحمل عليهم فرجع وحمل على ابن شميط وأصحابه فلم ينزل (2)منهم أحد ثم انصرف إلى موقفه ، وحمل المهلب على ابن كامل فجال بعضهم في بعض فنزل ابن كامل فانصرف عنه المهلب ، ثم قال

---

(1) في الطبري " الحبطي " .

(2) في الطبري " فلم يزل " .

المهلب لأصحابه : كروا عليهم كرة صادقة فحملوا عليهم حملة منكرة فولوا وصبر ابن كامل في رجال من همدان ساعة ثم انهزم ، وحملِ عمر بن عبيد الله على عبد الله بن أنس فصبر ساعة ثم انصرف ، وحمل الناس جميعاَ على ابن شميط فقاتل حتى قتل ، وتنادوا يا معشر بجيلة ، وخثعم الصبر ، فناداهم المهلب الفرار اليوم أنجى لكم ، عَلَامَ تقتلون أنفسكم مع هذه العبيد ؟ ، ثم قال : والله ما أرى كثرة القتل اليوم إلا في قومي . ومالت الخيل على رجالة ابن شميط فانهزمت ، وبعث مصعب عباداً على الخيل فقال . أيما أسير أخذته فاضرب عنقه ، وسرح محمد بن الأشعث في خيل عظيمة من أهل الكوفة فقال : دونكم ثأركم فكانوا أشد على المنهزمين من أهل البصرة لا يدركون منهزماً إلا قتلوه ولا يأخذون أسيراً فيعفون عنه ، فلم ينج من ذلك الجيش إلا طائفة أصحاب الخيل وأما الرجالة فأبيدوا إلا قليلًا ، قال معاوية بن قرة المزني ، انتهيت إلى رجل منهم فأدخلت السنان في عينه فأخذت اخضخض عينه به فقيل له : أفعلت هذا ؟ فقال : نعم إنهم كانوا عندنا أحل دماء من الترك ، والديلم ، وكان معاوية هذا قاضي البصرة ، فلما فرغ مصعب منهم أقبل حتى قطع من تلقاء واسط ولم تكن بنيت بعد فأخذ في كسكر ، ثم حمل الرجال أثقالهم والضعفاء في السفن فأخذوا في نهر خرشاد ، ثم خرجوا إلى نهر قوسان ثم خرجوا إلى الفرات ، وأتى المختار خبر الهزيمة ومن قتل بها من فرسان أصحابه فقال : ما من الموت بدٌ ، وما من ميتة أموتها أحب إليّ من أن أموت ميتة ابن شميط ، فعلموا أنه إن لم يبلغ ما يريد يقاتل حتى يقتل ، ولما بلغه أن مصعباً قد أقبل إليه في البر والبحر سار حتى وصل السلحين (1) ونظر إلى مجتمع الأنهار نهر الخريرة ، ونهر السلحين ، ونهر القادسية ونهر رسف ، فسكر الفرات فذهب ماؤها في هذه الأنهار وبقيت سفن أهل البصرة في الطين ، فلما رأوا ذلك خرجوا من السفن إلى ذلك السكر فأصلحوه وقصدوا الكوفة ، وسار المختار إليهم فنزل حروراء وحال بينهم وبين الكوفة وكان قد حصن القصر والمسجد وأدخل إليه عدة الحصار ، وأقبل مصعب وقد جعل على ميمنته المهلب ، وعلى ميسرته عمر بن عبيد الله ، وعلى الخيل عباد بن الحصين ، وجعل المختار على ميمنته سليم بن يزيد الكندي ، وعلى ميسرته سعيد بن منقذ الهمداني ، وعلى الخيل عمرو بن عبد الله (2) النهدي ، وعلى

---

(1) في الطبري "السيلحين " .
(2) في الطبري " عمر بن عبد الله " بدون واو .

الرجالة مالك بن عبد الله النهدي .

وأقبل محمد بن الأشعث فيمن هرب من أهل الكوفة فنزل بين مصعب والمختار، فلما رأى ذلك المختار بعث إلى كل جيش من أهل البصرة رجلاً من أصحابه وتدانى الناس ، فحمل سعيد بن منقذ على بكر ، وعبد القيس وهم في ميمنة مصعب فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فأرسل مصعب إلى المهلب ليحمل على من بإزائه فقال : ما كنت لأجزر الأزد خشية أهل الكوفة حس أرى فرصتي ، وبعث المختار إلى عبد الله بن جعدة بن هبيرة المخزومي فحمل على من بازائه وهم أهل العالية فكشفهم فانتهوا إلى مصعب ؟ فجثا مصعب على ركبته وبرك الناش عنده فقاتلوا ساعة وتحاجزوا ، ثم إن المهلب حمل في أصحابه على من بازائه فحطموا أصحاب المختار حطمة منكرة فكشفوهم .

وقال عبد الله بن عمرو النهدي -وكان ممن شهد صفين - اللهم إني علي ما كنت عليه بصفين اللهم أبرأ إليك من فعل هؤلاء لأصحابه وأبرأ إليك من أنفس هؤلاء -يعني أصحاب مصعب - ثم جالد بسيفه حتى قتل ، وانقضت أصحاب المختار كأنهم أجمة قصب فيها نار ، وحمل مالك بن عبد الله النهدي وهو على الرجالة ومعه نحو خمسين رجلًا وذلك عند المساء على أصحاب ابن الأشعث حملة منكرة فقتل ابن الأشعث وقتل عامة أصحابه ، وقاتل المختار على فم سكة شبث عامة ليلته وقاتل معه رجال من أهل البأس ، وقاتلت معه همدان أشد قتال ، وتفرق الناس عن المختار فقال له من معه : أيها الأمير اذهب إلى القصر فجاء حتى دخله فقال له بعض أصحابه : ألم تكن وعدتنا الظفر وأنّا سنهزمهم ؟ فقال : أما قرأت فيِ كتاب الله تعالى : { يمحو الله ما يشاء وتثبت وعنده أم الكتاب }(1) . فقيل : إن المختار أول من قال بالبداء ، فلما أصبح مصعب أقبل يسير فيمن معه نحو السبخة فمر بالمهلب فقالع له المهلب : ياله فتحاً ما أهناه لو لم يقتل محمد بن الأشعث قال : صدقت، ثم قال مصعب للمهلب : إن عبيد الله بن علي بن أبي طالب قد قتل فاسترجع المهلب ، فقال مصب : قد كنت أحب أن يشهد هذا الفتح أتدري من قتله ؟ إنما قتله من يزعم أنه شيعة لأبيه ، ثم نزل السبخة فقطع عنهم الماء والمادة ، وقاتلهم المختار وأصحابه قتالاً ضعيفًا ، واجترأ الناس عليهم فكانوا إذا خرجوا رماهم الناس من فوق البيوت وصبوا عليهم الماء القذر .

وكان أكثر معاشهم من النساء تأتي المرأة متخفية ومعها القليل من الطعام والشراب إلى أهلها ففطن مصعب بالنساء فمنعهن فاشتد على المختار وأصحابه العطش ، وكانوا يشربون ماء البئر يعملون فيه العسل فكان ذلك ما يروي بعضهم . ثم إن مصعباً أمر أصحابه فاقتربوا من القصر واشتد الحصار عليهم فقال لهم المختار : وتلكم إن الحصار لا يزيدكم إلا ضعفاً فانزلوا بنا فنقاتل حتى نقتل كراماً إن نحن قتلنا فوالته ما أنا بآيس إن صدقتموهم أن ينصركم الله فضعفوا ولم يفعلوا ، فقال لهم : أما أنا فوالله لا أعطي بيدي ولا أحكمهم في نفسي وإذا خرجت فقتلت لم تزدادوا إلا ضعفاً وذلاً ؛ فإن نزلتم على حكمهم وثبت أعداؤكم فقتلوكم وبعضكم ينظر إلى بعض فتقولون : يا ليتنا أطعنا المختار ، ولو أنكم خرجتم معي كنتم إن أخطأتم الظفر متم كراماً ، فلما رأى عبد الله بن جعدة بن هبيرة ما عزم عليه المختار تدلى من القصر فلحق بناس من إخوانه فاختفى عندهم سراً ، ثم إن المختار تطيب وتحنط وخرت من القصر في تسعة عشر رجلاً منهم السائب بن مالك الأشعري – وكانت تحته عمرة بنت أبي موسى الأشعري فولدت له غلاماً اسمه محمد ؛ فلما أخذ القصر وجد صبياً فتركوه - فلما خرج المختار قال للسائب : ماذا ترى ؟ قال : ما ترى أنت ؟ قال : ويحك يا أحمق إنما أنا رجل من العرب رأيت ابن الزبير قد وثب بالحجاز ورأيت ابن نجدة وثب باليمامة ومروان بالشام وكنت فيها كأحدهم إلا أني قد طلبت بثأر أهل البيت إذ نامت عنه العرب فقاتل على حسبك إن لم يكن لك نية ، فقال : إنا للهّ وإنا إليه راجعون ما كنت أصنع أن أقاتل على حسبي .

ثم تقدم المختار فقاتل حتى قتل قتله رجلان من بني حنيفة أخوان أحدهما طرفة والآخر طراف ابنا عبد الله بن دجاجة ، فلما كان الغد من قتله دعاهم بحير بن عبد الله المسكي (1) ومن معه بالقصر إلى ما دعاهم المختار فأبوا عليه وأمكنوا أصحاب مصعب من أنفسهم ونزلوا على حكمه فأخرجوهم مكتفين فأراد اطلاق العرب وقتل الموالي فأبى أصحابه عليه فعرضوا عليه فأمر بقتلهم ، وعرض عليه بحير المسكي فقال لمصعب : الحمد للهّ الذي ابتلانا بالأسر وابتلاكِ بأن تعفو عنا هما منزلتان إحداهما رضا

---

(1) فى الطبري " بحير بن عبد الله المسلى" بحير : بالجيم لا بالحاء المهملة ، والمسلي باللام لا بالكاف

الله والأخرى سخطه من عفا عفا الله عنه وزاده عزاً ومن عاقب لم يأمن القصاص ، يا ابق الزبير نحن أهل قبلتكم وعلى ملتكم ولسنا تُركاً ولا دَيْلَما ، فإنما خالفنا إخواننا من أهل مصرنا(1) فإما ان يكن أصبنا أو أخطأنا فاقتتلنا بيننا كما اقتتل أهل الشام بينهم ثم اجتمعوا وكما اقتتل أهل البصرة واصطلحوا واجتمعوا وقد ملكتم فاسجحوا(2) وقد قدرتم فاعفوا فما زال بهذا القول حتى رقَّ لهم الناس ومصعب وأراد أن يخلي سبيلهم ، فقام عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فقال : أتخلي سبيلهم اخترنا أو اخترهم ، وقام محمد بن عبد الرحمن بن سعيد الهمداني فقال مثله ، وقام أشراف الكوفة فقالوا مثلهما فأمر بقتلهم ، فقالوا له : يا ابن الزبير لا تقتلنا واجعلنا على مقدمتك إلى أهل الشام غداً فما بكم عنا غنى فإن قتلنا لم نقتل حتى نضعفهم لكم وان ظفرنا بهم كان ذلك لكم فأبى عليهم ، فقال بحير المسكي لا تخلط دمي بدمائهم إذ عصوني فقتلهم ، وقال مسافر بن سعيد بن نمران الناعطي : ما تقول يا ابن الزبير لربك غداً وقد قتلت أمة من المسلمين حكموك في أنفسهم صبراً ؟ اقتلوا منا بعدة من قتلنا منكم ففينا رجال لم يشهدوا موطناً من حربنا يوماً واحداً كانوا في السواد ، وجباية الخراج ، وحفظ الطرق فلم يسمع منه وأمر بقتله ، ولما أراد قتلهم استشار مصعب الأحنف بن قيس فقال : أرى أن تعفو فإن العفو أقرب للتقوى ، فقال أشراف أهل الكوفة : اقتلهم وضجوا فقتلهم ، فلما قتلوا قال الأحنف : ما أدركتم بقتلهم ثاراً فليته لا يكون في الآخرة وبالا .

وبعثت عائشة بنت طلحة امرأة مصعب إليه في اطلاقهم فوجدهم الرسول قد قتلوا ، وأمر مصعب بكف المختار بن أبي عبيدة فقطعت وسمرت بمسمار إلى جانب المسجد فبقيت حتى قدم الحجاج فنظر إليها وسأل عنها فقيل : هذا كف المختار فأمر بنزعها ، وبعث مصعب عماله على الجبال والسواد ، وكتب إلى ابراهيم بن الأشتر يدعوه إلى طاعته ويقول له : إن أطعتني فلك الشام ، وأعنة الخيل ، وما غلبت عليه من أرض المغرب ما دام لآل الزبير سلطان وأعطاه عهد الله على ذلك ؛ وكتب عبد الملك بن مروان إلى ابن الأشتر يدعوه إلى طاعته وتقول : إن أنت أجبتني فلك

---

(1) في الطبري " فإن خالفنا إخواننا من أهل مصرنا فإما أن نكون أصبنا وأخطأوا وإما أن نكون أخطأنا وأصابوا " .

(2) يقال لمن ظهر وملك " فاسجح " أي قدرتَ فسهل وأحسن العفو ، وهو مثل سائر .

العراق ، فاستشار إبراهيم أصحابه فاختلفوا ، فقال ابراهيم : لو لم أكن أصبت ابن زياد ، وأشراف الشام لأجبت عبد الملك مع أني لا أختار على أهل مصري وعشيرتي غيرهم ، فكتب إلى مصعب بالدخول معه ، فكتب إليه مصعب أن أقبل ، فأقبل إليه بالطاعة .

فلما بلغ مصعباً إقباله إليه بعث المهلب على عمله بالموصل ، والجزيرة ، وارمينية ، وأذربيجان ، ثم إن مصعباً دعا أم ثابت بنت سمرة بن جندب امرأة المختار ، وعمرة بنت النعمان بن بشير الأنصارية امرأته الأخرى فأحضرهما وسألهما عن المختار ، فقالت أم ثابت : نقول فيه بقولك أنت ، فأطلقها ، وقالت عمرة : رحمه الله كان عبداً للّه صالحاً ، فحبسها ، وكتب إلى أخيه عبد الله بن الزبير أنها تزعم أنه نبي ، فأمره بقتلها ، فقتلت ليلاً بين الكوفة والحيرة ، قتلها بعض الشُّرَطِ ، ضربها ثلاث ضربات بالسيف وهي تقول : يا أبتاه ، يا عثرتاه ، فرفع رجل يده فلطم القاتل ، وقال : يا ابن الزانية عذبتها . ثم تشحطت فماتت ، فتعلق الشرطي بالرجل ، وحمله إلى مصعب فقال : خلوه فقد رأى أمراً فظيعاً(ا) ، فقال عمر بن أبي ربيعة المخزومي في ذلك ".

إن من أعجبِ العجائب عندي قتلَ بيضاءَ حُرَّةٍ عُطْبُولِ
قُتِلَتْ هكذا على غير جرم إنَ للَهِ درَها من قتيل
كتب القتلُ والقتالُ علينا وعلَى المحصناتِ جَرُّ الذيولِ

وقال سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصاري في ذلك أيضاً :

أتى راكب بالأمر ذي النبأ العجب بقتل ابنةِ النعمان ذي الدين والحَسَبْ
بقتل فتاةٍ ذاتِ دلٍّ ستيرةٍ مهذَّبة الأخلاقِ والخِيمِ (2) والنَّسَبْ
مطهرةٍ من نسل قوم أكارمٍ من المؤثرين الخير في سالف الحِقَبْ
خليل النبيّ المصطفى ونصيره وصاحبه في الحرب والضرب والكُرَبْ (3)

---

(1) إنما رفع الشرطي أمره إلى مصعب ليقيم الحد عليه إذ قال له -يا ابن الزانية -وقال إن أمي مسلمة وكان مولى لبني قفل واستشهدهم على اسلام أمه فلم يشهدوا ولذلك خلى مصعب عن القاذف .

(2) في الأمل " في الخيم " .

(3) في الطبري " والنكب والكرب " .

أتاني بأن الملحدين توافقوا على قتلِها لا أحْسَنوا(1) القتل والسلب
فلا هنأت آل الزبير معيشةٌ وذاقوا لباس الذلِّ والخوف والحَرَبْ
كأنهم إذ أبرزوها وقطِّعَتْ بأسيافهم فازوا بمملكة العَرَبْ
ألَمْ تعجبِ الأقوام من قتل حرةٍ من المحصنات الدين محمودة الأدَبْ
مِنَ الغافلاتِ المؤمنات بريئة من الذمِّ والبهتان والشكِّ والكَذِبْ
علينا ديات (2) القتل والبأس واجب وهنَّ العفافُ في الحجال وفي الحُجُبْ
على دين أجداد لها وأبوة كرام مضت لم تخْزِ أهلًا ولم تُربْ
من الخَفِرَاتِ لا خروج بزنة ولادمة تنعى(3)على جارها الجُنُبْ
ولا الجار ذي القربى ولم تدر ما الخنا ولم تزدلفْ يوماً بسوءٍ ولم تجبْ
عجبت لها إذ كُتِّفَتْ (4) وهي حَيَّةٌ ألا إن هذا الخطب من أعْجَبِ العَجَبْ

وقيل : إن المختار إنما أظهر الخلاف لابن الزبير عند قدوم مصعب البصرة ، وإن مصعباً لما سار إليه فبلغه مسيره أرسل إليه أحمر بن شميط وأمره أن يواقعه بالمذار وقال : إن الفتح بالمذار لأنه بلغه أن رجلًا من ثقيف يفتح عليه بالمذار فتح عظيم فظن أنه هو ، وإنما كان ذلك للحجاج في قتال عبد الرحمن بن الأشعث وأمر مصعب عباداً الحطمي ( ) بالمسير إلى جمع المختار فتقدم وتقدم معه عبيد الله بن علي بن أبي طالب وبقي مصعب على نهر البصريين ، وخرج المختار في عشرين ألفاً . وزحف مصب ومن معه فوافوه مع الليل فقال المختار لأصحابه : لا يبرحن أحد منكم حتى يسمع منادياً ينادي يا محمد فإذا سمعتوه فاحملوا فلما طلع القمر أمر منادياً فنادى يا محمد فحملوا على أصحاب مصعب فهزموهم وأدخلوهم عسكرهم فلم يزالوا يقاتلونهم حتى أصبحوا. وأصبح المختار وليس عنده أحد وأصحابه قد أوغلوا في أصحاب مصعب فانصرف المختار منهزماً حتى دخل قصر الكوفة وجاء أصحابه حين أصبحوا فوقفوا ملياً فلم يروا المختار فقالوا : قد قتل فهرب منهم من أطاق الهرب فاختفوا بدور الكوفة

---

(1) في الطبري " لاجنبوا " .
(2) في الطبري " علينا كتاب " .
(4) في الطبري " ملائمة تبغي " .

(4) قي الطبري " اذ كفنت " .

(5) في الطبري " الحبطي " .

وتوجه منهم نحو القصر ثمانية آلاف فوجدوا المختار في القصر فدخلوا عليه وكانوا قد قتلوا تلك الليلة من أصحاب مصعب خلقاً كثيراً منهم محمد بن الأشعث ، وأقبل مصعب فأحاط بالقصر وحاصرهم أربعة أشهر يخرج المختار كل يوم فيقاتلهم في سوق الكوفة . فلما قتل المختار بعث من في القصر يطلب الأمان فأبى مصعب فنزلوا على حكمه فقتل من العرب سبعمائة أو نحو ذلك وسائرهم من العجم .

وكان عدة القتلى ستة آلاف رجل ولما قتل المختار كان عمره سبعاً وستين سنة . وكان قتله لأربع عشرة خلت من رمضان سنة سبع وستين ، قيل : إن مصعباً لقي ابن عمر فسلم عليه وقال له : أنا ابن أخيك مصعب فقال له ابن عمر : أنت القاتل سبعة آلاف من أهل القبلة في غداة واحدة غير ما بدا لك ؛ فقال مصعب : إنهم كانوا كفرة فجرة ، فقال : والله لو قتلت عدتهم غنماً من تراث أبيك لكان ذلك سرفاً ؛ وقال ابن الزبير لعبد الله بن عباس : ألم يبلغك قتل الكذاب ؟ قال : ومن الكذاب ؟ قال : ابن أبي عبيد قال : قد بلغني قتل المختار قال : كأنك نكرت تسميته كذاباً ومتوجع له قال : ذاك رجل قتل قتلتنا وطلب ثأرنا وشفى غليل صدورنا وليس جزاؤه منا الشتم والشماتة ، وقال عروة بن الزبير لابن عباس : قد قتل الكذاب المختار وهذا رأسه ، فقال ابن عباس : قد بقيت لكم عقبة كؤود فإن صعدتموها فأنتم أنتم وإلا فلا -يعني عبد الملك بن مروان - وكانت هدايا المختار تأتي ابن عمر ، وابن الحنفية فيقبلانها ، وقيل : رد ابن عمر هديته .

ذكر عزل مصعب بن الزبير وولاية حمزة بن عبد الله بن الزبير

وفي هذه السنة عزل عبد الله بن الزبير أخاه مصعباً عن العراق بعد أن قتل المختار وولي مكانه ابنه حمزة بن عبد الله ، وكان حمزة جواداً مخلطاً يجود أحياناً حتى لا يدع شيئاً يملكه ويمنع أحياناً ما لا يمنع مثله ، وظهر منه بالبصرة خفة وضعف فيقال : إنه ركب يوماً فرأى فيض البصرة فقال : إن هذا الغدير إن رفقوا به ليكفينهم ضيعتهم (1) فلما كان بعد ذلك رآه جازراً فقال : قد قلت لو رفقوا به لكفاهم وظهر منه غير ذلك فكتب الأحنف إلى أبيه وسأله أن يعزله عنهم ويعيد مصعباً فعزله فاحتمل مالاً كثيراً من

---

(1) في الطبري " صيفهم " .

مال البصرة فعرض له مالك بن مسمع فقال له :لا ندعك تخرج بعطايانا فضمن له عبيد الله بن عبد الله العطاء فكف عنه وشخص حمزة بالمال وأتى المدينة فأودعه رجالاً فجحدوه إلا رجلاً واحداً فوفى له ، وبلِغ ذلك أباه فقال : أبعده الله أردت أن أباهي به بني مروان فنكص ، وقيل : إن مصعباَ أقام بالكوفة سنة بعد قتل المختار معزولا عن البصرة عزله أخوه عبد الله واستعمل عليها ابنه حمزة . ثم إن مصعباً وفد على أخيه عبد الله فرده على البصرة ، وقيل : بل انصرف مصعب إلى البصرة بعد قتل المختار واستعمل على الكوفة الحرث بن أبي ربيعة فكانتا في عمله فعزله أخوه عن البصرة واستعمل ابنه حمزة ثم عزل حمزة بكتاب الأحنف وأهل البصرة ورد مصعباً .

ذكر عدةّ حوادث

حج بالناس عبدالله بن الزبير ، وكان عامه على الكوفة والبصرة من تَقدم ذكره ، وكان على قضاء الكوفة عبدالله بن عتبة بن مسعود ، وعلى قضاء البصرة هشام بن هبيرةّ ، وبالشام عبدالملك بن مروان ، وبخراسان عبدالله بن خازم . وفي هذه السنة مات الأحنف بن قيس بالكوفة مع مصعب. وقيل : مات سنة احدى وسبعين بالكوفة لما سار مصعب إلى قتال عبد الملك بن مروان ، وقتل هبيرة بن مريم مولى الحسين بن علي بم الخازر وهو من أصحاب المختار وثقات المحدثين . وفيها توفي جنادة بن أبي أمية وأدرك الجاهلية وليست له صحبة. وقتل مصعب عبد الرحمن وعبد الرب ابني حجر بن عدي ، وعمران بن حذيفة بن اليمان قتلهم صبراً بعد قتل المختار وبعد قتل أصحابه .

تم دخلت سنة ثمان وستين

ذكر عزل حمزة وولاية مصعب البصرة

وفي هذه السنة رد عبدالله بن الزبير أخاه مصعباً إلى العراق . وسببه أن الأحنف رأى من حمزة بن عبدالله اختلاطاً وحمقاً فكتب إلى أبيه فعزله ورد مصعباً. واستعمل على الكوفة الحرث بن أبي ربيعة ، وقيل : كان سبب عزله حمزة أنه قصر بالأشراف وبسط يده ففزعوا إلى مالك بن مسمع فضرب خيمته على الجسر ثم أرسل إلى حمزة : الحق بأبيك وأخرجَه عن البصرة فقال العذيل العجلي :

إذا ما خشينا من أميرٍ ظُلامة دعونا أبا سفيانَ يوماً فعسكرا

ذكر حروب الخوارج بفارس والعراق

في هذه السنة استعمل مصعب عمر بن عبيد الله بن معمر على فارس وولاه حرب الأزارقة ، وكان المهلب على حربهم أيام مصعب الأولى وأيام حمزة بن عبدالله بن الزبير . فلما عاد مصعب أراد أن يولي المهلب بلاد الموصل ، والجزيرة ، وأرمينية ، ليكون بينه وبين عبدالله بن مروان فكتب إليه وهو بفارس في القدوم عليه فقدم واستخلف على عمله ابنه المغيرة ووصاه بالاحتياط وقدم البصرة فعزله مصعب عن حرب الخوارج ، وبلاد فارس واستعمل عليهما عمر بن عبيد الله بن معمر ، فلما سمع الخوارج به قال قطري بن الفجاءة : قد جاءكم شجاع وهو شجاع وبطل وجاءه يقاتل لدينه وملكه بطبيعة لم أر مثلها لأحد ما حضر حرباً إلا كان أول فارس يقتل قرنه ، وكان الخوارج قد استعملوا عليهم بعد قتل عبيد الله بن الماحوز الزبير بن الماحوز على ما ذكرناه سنة خمس وستين ؛ فجاءت الخوارج إلى اصطخر فقدم إليهم عمر ابنه عبيد الله في خيل فاقتتلوا فقتل عبيد الله بن عمر ، وأراد الزبير بن الماحوز قتال عمر فقال له

قطري : إن عمر موتور فلا نقاتله فأبى فقاتله فقتل من فرسان الخوارج تسعون رجلًا ، وطعن عمر صالح بن مخارق فشتر عينه ، وضرب قطرياً على جبينه ففلقه وانهزمت الخوارج وساروا إلى سابور ، فعاد عمر ولقيهم بها ومعه مجاعة بن سعر فقتل مجاعة بعمود كان معه أربعة عشر رجلًا من الخوارج ، وكاد عمر يهلك في هذه الوقعة فدافع عنه مجاعة فوهب له عمر تسعمائة ألف درهم فقيل في ذلك :

قد ذدت عادية الكتيبة عن فتى قد كاد يترك لحمه اقطاعا

وظهر عليهم ، فساروا وقطعوا قنطرة بينهما ليمتنع من طلبهم وقصدوا نحو أصبهان فأقاموا عندها حتى قووا واستعدوا ، ثم أقبلوا حتى مروا بفارس وبها عمر فقطعوها في غير الموضع الذي هم به أخذوا على سابور ثم على أرجان حتى أتوا الأهواز ، فقال مصعب : العجب لعمر قطع هذا العدو الذي هو بصدد محاربته أرض فارس فلم يقاتلهم ولو قاتلهم وفر كان أعذر له ، وكتب إليه يا ابن معمر ما انصفتني تجبي الفيء ونحيد عن العدو فاكفني أمرهم ، فسار عمر من فارس في أثرهم مجدّاً يرجو أن يلحقهم قبل أن يدخلوا العراق ، وخرج مصب فعسكر عند الجسر الأكبر وعسكر الناس معه ، وبلغ الخوارج وهم بالأهواز إقبال عمر إليهم وإن مصعباً قد خرج من البصرة إليهم فقال لهم الزبير بن الماحوز : من سوء الرأي وقوعكم بين هاتين الشوكتين انهضوا بنا إلى عدونا نلقهم من وجه واحد فسار بهم فقطع بهم أرض جوخى والنهر وانات ، فأتى المدائن وبها كردم بن مرثد القرادي (1) فشنوا الغارة على أهل المدائن يقتلون الرجال والنساء والولدان ويشقون أجواف الحبالى(2) فهرب كردم ، وأقبلوا إلى ساباط ووضعوا

---

(1) في الطبري " الفزاري " .

(2) قال ابن جرير : فقتلوا أم ولد لربيعة بن ناجد وقتلوا بنانة ابنة أبي يزيد بن عاصم الأزدي وكانت قد قرأت القرآن وكانت من أجمل الناس . فلما غشوها بالسيوف مَالت : وتحكم هل سمعتم بأن الرجال كانوا يقتلون النساء؟ وتحكم تقتلون من لا يبسط إليكم يداً ولا يريد بكم ضراً ولا يملك لنفسه نفعاً أتقتلون من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين ؟ فقال بعضهم : اقتلوها وقال رجل منهم : لو أنكم تركتموها؟ فقال بعضهم : اعجبك جمالها يا عدو الله قد كفرت وافتتنت فانصرف الآخر عنهم وتركهم فظننا أنه فارقهم وحملوا عليها فقتلوها فقالت ريطة بنت يزيد : سبحان الله

أترون الله يرضى بما تصنعون تقتلون النساء، والصبيان ، ومن لم يذنب إليكم ذنباً ثم انصرفت وحملوا عليها وبين يديها الرواع بنت أياس بن شريح الهمداني وهي ابنة أخيها لأمها فحملوا عليها فضربوها على رأسها بالسيف وتصيب ذباب السيف رأس الرواع فسقطتا جميعاً إلى الأرض .

السيف في الناس يقتلون ، وأرسلوا جماعة إلى الكرج فلقوا أبا بكر بن مخنف فقاتلهم قتالاً شديداً فقتل أبو بكر وانهزم أصحابه ، وأفسد الخوارج في الأرض فأتى أهل الكوفة أميرهم وهو الحرث بن أبي ربيعة -ولقبه القباع - فصاحوا به وقالوا : اخرج فإن العدو قد أظل علينا ليست له بقية . فخرج حتى نزل النخيلة فأقام أياماً لوثب إليه إبراهيم بن الأشتر فحثّه على المسير فسار حتى نزل دير عبد الرحمن فأقام به حتى دخل إليه شبث بن ربعي فأمر بالمسير فلما رأى الناس بطء مسيره رجزوا به فقالوا :

سار بنا القباع سيراً نُكْرَا يسيرُ يوماً ويقيمُ شهرا

فسار من ذلك المكان فكان كلما نزل منزلًا أقام به حتى يصيح به الناس فبلغ الفرات في بضعة عشر يوماً فأتاها وقد انتهى إليها الخوارج فقطعوا الجسر بينهم وبينه وأخذوا رجلًا اسمه سماك بن يزيد ومعه بنت له فأخذوها ليقتلوها فقالت لهم : يا ج هل الإسلام إن أبي مصاب فلا تقتلوه وأما أنا فجارية والله ما أتيت فاحشة قط ولا آذيت جارة لي ولا تطلعت ولا تشرفت قط فلما أرادوا قتلها سقطت ميتة فقصعوها بأسيافهم ،وبقي سماك معهم حتى أشرفوا على الصراة فاستقبل أهل الكوفة فناداهم : اعبروا إليهم فإنهم قليل خبيت فضربوا عنقه وصلبوه ، فقال إبراهيم بن الأشتر للحرث : اندب معي الناس حتى أعبر إلى هؤلاء الكلاب فأجيئك برؤوسهم . فقال شبث وأسماء بن خارجة ، ويزيد بن الحرث ، ومحمد بن عمير ، وغيرهم : أصلح الله الأمير دعهم فليذهبوا وكأنهم حسدوا إبراهيم ، فلما رأى الخوارج كثرة الناس قطعوا الجسر واغتنم ذلك الحرث فتحبس ثم جلس للناس فقال : أما بعد ، فإن أول القتال الرمية(ا) بالنبل وإشراع الرماح والطعن ثم الطعن شزراً ثم السلة آخر ذلك كله ، فقال له رجل : قد أحسن الأمير الصفة ولكن متى نصنع هذا وهذا البحر بيننا وبينهم ؟ فمر بهذا الجسر فليعقد ثم عبرنا إليهم فإن الله سيريك ما تحب ، فعقد الجسر وعبر الناس فطارد الخوارج حتى أتوا المدائن وطاردت بعض خيلهم عند الجسر طراداً ضعيفاً فرجعوا فاتبعهم الحرث عبد الرحمن بن مخنف في ستة آلاف ليخرجهم من أرض الكوفة وقال له : إذا وقعوا في أرض البصرة فاتركهم فسار عبد الرحمن يتبعهم حتى وقعوا في أرض أصبهان فرجع عنهم ولم يقاتلهم وقصدوا الري وعليها يزيد بن الحرث بن رويم

---

(1) في الطبري "أول القتال الرقي بالنبل ".

الشيباني فقاتلهم فأعان أهل الري الخوارج فقتل يزيد وهرب ابنه حوشب ودعاه أبوه ليدفع عنه فلم يرجع فقال بعضهم :

فلو كانَ حرّاً حوشب ذا حفيظة رأى ما رأى في الموت عيسى بن مصعبِ

يعني أن عيسى بن مصعب لم يفرعن أبيه بل قاتل عنه معه حتى قتل ، وقال بشر بن مروان يوماً وعنده حوشب هذا وعكرمة بن ربعي : من يدلنيِ على فرس جواد؟ فقال عكرمة : فرس حوشب فإنه نجا عليه يوم الري . وقال بشر أيضاً يوماً من يدلني على بغلة قوية الظهر ؟ فقال حوشب : بغلة واصل بن مسافر كان عكرمة يتهم بامرأة واصل فتبسم بشر وقال : لقد انتصفت ، ولما فرغ الخوارج من الري انحطوا إلى أصبهان فحاصروها وبها عتاب بن ورقاء فصبر لهم وكان يقاتلهم على باب المدينة ويرمون من السور بالنبل والحجارة ، وكان مع عتاب رجل من حضرموت يقال له أبو هريرة فكان يحمل عليهم ويقول :

كيف ترون يا كلاب النار شد أبي هريرة الهرَّار
يَهُرُكمْ بالليلِ والنهار يا ابن أبي ماحوز والأشرار
كيف ترى حربي (ا) على المضمار

فلما طال ذلك على الخوارج كمن له رجل منهم ذات يوم فضربه بالسيف على حبال عاتقه فصرعه فاحتمله أصحابه وداووه حتى برأ وخرج إليهم على عادته . ثم إن الخوارج أقامت عليهم أشهراً حتى نفدت أطعمتهم واشتد عليهم الحصار وأصابهم الجهد الشديد ، فقال لهم عتاب : أيها الناس قد نزل بكم من الجهد ما ترون وما بقي إلا أن يموت أحدكم على فراشه فيدفنه أخوه إن استطاع ثم يموت هو فلا يجد من يدفنه ولا يصلي عليه والله ما أنتم بالقليل وإنكم الفرسان الصلحاء فاخرجوا بنا إلى هؤلاء وبكم قوة وحياة قبل أن تضعفوا عن الحركة من الجهد فوالله إني لأرجو إن صدقتموهم أن تظفروا بهم فأجابوه إلى ذلك .

ذكر قتل أبن الماحوز وإمارة تطري بن الفجاءة

لما أمر عتاب أصحابه بقتال الخوارج وأجابوه إلى ذلك جمع الناس وأمر لهم

---

(1) في الطبري "كيف ترى جي " وجي بالفتح ثم التشديد مدينة ناحية اصبهان .

بطعام كثير ثم خرج حين أصبح فأتى الخوارج وهم آمنون فحملوا عليهم فقاتلوهم حتى أخرجوهم من عسكرهم وانتهوا إلى الزبير بن الماحوز فنزل شي عصابة من أصحابه فقاتل حتى قتل ، وانحازت الأزارقة إلى قطري بن الفجاءة المازني وكنيته أبو نعامة فبايعوه ، وأصاب عتاب وأصحابه من عسكره ما شاؤوا ، وجاء قطري فنزل في عسكر الزبير ثم سار عن أصبهان وتركها وأتى ناحية كرمان وأقام بها حتى اجتمعت إليه جموع كثيرة وجبى المال وقوي ثم أقبل إلى أصبهان ثم أتى إلى أرض الأهواز فأقام بها - والحرث بن أبي ربيعة عامل مصعب عل البصرة - فكتب إلى مصعب يخبره بالخوارج وأنهم ليس لهم إلا المهلب ، فبعث إلى المهلب وهو على الموصل والجزيرة فأمره بقتال الخوارج وبعث إلى الموصل إبراهيم بن الأشتر، وجاء المهلب إلى البصرة وانتخب الناس وسار بهم نحو الخوارج ثم أقبلوا إليه حتى التقوا بسولاف فاقتتلوا بها ثمانية أشهر أشد قتال رآه الناس .

ذكر حصار الريّ

وفيها أمر مصعب عتاب بن ورقاء الرياحي عامله على أصبهان بالمسير إلى الريّ وقتال أهلها ، لمساعدتهم الخوارج على يزيد بن الحرث رويم ، وامتناعهم من مدينتهم ، فسار إليهم عتاب ، فنازلهم وقاتلهم ، وعليهم الفرخان . وألح عليهم عتاب بالقتال ففتحها عنوةً ، وغنم ما فيها ، وافتتح سائر قلاع نواحيها .

وفيها كان بالشام قحط شديد حتى إنهم لم يقدروا من شدته على الغزو .

وفيها عسكر عبدالملك بن مروان ببطنان ، وهو قريب (1) من قنسرين ، وشتا بها ، ثم رجع إلى دمشق .

ذكر خبر عبيد الله بن الحر ومقتله

في هذه السنة قتل عبيد الله بن الحر الجعفى وكان من خيار قومه صلاحا وفضلاً واجتهاداً ، فلما قتل عثمان ووقعت الحرب بين علي ، ومعاوية قصد معاوية فكان سعه لمحبته عثمان ، وشهد معه صفين هو ومالك بن مسمع ،وأقام عبيد الله عند معاوية وكان له زوجة بالكوفة فلما طالت غيبته زوجها أخوها رجلاً يقال له عكرمة بن الخبيص،

---

(1) في الطبري "بطنان حبيب من أرض قنسرين " .

وبلغ ذلك عبيد الله فأقبل من الشام فخاصم عكرمة إلى علي فقال له : ظاهرت علينا عدونا فغلت (ا) فقال له : أيمنعني ذلك من عدلك ؟ قال لا فقص عليه قصته فرد عليه امرأته – وكانت حبلى فوضعها عند من يثق إليه حتى وضعت فألحق الولد بعكرمة ودفع المرأة إلى عبيد الله وعاد إلى الشام فأقام به حتى قتل علي ؛ فلما قتل أقبل إلى الكوفة فأتى إخوانه فقال : ما أرى أحداً ينفعه اعتزاله كنا بالشام فكان من أمر معاوية كيت وكيت فقالوا(2) : وكان من أمر علي كيت وكيت وكانوا يلتقون بذلك .

فلما مات معاوية وقتل الحسين بن علي لم يكن عبيد الله فيمن حضر قتله يغيب عن ذلك تعمداً . فلما قتل جعل ابن زياد يتفقد الأشراف من أهل الكوفة فلم ير عبيد الله بن الحر ثم جاءه بعد أيام حتى دخل عليه فقال له : أين كنت يا ابن الحر؟ قال : كنت مريضاً قال : مريض القلب أم مريض البدن ؟ فقال : أما قلبي فلم يمرض وأما بدني فقد منّ الله علي بالعافية ، فقال ابن زياد : كذبت ولكنك كنت مع عدونا فقال : لو كنت معه لرئي مكاني . وغفل عنه ابن زياد فخرج فركب فرسه ثم طلبه ابن زياد فقالوا : ركب الساعة فقال : علي به فأحضر الشرطة خلفه فقالوا : أجب الأمير فقال : أبلغوه عني أني لا آتيه طائعاً أبداً ثم أجرى فرسه وأتى منزل أحمد بن زياد الطائي فاجتمع إليه أصحابه ثم خرج حتى أتى كربلاء فنظر إلى مصارع الحسين ومن قتل معه فاستغفر لهم ثم مضى إلى المدائن وقال في ذلك :

يقولُ أمير غادرٌ وابن غادِرٍ ألا كنتَ قاتلتَ الحسينَ بن فاطِمَهْ
ونفسي على خذلانه واعتزاله وبيعة هذا الناكث العهد لائمهْ
فيا ندمي أن لا أكونَ نصرتُهُ ألا كلُّ نفس لا تسَدَّدُ نادمهْ
وإني لأني لم أكن من حُمَاتِهِ لذو حَسْرَةٍ أن لا تفارقَ لازمهْ
سقى الله أرواحَ الذين تبادروا إلى نصره سحّاً من الغيث دائمهْ
وقفت على أجداثهم ومحالهم فكاد الحشا ينقضُّ والعينُ ساجمهْ
لعمري لقد كانوا مصاليتَ في الوغى سراعاً إلى الهيجا حماةً خضارمهْ
تأسَّوْا على نصر ابن بنت نبيهم بأسيافهم اساد غِيلٍ ضراغمهْ

---

(1)هذه الكَلمة لا معنى لها.

(2) فى الطبرى فقال له القوم : وكان من أمراء

فإنْ يقتلوا في كل نفس بقية على الأرض قد أضحت لذلك واجمهْ
وما إن رأى الراؤون أفضلَ منهمُ لدى الموت سادات وزهر قماقمهْ
يُقَتِّلُهُمْ ظلماً ويرجو وِدادنا فَدَعْ خطةً ليست لنا بملائمهْ
لعمري لقد راغمتمونا بقتلهم فكم ناقمٍ منا عليكم وناقمهْ
أهمَّ مراراً أن أسير بجحفلٍ إلى فئة زاغت عن الحق ظالمهْ
فَكُفّوا وإلا زدتكم بكتائبٍ أشدَّ عليكم من زَحُوفِ الديالمهْ

وأقام ابن الحر بمنزله على شاطىء الفرات إلى أن مات يزيد ووقعت الفتنة فقال : ما أرى قرشياً ينصف (ا) أين أبناء الحرائر؟ فأتاه كل خليع ، ثم خرج إلى المدائن فلم يدع مالًا قدم به للسلطان إلا أخذ منه عطاءه وعطاء أصحابه وتكتب لصاحب المال بذلك ، ثم جعل ينقص الكور(2) على مثل ذلك إلا أنه لم يتعرض لمال أحد ولا ذمة ، فلم يزل كذلك حتى ظهر المختار وسمع ما يعمل في السواد فأخذ امرأته فحبسها فأقبل عبيد الله في أصحابه إلى الكوفة فكسر باب السجن وأخرجها وأخرج كل امرأة فيه وقال في ذلك :

ألم تعلمي يا أم توبةَ أنَّني أنا الفارسُ الحامي حقائقَ مذحج
وأني صَبَحْتُ السجن في سورة الضحى بكل فتى حامي الذمار مدجَج
فما إن برحنا السجن حتى بدا لنا جبين كقرنِ الشمس غيرمُشَنَّج (3)
وخدُّ أسيل عن فتاة حبيبةٍ إلينا سقاها كل دان مُثَجَّجِ (4)
فما العيش إلا أن أزورك آمناً كعادتنا من قبل حربي ومخرجي
وما زلت محبوساً لحبسك واجماً وإني بما تلقين من بعده شجي

وهي طويلة .

---

(1) في الطبري "ما أرى قريشاً تنصف " .
(2) في الطبري "يتقصى الكور" .
(3) الشنج تقبض في الجلد.
(4) كذا هنا وفي الطبري وهي غير مناسبة. قال في القاموس وطب مثجج لم يجتمع زبده اهـ .

وجعل يعبث بعمال المختار وأصحابه فأحرقت بهمدان داره (ا) ونهبوا ضيعته فسار عبيد الله إلى ضياع همدان فنهبها جميعها . وكان يأتي المدائن فيمر بعمال جوخى فيأخذ ما معهم من المال ثم يميل إلى الجبل فلم يزل على ذلك حتى قتل المختار ، وقيل : إنه بايع المختار بعد امتناع وأراد المختار أن يسطو به فامتنع لأجل إبراهيم بن الأشتر . ثم سار مع ابن الأشتر إلى الموصل ولم يشهد معه قتال ابن زياد أظهر المرض ، ثم فارق ابن الأشتر ، وأقبل في ثلاثمائة إلى الأنبار فأغار عليها وأخذ ما في بيت مالها ، فلما فعل ذلك أمر المختار بهدم داره وأخذ امرأته ففعل ما تقدم ذكره . وحضر مع مصعب قتال المختار وقتله ، فلما قتل المختار قال الناس لمصعب في ولايته الثانية : إنا لا نأمن أن يثب ابن الحر بالسواد كما كان يفعل بابن زياد والمختار فحبسه فقال :

فمن مبلغ الفتيان أنَّ أخاهم أتى دونه باب شديدٌ وحاجبهْ
بمنزلةٍ ما كان يرضى بمثلها إذا قام عَنَّتْهً كبولٌ تُجَاذِبهْ (2)
على الساق فوق الكعب أسودُ صامتٌ شديدٌ يداني خطوَة ويقاربهْ
وما كان ذا من عظم جرم جرمته (3) ولكن سعى الساعي بما هو كاذبهْ
وقد كان في الأرض العريضة مسلكٌ وأيُّ امرىء ضاقت عليه مذاهبهْ ؟
وقال : بأيِّ بلاء أم بأية نعمة تقدم قبلي مسلم والمهلبُ ؟

يعني مسلم بن عمرو والد قتيبة ، والمهلب بن أبي صفرة ، وكلم عبيد الله قوماً من وجوه مذحج ليشفعوا له إلى مصعب وأرسل إلى فتيان مذحج وقال : البسوا السلاح واستروه فإن شفعهم مصعب فلا تعترضوا لأحد وإن خرجوا ولم يشفعهم فاقصدوا السجن فإني سأعينكم من داخل ، فلما شفع أولئك النفر فيه شفعهم مصعب وأطلقه فأتى منزله وأتاه الناس يهنونه فقال لهم : إن هذا الأمر لا يصلح إلا بمثل الخلفاء

---

(1) عبارة الطبري "ووثبت همدان مع المختار فأحرقوا داره " وهي واضحة بخلاف ما هنا .
(2) في الطبري "تجاوبه " .
(3) في الطبري "جنيته " .

الماضين الأربعة ولم نر لهم فينا شبيهاً فنلقي إليه أزمتنا فإن كان من عزيز فعلام نعقد في أعناقنا بيعة وليسوا بأشجع منا لقاء ولا أعظم مناعة؟ وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لا طاعة لمخلوق في معصية الله تعالى " وكلهم عاصٍ مخالف ، قوي الدنيا ضعيف الآخرة ، فَعَلامَ تستحل حرمتنا ونحن أصحاب النخيلة ، والقادسية ، وجلولاء . ونهاوند نلقى الأسنة بنحورِنا والسيوف بجباهنا ثم لا يعرف حقنا وفضلنا ؟ فقاتلوا عن حريمكم فإني قد قلبت لكم ظهر المجن وأظهرت لهم العداوة ولا قوة إلا بالله ، وخرج عن الكوفة وحاربهم وأغار فأرسل إليه مصعب سيف بن هانىء المرادي فعرض عليه خراج بادرويا وغيرها ويدخل في الطاعة فلم يجب إلى ذلك فبعث إليه مصعب الأبرد بن قرة الرياحي فقاتله فهزمه عبيد الله وضربه على وجهه ، فبعث إليه أيضاً حريث بن يزيد فقتله عبيد الله ، فبعث إليه مصعب الحجاج بن جارية(1) الخثعمي ، ومسلم بن عمرو فلقياه بنهر صرصر فقاتلهما فهزمهما ، فأرسل إليه مصعب يدعوه إلى الأمان والصلة وأن يوليه أي بلد شاء فلم يقبل ، وأق نرسي ففر دهقانها بمال الفلوجة فتبعه ابن الحر حتى مر بعين تمر وعليها بسطام بن مصقلة بن هبيرة الشيباني فالتجأ إليهم الدهقان فخرجوا إلى عبيد الله فقاتلوه ، ووافاهم الحجاج بن جارية الخثعمي فحمل على عبيد الله فأسره عبيد الله وأسر أيضاً بسطام بن مصقلة وناساً كثيراً ، وبعث ناساً من أصحابه فأخذوا المال الذي مع الدهقان وأطلق الأسرى . ثم ان عبيد الله أتى تكريت فأقام يجبي الخراج فبعث إليه مصعب الأبرد بن قرة الرياحي . والجون بن كعب الهمداني في ألف ، وأمدهم المهلمب بيزيد بن المغفل في خمسمائة فقال لعبيد الله رجل من أصحابه : قد أتاك جمع كثير فلا تقاتلهم فقال :

يخوِّفني بالقتلِ قومي وإنما أموتُ إذا جاء الكتاب المؤجَّلُ
لعلَّ القنا(3) تدلي بأطرافها الغنى فنجدي كراماً تجتدي ونؤمّلُ
ألم تر أن الفقرَ يُزْرِي بأهلِهِ وأنَ الغنى فيه العلى والتجمُّلُ ؟
وأنك إلّا تركبِ الهولَ لا تنلْ من المال ما يرضي الصديقَ ويفضلُ ؟

وقاتلهم عبيدالله يومين وهو في ثلاثمائة ، ولما كان عند المساء تحاجزوا، وخرج

---

(1) في الطبري "الحجاج بن حارثة".
(2)في الطبريَ :
لعل القنا تدني بأطرافها الغني فنحيا كراماً أو نكر فنقتل

عبيد الله كل من تكريت وقال لأصحابه : إني سائر بكم إلى عبد الملك بن مروان فتجهزوا وقال : إني خائف أن أموت ولم أذعر مصعباً وأصحابه ، وسار نحو الكوفة فبلغ كسكر فأخذ بيت مالها ، ثم أتى الكوفة فنزل بحمام جرير فبعث إليه مصعب عمر بن عبيد الله بن معمر فقاتله فخرج إلى دير الأعور ، فبعث إليه مصعب حجار بن ابجر فانهزم حجار فشتمه مصعب ، وضم إليه الجون بن كعب الهمداني ، وعمر بن عبيد الله بن معمو فقاتلوه بأجمعهم وكثرت الجراحات في عسكر عبيدالله بن الحر وعقرت خيولهم وانهزم حجار ثم رجع فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى أمسوا وخرج ابن الحر من الكوفة ، وكتب مصعب إلى يزيد بن الحرث بن رويم الشيباني وهو بالمدائن لِأمره بقتال ابن الحر فقدم ابنه حوشباً فلقيه بباجسرى فهزمه عبيد الله وقتل فيهم ، وأقبل ابن الحر إلى المدائن فتحصنوا منه فخرج عبيد الله فوجه إليه الجون بن كعب الهمداني . وبشر بن عبدالله الأسدي فنزل الجون بحَوْلايا وقدم بشر إلى تامَرّا(ا) فلقي ابن الحر فتتله ابن الحر وهزم أصحابه ، ثم لقي الجون بن كعب بحولايا فخرج إليه عبد الرحمن برت عبدالله فقتله ابن الحر وني م أصحابه ، وخرج إليه بشير بن عبد الرحمن بن بشمِر العجلي فقاتله بسوراء قتالاً شديداً فرجع عنه بشير وأقام ابن الحر بالسواد يغير ويجبي الخراج ، ثم لحق بعبد الملك بن مروان فلما صار إليه أكرمه س أجلسه معه علىِ السرير وأعطاه مائة ألف درهم وأعطى أصحابه مالاً فقال له ابن الحر : لتوجه معي جنداً أقاتل بهم مصعباً فقال له : سر بأصحابك وادع من قدرت عليه وأنا ممدك بالرجال فسار بأصحابه نحو الكوفة فزل بقرية إلى جانب الأنبار فاستأذنه أصحابه في إتيان الكوفة فأذن لهم وأمرهم أن يخبروا أصحابه بقدومه ليِخرجوا إليه فبلغ ذلك القيسية فأتوا الحرث بن أبي ربيعة عامل ابن الزبير بالكوفة فسألوه أن يرسل معهم جيشاً يقاتلون عبيد الله ويغتنمون الفرصة فيه بتفرق أصحابه فبعثَ معهم جيشاً كثيفاً فساروا فلقوا ابن الحر فقال لابن الحر أصحابه : نس ت نفر يسير وهذا الجيش لا طاقة لنا به فتال : ما كنت لأدعهم وحمل عليهم وهو يقول :

يالك يوماً فاتَ فيه نهبي وغابَ عني نقتي وصحبي

ثم عطفوا عليه فكشفوا أصحابه وحاولوا أن يأسروه فلم يقدروا على ذلك ، وأذن

---

(1) حولايا بفتح أوله "سكون ثانيه - ، وتامرا بتشديد الراء المفتوحة وقبلها فتحة .

لأصحابه في الذهاب فذهبوا فلم يعرض لهم أحد ، وجعل يقاتل وحده فحمل عليه رجل من باهلة يكنى أبا كدب ة فطعنه وجعلوا يرمونه وتكتبون عليه ولا يدنون منه وهو يقول : أهذه نبل أم مغازل فلما اثخنته الجراح حاص إلى معبر هناك فدخله ولم يدخل فرسه فركب السفينة ومضى به الملاح حتى توسط الفرات فأشرفت عليه الخيل وكان معه في السفينة نبط فقالوا لهم : إن في السفينة طليبة(1) أمير المؤمنين فإن فاتكم قتلناكم ، فوثب ابن الحر ليرمي نفسه في الماء فوثب إليه رجل عظيم الخلق فقبض على يديه وجراحاته تجري دماً وضربه الباقون بالمجاذيف فلما رأى أنه يقصد به نحو القيسية قبض على الذي معه وألقى نفسه معه في الماء فغرقا ، وقيل في قتله : إنه كان يغشى مصعب بن الزبير بالكوفة فرآه يقدم عليه غيره فكتب إلى عبدالله بن الزبير قصيدة يعاتب فيها مصعباً وتخوفه مسيره إلى ابن مروان يقول فيها :

أبلغ أميرَ المؤمنين رسالةً فلستُ على رأي قبيحٍ أواربهْ
أفي الحق أن أجْفَى وتجعلَ مصعبٌ وزيراً له (2) منٍ كنت فيه
أحاربهْ فكيف وقد آتيتكم (3)حمتَّ بيعتي وحقي يلوى عندكم وأطالبهْ
وأبليتكم ما لا يُضَيَّعُ مثلهُ واسيتكم والأمرُ صعبٌ مراتبهْ
فلما استنار الملك وانقادت العدى وأدرك من ملك (4) العراق رغاتبهْ
جفا مصعب عني ولو كان غيرِه لأصبحَ فيما بيننا لا أعاتبهْ
لقد رابني من مصعب أن مصعباَ أرى كل ذي غشّ لنا هو صاحبهْ
وما أنا إن خليتموني (5) بواردٍ على كدر قد غصَّ بالماء شاربه (6)
وما لا مرىء إلا الذي الله سائقٌ إليه وما قد خطّ في الزّبْرِ كاتبهْ
إذا قمتُ عند الباب أدخل مسلماً(7) فيمنعني أن أدخل البابَ حاجبهْ

---

(1) في الطبري "طلبة" .
(2) في الطبري "وزيريه " .
(3) في الطبري "ابليتكم " .
(4) في الطري "من مال " .
(5) في الطبري "حلأتموني " حلأه عن الماء إذا رده عنه ومنعه إياه .

(6) في الطبري "قد خص بالصفو شاربه " .
(7) قي الطبري "أدخل مسلم ويمنعني " وادخل مبنى للمفعول ومسلم نائب الفاعل وهي أظهر.

فحبسه مصب وله معه معاتبات من الحبس ، ثم انه قال قصيدة يهجو فيها قيس عيلان منها :

ألم تر قيساً قيس عيلان برقعت لحاها وباعت نبلَها بالمغازلِ ؟

فأرسل زفر بن الحرث الكلائي إلى مصعب : إني قد كفيتك قتال ابن الزرقاء – يعني عبد الملك بن مروان – وابن الحر يهجو قيساً ، ثم إن نفراً من بنيِ سليم أسروا ابن الحر فقال : إنما قلت :

ألم تر قيساً قيسَ عيلان أقبلتْ وسارت إلينا في القنا والقبائل ؟

ففتله رجل منهم يقال له عياش .

ذكر عدة حوادث

قيل في هذه السنة وافى عرفات أربعة ألوية : لواء لابن الحنفية وأصحابه . ولواء لابن الزبير وأصحابه ، ولواء لبني أمية ، ولواء لنجدة الحروري ولم يجر بينهم حرب ولا فتنة(1) ، وكان أصحاب ابن الحنفية أسلم الجماعة، وكان العامل لابن الزبير على المدينة هذه السنة جابر بن الأسود بن عوف الزهري ، وعلى البصرة ، والكوفة مصعب أخوه ، وعلى قضاء الكوفة عبدالله بن عتبة بن مسعود ، وعلى قضاء البصرة هشام بن هبيرة ، وعلى خراسان عبدالله بن خازم ، وكان عبدالملك بن مروان بالشام مشاققاً لابن الزبير.

ومات عبدالله بن عباس سنة ثمان وستين وعمره أربع وسبعون سنة ، وقيل غير ذلك . وفيها مات عدي بن حاتم الطائي ، وقيل : سنة ست وستين وعمره مائة وعشرون سنة ، ومات أبو واقد الليثي واسمه الحرث بن مالك . وفيها توفي أبو شريح الخزاعي واسمه خويلد بن عمرو وهو الكعبي . (شريح) بالشين المعجمة وعبد الرحمن بن حاطب بن أبي بلتعة . وقيل : انه ولد زمن النبي صلى الله عليه وسلم . (حاطب) بالحاء المهملة و(بلتعة) بالباء الموحدة والتاء المثناة من فوق والعين المهملة المفتوحات .

(أ) قال ابن جرير الطبري : فكان م ول لواء انفض لواء محمد بن الحنفية ثم تبعه نجدة ثم لواء بني أمية ثم لواء ابن الزبير وتبعه الناص .

ثم دخلت سنة تسع وستين

ذكر قتل عمرو بن سعيد الأشدق

في هذه السنة خالف عمرو بن سعيد بن العاص عبد الملك بن مروان وغلب على دمشق فقتله ، وقيل : كانت هذه الحادثة سنة سبعين . وكان السبب في ذلك أن عبد الملك بن مروان أقام بدمشق بعد رجوعه من قنسرين ما شاء الله أن يقيم ثم سار يريد قرقيسيا وبها زفر بن الحرث الكلائي ، وكان عمرو بن سعيد مع عبد الملك فلما بلغ بطنان حبيب (ا)رجع عمرو ليلاً ومعه حميد بن حريث الكلبي : وزهير بن الأبرد الكلبي فأتى دمشق وعليها عبد الرحمن ابن أم الحكم الثقفي قد استخلفه عبد الملك . فلما بلغه رجوع عمرو بن سعيد هرب عنها ودخلها عمرو فغلب عليها وعلى خزائنة(2) ، وهدم دار ابن أم الحكم وجمع (3)الناس إليه فخطبهم ومناهم ووعدهم ، وأصبح عبد الملك وقد فقد عمراً فسأل عنه فأخبر خبره فرجع إلى دمشق فقاتله أياماً ، وكان عمرو إذا أخرج حميد بن حريث على الخيل أخرج إليه عبد الملك سفيان بن الأبرد الكلبي ، وإذا أخرج عمرو زهير بن الأبرد أخرج إليه عبد الملك حسان بن مالك بن بحدل . ثم إن عبد الملك وعمراً اصطلحا وكتبا بينهما كتاباً وأمنه عبد الملك فخرج عمرو في الخيل إلى عبد الملك فأقبل حتى أوطأ فرسه أطناب عبد الملك فانقطعت وسقط السرادق ثم دخل على عبد الملك فاجتمعا ، ودخل عبد الملك دمشق يوم الخميس ، فلما كان بعد دخول عبد الملك بأربعة أيام أرسل إلى عمرو أن ائتني . وقد كان عبد الملك استشار

(ا) بطنان حبيب - بضم الباء الموحدة أوله وسكون ثانيه كان مشتى عبد الملك ، وحبيب نسبة إلى حبيب بن مسلمة الفهري ، وفي الأصل "بطنان حلب " وهو تخريف .

(2) في الطبري " على خزائنها" .

(3) في الطبري "واجتمع الناس " .

كريب بن أبرهة الحميري في قتل عمرو فقال :لا ناقة لي نجي هذا ولا جمل ، في مثل هذا هلكت حمير . فلما أتى الرسول عمراً يدعوه صادف عنده عبدالله بن يزيد بن معاوية فقال لعمرو : يا أبا أمية أنت أحب إلي من سمعي ومن بصري وأرى لك أن لا تأتيه فقال عمرو : لم ؟ قال : 1 ن تبيعاً ابن امرأة كعب الأحبار قالع : إن عظيماً من ولد اسماعيل ترجع فيغلق أبواب دمشق ثم يخرج منها فلا يلبث أن يقتل ، فقال عمرو: والله لو كنت نائما ما أنبهني ابن الزرقاء ولا اجترأ علي ، أما إني رأيت عثمان البارحة في المنام فألبسني قميصه ، وكان عبدالله بن يزيد زوج ابنة عمرو . ثم قال عمرو للرسول : أنا رائح العشية ، فلما كان العشاء لبس عمرو درعاً ولبس عليها القباء وتقلد سيفه وعنده حميد بن حريث الكلبي . فلما نهض متوجهاً عثر بالبساط فقال له حميد : والله لو أطعتني لم لَأته . وقالت له امرأته الكلبية كذلك فلم يلتفت . ومضى في مائة من مواليه – وقد جمع عبد الملك عنده بنيِ مروان – فلما بلغ الباب أذن له فدخل فلم يزل أصحابه تحبسون عند كل باب حتى بلغ قاعة الدار وما معه إلا وصيف له فنظر عمرو إلى عبد الملك وإذا حوله بنو مروان ، وحسان بن بحدل الكلبي ، وقبيصة بن ذؤيب الخزاعي ، فلما رأى جماعتَهم أحس بالشر فالتفت إلى وصينه وقال : انطلق إلى أخي يحمى فقل له : يأتيني فلم يفهم الوصيف فقال له : لبيك ، فقال عمرو : أعزب عني في حرق الله وناره . وأذن عبد الملك لحسان، وقبيصة فقاما فلقيا عمراً في الدار فقال عمرو لوصيفه : انطلق إلى يحيى فمره أن يأتيني فقالي : لبيك فقال عمرو : أعزب عني ، فلما خرج حسان ، وقبيصة أغلقت الأبواب ودخل عمرو فرحب به عبد الملك وقال : ههنا ههنا يا أبا أمية فأجلسه معه على السرير وجعل يحادثه طويلًا ثم قال : لِا غلام خذ السيف عنه فقال عمرو : إنا للّه يا أمير المؤمنين فقال عبد الملك : أتطمع أن تجلس معي متقلداً بسيفك ؟فأخذ السيف عنه ثم تحدثا ثم قال له عبد الملك : يا أبا أمية إنك حيتَ خلعتني آليت بيمين إن أنا ملأت عيني منك وأنا مالك لك أن أجعلك في جامعة، فقال له بنو مروان : ثم تطلقه يا أمير المؤمنين ؟ قال : نعم وما عسيت أن أصنع بأبي أمية ، فقال بنو مروان : أبر قسم أمير المؤمنين ، فقال عمرو : قد أبر الله قسمك يا أمير المؤمنين ، فأخرج من تحت فراشه جامعة وقال : يا غلام قم فاجمعه فيها فقام الغلام فجمعه فيها فقال عمرو : اذكرك الله يا أمير المؤمنين أن تخرجني فيها على رؤوس الناس فقال عبد الملك : أمكراً يا أبا أمية عند الموت ؟ لا والله ما كنا لنخرجك في

جامعة على رؤوس الناس ، ثم جذبه جذبة أصاب فمه السرير فكسر ثنيته ، فقال عمرو : أذكرك الله

يا أمير المؤمنين كسر عظم مني فلا تركب ما هو أعظم من ذلك ، فقال له عبد الملك : والله لو أعلم أنك تبقي علي إذا أبقيت عليك وتصلح قريش لأطلقتك، ولكن ما اجتمع رجلان في بلدة قط على ما نحن عليه إلا أخرج أحدهما صاحبه ، فلما رأى عمرو أنه تريد قتله قال : أغدراً يا ابن الزرقاء ؟ ، وقيل : إن عمراً لما سقطت ثنيتاه جعا، لِمسهما فقال عبد الملك : يا عمرو أرى ثنيتيك قد وقعتا منك موقعاً لا تطيب نفسك لي بعدها ، وأذن المؤذن العصر فخرج عبد الملك يصلي بالناس وأمر أخاه عبد العزيز أن يقتله؛ فقام إليه عبد العزيز بالسيف فقال عمرو : أذكرك الله والرحم أن تلي قتلي ليقتلني من هو أبعد رحماً منك فألقى السيف وجلس ، وصلى عبد الملك صلاة خفيفة ودخل وغلقت الأبواب ، ورأى الناس عبد الملك حسِن خرج وليس معه عمرو فذكروا ذلك ليحيي بن سعيد ، فأقبل في الناس ومعه ألف عبد لعمرو وناس من أصحابه كثير ، فجعلوا يصيحون بباب عبد الملك : أسمعنا صوتك يا أبا أمية ، فاقبل مع يحيي حميد بن حريث ، وزهير بن الأبرد فكسروا باب المقصورة وضربوا الناس بالسيوف ، وضرب الوليد بن عبد الملك على رأسه واحتمله ابراهيم بن عربي صاحب الديوان فأدخله بيت القراطيس ، ودخل عبدالملك حين صلى فرأى عمراً بالحياة فقال لعبد العزيز : ما منعك أن تقتله ؟ فقال : إنه ناشدني الله والرحم فرفقت له ، فقال له : أخزى الله أمك البوالة على عقبها فإنك لم تشبه غيرها ، ثم أخذ عبد الملك الحربة فطعن بها عمراً فلم تجز ثم ثنى فلم تجز فضرب بيده على عضده فرأى اللي رع فقال : ودرع أيضاً إن كنت لمعداً فأخذ الصمصامة وأمر بعمرو فصرع وجلس على صدره فذبحه وهو يقول :

يا عمرو إنْ لا تَدَعْ شتمي ومنقصتي أضْرِبْكَ حتى تقول الهامة اسقوني

وانتفض عبد الملك رعدة فحمل عن صدره فوضع على سريره وقال : ما رأيت مثل هذا قط قتله صاحب دنيا ولا طالب آخرة ، ودخل يحص ومن معه على بني مروان ومن كان من مواليهم فقاتلوا يحيى ، وأصحابه ، وجاء عبد الرحمن بن أم الحكم الثقفي فدفع إليه الرأس فألقاه إلى الناس ، وقام عبد العزيز بن مروان وأخذ المال في البدر فجعل يلقيها إني الناس ، فلما رأى الناس الرأس والأموال تفرقوا وانتهبوا، ثم أمر عبد الملك بتلك الأموال فجبيت حتى عادت إلى بيت المال ، وقيل : إن عبد الملك إنما أمر بقتل عمرو حين خرج إلى الصلاة غلامه ابن الزعيرية(1) فقتله وألقى رأسه إلى

---

(1) في الطبري "غلامه أبا الزعيزعة " .

الناس ورمى يحمص بصخرة في رأسه ، وأخرج عبد الملك سريره إلى المسجد ، وخرج وجلس عليه ، وفقد الوليد ابنه فقال : والله لئن كانوا قتلوه لقد أدركوا ثأرهم ، فأتاه إبراهيم بن عربي الكناني فقال : الوليد عندي . وقد جرح ولمس عليه بأس ، وأتى عبد الملك بيحيى بن سعيد ، وأمر به أن يقتل ، فقام إليه عبد العزيز بن مروان فقال : جعلت فداك يا أمير المؤمنين أتراك قاتلاً بني أمية في يوم واحد ؟ فأمر بيحيى فحبس ، وأراد قتل عنبسة بن سعيد ، فشفع فيه عبد العزيز أيضاً وأراد قتل عامر بن الأسود الكلبي ، فشفع فيه عبد العزيز ، وأمر ببني عمرو بن سعيد فحبسوا ، ثم أخرجهم مع عمهم يحص ، فألحقهم بمصعب بن الزبير ، ثم بعث عبد الملك إلى امرأة عمرو الكلبية : ابعثي إلي كتاب الصلح الذي كتبته لعمرو . فقالت لرسوله : ارجع فأعلمه أن ذلك الصلح معه في أكفانه ليخاصمك عند ربه . وكان عبد الملك وعمرو يلتقيان في النسب في أمية ، هذا عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية ، وذاك عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية ، وكانت أم عمرو أم البنين بنت الحكم عمة عبد الملك فلما قتل عبد الملك مصباً واجتمع الناس عليه دخل أولاد عمرو على عبد الملك وهم أربعة : أمية، وسعيد، واسماعيل، ومحمد . فلما نظر إليهم قالع لهم : إنكم أهل بيت لم تزالوا ترون لكم على جميع قومكم فضلاً لم يجعله الله لكم وإن الذي كان بيني وبين أبيكم لم يكن حديثاً ولكن كان قديماً في أنفس أوليائكم على أولياتنا(1) في الجاهلية فأقطع بأمية – وكان أكبرهم – فلم يقدر أن يتكلم . فقام سعيد بن عمرو- وكان الأوسط – فقال : يا أمير المؤمنين ما تبغي (2) علينا أمراً كان في الجاهلية وقد جاء الله بالإسلام فهدم ذلك ووعد جنة وحذر ناراً . وأما الذي كان بينك وبين عمرو فإنه كان ابن عمك وأنت أعلم بما صنعت ، وقد وصل عمرو إلى الله وكفى بالله حسيباً ، ولعمري لئن أخذتنا بما كان بينك وبينه لبطن الأرض خير لنا من ظهرها . فرقَّ لهم عبد الملك وقال : إن أباكم خيرني بين أن يقتلني أو أقتله ، فاخترت قتله على قتلي ، وأما أنتم فما أرغبني فيكم وأوصلني لقرابتكم ، وأحسن جائزتهم ، ووصلهم وقربهم . وقيل : إن خالد بن يزيد قال لعبد الملك ذات يوم : عجبت كيف أصبت غرة عمرو ؟ فقال عبد الملك :

(ا) في الطبري " في أنفس م وليكم على أولينا" .
(2) في الطبري "ما تنعي " .

أدنيته مني ليسكنَ رَوْعُهُ وأصولَ (ا) صولة حازم متمكِّنِ (2)
غضباً ومحمية لديني إنه ليس المسيء سبيلُهُ كالمحسِنِ

وقيل : إنما خلع عمرو وقتله حين سار عبد الملك نحو العراق لقتال مصعب ، فقال له عمرو : إنك تخرج إلى العراق وقد كان أبوك جعل لي هذا الأمر بعده ، وعلى ذلك قاتلت معه ، فاجعل هذا الأمر لي بعدك ، فلم يجبه عبد الملك إلى ذلك ، فرجع إلى دمشق ، وكان من قتله ما تقدم .

وقيل : بل كان عبد الملك قد استخلف عمراً على دمشق ، فخالفه وتحصن بها ، والله أعلم .

ولما سمع عبدالله بن الزبير بقتل عمرو قال : ان ابن الزرقاء قتل لطيم الشيطان { وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون }(3) وبلغ ذلك ابن الحنفية فقال : {ومن نكث فإنما ينكث على نفسه }(4) يرفع له يوم القيامة لواء على قدر غدرته .

ذكر عصيان الجراجمة بالشام

لما امتنع عمرو بن سعيد على عبد الملك خرج أيضاً قائد من قواد الضواحي في جبل اللكام ، واتبعه خلق كثير من الجراجمة ، والأنباط ، وأباق عبيد المسلمين ، وغيرهم ، ثم سار إلى البنان . فلما فرغ عبد الملك من عمرو أرسل إلى هذا الخارج عليه ، فبذل له كل جمعة ألف دينار ، فركن إلى ذلك ولم يفسد في البلاد ؛ ثم وضع عليه عبد الملك سحيم بن المهاجر ، فتلطف حتى وصل إليه متنكراً ، فأظهر له ممالأته ، وذم عبد الملك وشتمه ، ووعده أن يدله على عوراته وما هو خير له من الصلح ، فوثق إليه . ثم إن سحيماً عطف عليه وعلى أصحابه وهم غارُّون غافلون بجيش مع موالي عبد الملك ، وبني أمية ، وجند من ثقات جنده وشجعانهم كان أعدهم بمكان خفيّ قريب ، وأمر فنودي من أتانا من العبيد - يعني الذين كانوا معه -

---

(ا) في الطبري : فأصول .
(2)في الطبري : مستمكن .
(3) سورة الأنعام 129 .
(4) سورة الفتح 10 .

فهو حر وتثبت في الديوان فانقضّ إليه كثير منهم ، فكانوا ممن قاتل معه فقتل الخارج ، ومن أعانه من الروم ، وقتل نفر من الجراجمة والأنباط ، ونادى المنادي بالأمان فيمن بقي منهم ، فتفرقوا في قراهم ، وسد الخلل ، وعاد إلى عبد الملك ، ووفى للعبيد .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة قتل زهير بن قيس أمير أفريقية ، وقلي ذكرنا ذلك سنة اثنتين وستين .

وفيها حكم رجل من الخوارج بمنى وسل سيفه ، وكانوا جماعة ، فأمسك الله أيديهم ، فقتل ذلك الرجل عند الجمرة .

وحج بالناس في هذه السنة عبدالله بن الزبير . وكان على البصرة والكوفة له أخوه مصعب ، وعلى قضاء الكوفة شريح ، وعلى قضاء البصرة هشام بن هبيرة، وعلى خراسان عبدالله بن خازم .

وفيها توفي أبو الأسود الدؤلي، وله خمس وثمانون سنة .

في هذه السنة اجتمعت الروم واستجاشوا على من بالشام ، فصالح عبد الملك ملكهم على أن يؤدي إليه كل جمعة ألف دينار خوفاً منه على المسلمين ، وفيها شَخَصَ مُصعب إلى مكة - في قول بعضهم - ومعه أموال كثيرة، ودواب كثيرة قسّمها في قومه وغيرهم ، ونهض فَنَحَرَ بدناً كثيرة ، وحجّ بالناس هذه السنة عبد الله بن الزبير وكان عماله فيها من تقدم ذكرهم.

ذكر يوم الجُفْرة(1)

وفي هذه السنة سار عبد الملك بن مروان يريد مصعباً فقال له خالد بن عبد الله بن خالد بن أسَيْد : إنْ وجهتني إلى البصرة وأتبعتني خيلاً يسيرة رجوت أن أغلب لك عليها ، فوجهه عبد الملك فقدمها مستخفياً في خاصته حتى نزل على عمرو بن أصمع ؛ وقيل : نزل على علي بن أصمع الباهلي ، فأرسل عمرو إلى عباد بن الحصين وهو على شرطة ابن معمر- وكان مصعب قد استخلفه على البصرة- ورجا ابن أصمع أن يبايعه عبّاد بن الحصين وقال له : إني قد أجرتُ خالداً وأحببت أن تعلم ذلك لتكون ظهراً لي. فوافاه الرسول حين نزل عن فرسه فقال عبّاد : قلْ له : والله لا أضع لبدٍ فرسي حتى آتيك في الخيل . فقال ابن أصمع لخالد : إن عباداً يأتينا الساعة ، ولا أقدر أن أمنعك عنه فعليك بمالك بن مسمع . فخرج خالد يركض وقد أخرج رجليه من الركابين حتى أتى مالكاً فقال : أجرني ، فأجاره ، وأرسل إلى بكر بن واتل والأزد فكان أول راية أتته راية بني يَشْكر . وأقبل عبّاد في الخيل فتواقفوا ، ولم

---

(1) بضم أوله وسكون ثانيه ، آخره هاء ، موضع بالبصرة .

يكن بينهم قتال . فلما كان الغد عدوا الى جفرة نافع بن الحرث ومع خالد رجال من تميم منهم صعصعة بن معاوية، وعبد العزيز تبن بشر، ومرّة بن محكان، وغيرهم، وكان أصحاب خالد جفرية ينتسبون الى الجفرة وأصحاب ابن معمر زبيرية ، وكان من أصحاب خالد عبيد الله بن أبي بكرة ، وحمران بن أتان ، والمغيرة بني المهلب ، ومن الزبَيْرِية قيس بن الهيثم السلميّ ، ووجه مصعب زُحَر بن قيس الجعفي مدداً لابن معمر في ألف ، ووجه عبد الملك عُبيد الله بن زياد بن ظبيان مدداً لخالد . فأرسل عبيد الله إلى البصرة من يأتيه بالخبر فعاد إليه فأخبره بتفرق القوم ، فرجعِ إلى عبد الملك ، فاقتتلوا أربعة وعشرين يوماً ، وأصيبت عين مالك بن مسْمَع ، وضجِر من الحرب ، ومشت بينهم السفراء ، فاصطلحوا على أن يخرج خالد من البصرة ، فأخرجه مالك ، تم لحق مالك بالنباج (ا) -وكان عبدُ الملك قد رجع إلى دمشق -فلم يكن لمصب هِمّة إلا البصرة ، وطمع أن يُدرك بها خالداً فوجده قد خرج ، فسخط مصعب على ابن معمر وأحضر أصحاب خالد فشتمهم وسبَّهم ، فقال لعبيد الله بن أبي بكرة : يا ابن مسروح إنما أنت ابن كلبة تعاورَها الكلاب فجاءت بأحمر، وأصفر، وأسود من كل كلب بما يشبهه . وإنما كان أبوك عبداً نزل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصن الطائف ثم ادّعيتم م ن أبا سفيان زنى بأمكم ، ووالله لئن بقيتُ لألحقنكم بنسبكم . ثم دعا حمران فقال له : إنما أنت ابن يهودية عِلْج نبطيّ سبيت من عين التمر . وقال للحكم بن المنذر بن الجارود ، ولعبد الله بن فُضالة الزهراني ، ولعلي بن اصمع ، ولعبد العزيز بن بشر ، وغيرهم ، نحو هذا من التوبيخ والتقريع ، وضربهم مائة مائة، وحلق رؤوسهم ولحاهم ، وهدم دورهم ، وصحرهم في الشمس تلاتاً، وحملهم على طلاق نسائهم وجنّ أولادهم في البيوت (2) وطاف بهم في أقطار البصرة ، وأحلفهم أن لا ينكحوا الحرائر ، وهدم دار مالك بن مسمع وأخذ ما فيها فكان مما أخذ جارية ولدت له عمرو بن مصعب (3) ، وأقام مُصعب بالبصرة ، ثم شخص إلى الكوفة ، فلم يزل بها حتى خرج إلى حرب عبد الملك بن مروان .

---

(1) النباج بكسر أوله وآخره جيم ، في بلاد العرب نباجان : أحدهما ، على طريق البصرة يقال له نباج بني عامر ، وهو بحذاء فيد ، والآخر نباج بني سعد بالقريتين ، وفي الطبري " ثأج " وهو الصواب .

(2) في الطبري " وجمر أولادهم في البعوث ، والتجمير أن يبقيهم في الجيش بعيداً عن أهليهم مدة طويلة .

(3) في الطبري " عمر بن مصعب " بدون واو .

(المُغِيرَة) بضمّ الميم وبالغين والراء و(خالد بن أسيد) بفتح الهمزة وكسر السين ؛ و(الجُفْرَة) بضم الجيم وسكون الفاء .

وفي هذه السنة مات عاصم بن عمر بن الخطاب ، وهو جدَ عمر بن عبد العزيز لأمه ، وولد قبل موت النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين .

ذكر مَقْتل عُمَيْر بن الحبّاب بن جَعْدة السلميّ

في هذه السنة قتل عمير بن الحباب بن جَعْدَة السلميّ ، ونحنُ نذكر سببَ الحرب بين قيسٍ وتغلب حتى آل الأمر إلى قتل عمير ، وكان سبب ذلك أنه لما انقضَ أمرُ مَرْجِ راهط وسار زفَرُ بنُ الحرثِ الكلائي (1) إلى قَرْقِيسيا على ما ذكرناه ، وبايع عميرٌ مروانَ بن الحكم وفي نفسه ما فيها بسبب قَتْلِ قيسٍ بالمرج . فلما سيّر مروان بن الحكم عبيد الله بن زياد إلى الجزيرة والعراق كأن عمير مَعه فَلَقوا سليمانَ بن صُرَد بعين الوردة وسار عبيد الله إلى قرقيسيا لقتال زُفَر فَثَبطَهُ عُمَيْرٌ وأشارَ عليه بالمسير إلى الموصل قبلَ وُصُولِ جيشِ المختار إليها ، فسار إليها ولقي إبراهيم بن الأشتر بالخازَرِ ،فمالَ عميرٌ معه ، فانهزم جيشُ عبيد الله ، وقتل هو ، فأتى عُمَيْرٌ قرقيسيا ، وصار مع زفر، فعجلا يطلبان كلياً واليمانية بمن قُتلوا من قيس ، وكان مَعَهُما قومٌ من تغلب يقاتلون معهما وتدلونهما ، وشغل عبد الملك عنهما بمصعب ، وتغلب عُمَيْرٌ على نَصِيبين .

ثم إنه ملّ المقامَ بقرقيسيا فاستأمن إلى عبد الملك فآمنه، ثم غدر به فحبسه عند مولاه الريّان ، فسقاه عُمَيْرٌ ومن معه من الحرس خمراً حتى أسكرهم ، وتسلق في السُّلّم من حبال ، وخرج من الحبس ، وعاد إلى الجزيرة ، ونزل على نهر البليخ بين حَرَّان والرقّة فاجتمعت إليه قَيْسٌ فكان يُغِيرُ بهم على ىَ لْب ، واليمانية ، وكان مَنْ معه يستأوون جواري تَغْلِب وُيسَخِّرونَ مشايِخَهُمْ من النصارى ، فهاج ذلك بينهم شراً لم يبلغ الحرب ، وذلك قَبْلَ مسير عبد الملك إلى مصعب ، وزفر ، ثم إن عُميراً أغارَ على كَلْب ثُمَّ رجعَ فنزلَ على الخابور ، وكانت منازلُ تغلب بين الخابور ، والفرات ، ودجَّلة ، وكانت بحيث نَزَلَ عُمَيْر امرأة من تميم ناكحة في تغلب يقال لها أم دُويل فأخذ

---

(1) في الطبري " الكلابي "" وسيتكرر ذكره .

غلام من بني الحريش أصحاب عُمَيْر عيراً مِنْ غَنَمِها، فشَكَتْ إلى عُمير، فلم يِمنع عنها ، فأخذوا الباقي ، فمانعهم قوم من تغلب ، فَقُتِلَ رجلٌ منهم تقال له مجاشع التغلبي ، وجاء دُوَيْل فشكت م مه إليه ، وكان فارساً بن فرسان تغلب ، فسارَ فى قومه ، وجعل تُذَكِّرهُمْ ما تصنعُ بهم قيس ، وتشكو إليهم ما اخِذَ من غنم أقَه ، فاجتمع منهم جماعةٌ وأمرُوا عليهم شُعَيْث بن مليك التغلبي ، أغاروا على بني الحريش ومعهم قوم من نُمَيْر فَقَتَل فيهم التغلبيون واستاقوا ذوْداً لامرأةٍ منهم يقال لها أمُّ الهيثم ، فمانعهم القيسيون فلم يقدروا على منعهم ، فقال الأخطل :

فإن تسألونا بالحَرِيشِ فإنّنا مُنينا بنوكٍ مِنْهُمُ وَفجُورِ
غداةَ تحامتنا الحرِيشُ كأنها كلابٌ بَدَتْ أنيابها لهريرِ
وجاؤوا بجمعٍ ناصري أمِّ هيثمٍ فما رجعوا من ذوْدِها بِبَعيبر

يوم ماكسين (1)

ولما استحكم الشرّ بين قيس ، وتغلب ، وعلى قيس عُمَيْرٌ وعلى تغلب شُعَيثٌ غزا عميرٌ بني تغلب وجماعتهم بماكِسين من الخابور فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وير أول وقعة لهم ، فَقُتِلَ من بني تغلب خمسمائة ، وقُتِلَ شُعَيْثٌ ، وكانت رجله قُطِعَتْ فَقَاتَلَ حتى قُتِلَ وهو يقول :

قد عَلِمَتْ قيسٌ ونحنُ نَعْلَمُ أنَّ الفتى لَقْتَلُ وهو أجْذَمُ

يوم الثرثار الأول

والثرثار(2) نهر أصلُ منبعِه شرقي مدينة سنجار وبالقرب من قرية يقال لها سرق ،ويفرغ في دجلةّ بين الكحيل ورأس الابل من عمل الفرج ، لما قُتِلَ بماكسين من ذكرنا استمدت تغلب وحشدت واجتمعت اليها النَّمِرُ بن قاسط وأتاها المُشَجَرُ بن الحرث الشيباني وكان من ساداتهم بالجزيرة وأتاها عبَيْدُ الله بن زياد بن ظبيان منجداً لهم على قيس فلذلك حقد عليه مُصعب بن الزبير حتى لتل أخاه النابي بن زياد ، واستنجد عميرٌ

---

(1) بكسر الكاف بلد بالخابور .
(2) وادٍ عظيم بالجزيرة ، يصب في دجلة أسفل تكريت .

تميماً ، وأسداً فلم ينجده منهم أحد ، فالتقوا على الثرثار وقد جعلت تغلبُ عليها بعدٍ شُعَيْثٍ زياد بن هَوْبَر وتقال يزيد بن هوبر التغلبي ، فاقتتلوا قتالًا شديداً فانهزمت قيس وقَتَلَتْ تغلبُ ومن معها منهم مقتلة عظيمة، وبقروا بطون ثلاثين امرأة من بني سليم . وقالت ليلى بنت الحرث التغلبية ، وقيل : هي للأخطل :

لما رأونا والصليب طالعا ومارس جيش وسما ناقعا
والخيل لا تحمل إلا دارعا والبيض في أيماننا قواطعا
خلوا لنا الثرثار والمزارعا وحنطة طيسا وكرما يانعا

يوم الثرثار الثاني

ثم إن قيساً تجمعت واستمدت واستعدت وعليها عُمَيْرُ بن الحباب وأتاهم زُفَرُ بن الحرث من قرقيسيا، وكان رئيس بني تغلب ، والنمر ، ومن معهما ابن هوبر فالتقوا بالثرثار واقتتلوا أشدَّ قتال اقتتله الناس وانهزمت بنو عامر وكانت على مُجَنَبة قيس ، وصبرت سليمُ وأعصرت حتى انهزمت تغلب ، ومن معها ، وقتل ابنا عبد يشوع ، وغيرهما من أشراف تغلب فقال عُمَيْر بن الحباب :

فدا لفوارس الثرثار نفسي وما جمعت من أهل ومال
وولت عامر عنا فأجلت وحولي من ربيعة كالجبال
أكافحهم بدُهم منِ سليم وأعصر كالمصاعيب النهال

وقال زُفَرْ بن الحرث :

ألا من مبلغ عني عُمَيْراً رسالة ناصح وعليه زاري
أنترك حيَّ ذي يمن وكلبا ونجعل جدنا بك في نِزار
كمعتمد على احدى يديه فخانته بوهن وانكسار

يوم الفُدَيْن (1)

وأغار عُمَيْرُ بن الحباب على الفُدَيْن وهي قرية على الخابور وقتل من بها من بني تغلب "فهزمهم فقال نُفَيْع بن صفار المحاربي :

---

(1) فُدَيْن بالتصغير هو ما بين ماكسين وقرقيسيا .

لو تسأل الأرض الفضاء عليِكم شهد الفدين بهلككم والصور
والصور قرية من الفُدَيْنِ .

يوم السُّكَيْر(1)

وهو على الخابور ويسمى سكير العباس ، ثم اجتمعوا والتقوا بالسكير وعلى قيس عُمَيْرِ بن الحباب وعلى تغلب والنَمِرِ يزيد بن هَوْبر فاقتتلوا قتالاً شديداً فانهزمت تغلب ، والنمِر ، وهرب عمير بن جندل وهو من فرسان تغلب فقال عمير بن الحباب :

وأفلتنا يوم السكير ابن جندل على سابح عوج اللبان مثابر
ونحن كررنا الخيل قدماً شواذبا دقاق الهوادي داميات الدوائر

وقال ابن صفار

صبّحناكم بهِن على سكير ولاقيتم هناك الأقورينا

يوم المعارك

والمعارك بين الحضر والعتيق من أرض الموصل ، اجتمعت تَغلب بهذا المكان فالتقوا هم وقيس فاقتتلوا به واشتد قتالهم فانهزمت تغلب ، وقال ابن صفارِ :

ولقد تركنا بالمعاركِ منكم والحضر والثرثار اجساداً جثا

فيقال : ان يوم المعارك والحضر واحد ، هزموهم إلى الحضر وقتلوا منهم بشراً كثيراً ، وقال بعضهم : هما يومان كانا لقيس والله أعلم ، والتقوا أيضاً بِلبىً(2) فوق تكريت من أرض الموصل فتناصفوا فقيس تقول : كان الفضل لنا ، وتغلب تقول : كان الفضل لنا .

يوم الشرعبية

ثم التقوا بالشرعَبية وعلى قيس عمير تبن الحباب وعلى تغلب وألفافها ابن هوبر

(أ) تصغير السكر .
(2) بكسر أوله وبالتنوين .

فكان بينهم قتال شديد قتل يومئذ عمار بن المهزم السلمي وكان لتغلب على قيس ، قال الأخطل :

ولقد بكى الجحّافُ لما أوْقَعَتْ بالشَّرْعَبِية إذْ رأى الأهوالا(1)

يعني أوقعت الخيل ، والشرعبيَّة من بلاد تَغْلِب ، والشرعبية أيضاً ببلاد مَنْبِجَ فبعضهم يقول : إن هذه الوقعة كانت ببلاد مَنْبجَ وذلك خطأ .

يَوْمُ البُلَيْخ

واجتمعت تغلب ، وسارت إلى البليخ ، وهناك عُمَيْرٌ في قيس ، والبليخ نهر بَيْنَ حَران والرقة ، فالتقوْا وانهزمت تغلب ، وكثر القتل فيها ، وبقرت بطون النساء ، كما فعلوا يوم الثرثار ، فقال ابن صفار :

زُرْقُ الرماحِ وَوَقْعُ كلِّ مهندٍ زَلْزَلْنَ قلبك بالبليخ فزالا

يوم الحَشَّاك (2) ومقتل عُمَيْرٍ بن الحباب السّلميّ وابن هوبر التغلبي

لما رأتْ تغلب إلحاح عمير بن الحباب عليها جمعت حاضرتها وباديتها ، وساروا إلى الحَشاك، وهُوَ تل قريبٌ من الشرعَبية ، وإلى جنبه بُراق ، وَدَلَفَ إليه عُمير في قيس ، ومعه زُفَرُ بن الحرث الكلائي (3) وابنه الهذَيْلُ بن زُفَر ، وعلى تغلب ابن هوبر ، واقتتلوا عند تلّ الحَشاك أشذ قتال وأبرحه حتى جنَّ عليهم الليل ، ثم تفرقوا ، واقتتلوا من الغد إلى الليل ثم تحاجزوا ، وأصبحت تغلب في اليوم الثالث فتعاقدوا أن لا يفروا ، فلما رأى عُمَيْرٌ جِدهم وأن نساءهم معهم قال لقيس : " يا قوم أرى لكم أن تنصرفوا عن هؤلاء فإنهم مستقتلون ، فإذا اطمأنوا وساروا إلي سرحهم وجَهْنا إلى كلّ قوم منهم من ينير عليهم " ،فقال له عبد العزيز بن حاتم بن النعمان الباهلي : " قتلت فرسان قيس أمسِ وأولَ أمسٍ ثم ملى سَحْرَكَ وَجَبُنْتَ ، وتقال : إن عُيَيْنَةَ بن أسماء بن

---

(1)وذكر البيت في معجم البلدان ببعض تغيير :
ولقد بكى الجحاف فيما أوقعت بالشرعبية اذ رأى أطفالا
(2) الحشْاك بفتح أوله وتشديد ثانيه وآخره كاف .
(3) في الطبري " الكلابي ".

خارجة الفزَاري قال له ذلك - وكان أتاه منجداً - فغضب عُمَيْر وقال : كأني بك وقد حمي الوغى أوّل فارّ ، فنزل عُمير وجعل يقاتل راجلاً(1) وهو يقول :

أنا عُميرٍ وأبو المُغلس قد أحبس القوم بضَنك فأحْبِسِ

وانهزمَ زفَرُ يومئذٍ ، وهو اليوم الثالث ، فلحق بقَرْقيسيا ، وذلك أنه بلغه أن عبد الملك بن مروان قد عزم على الحركة إليه بقرقيسيا فبادر للتأهب ، وقيل : إنه ادّعى ذلك سين فرّ اعتذاراً ، وانهزمت قيس ، وركبت تغلب ومن معها أكتافهم ، وهم يقولون : أما تعلمون أن تغلبَ تغلِبُ ، وشد على عُمَيرٍ جميل بن قيس من بني كَعْب بن زُهَيْر فقتله ، وقيل : بل تقاوي على عمير غلامان من بني تغلب فرمياه بالحجارة وقد أعيياه فأثخناه ، وكرّ عليه ابن هوبر فقتله ، وأصابت ابن هوبر يومئذٍ جراحة ، فلما انقضت الحرب أوصى بني تغلب بأن يُوَلّوا أمرهم مراد بن عَلْقَمَة الزَّهيريّ ، وقيل : خرج ابن هوبر في اليوم الثانى من أيامهم هذه الثلاثة وأوصى أنهم يولّون أمرَهم مراداً ومات من ليلته ، وكان مراد رئيسهم في اليوم الثالث ، فعبأهم على راياتهم ، وأمر كل بني أب أن يجعلوا نساءهم خلفهم ، فلما أبصرهم عمير قال ما تقدم ذكره ، قال الشاعر :

أرِقْتُ بأثناء الفراتِ وشفَّنِي نوائحُ أبكاها قتيلُ ابن هوبر
ولم تظلمي أن نحت أم مغلّس قتيل النصارى في نوائحَ حُسَّرِ

وقال بعض الشعراء ينكر قتل ابن هوبر عميراً :

وإن عميراً يومَ لاقته تغلب قتيلُ جميلٍ لا قتيل ابن هوبرِ

وكثر القتل يومئذ في بني سليم ، وغنيّ خاصة ، وقتل من قيس أيضاً يومئذ بشر كثير ، وبعثت بنو تغلب رأس عُمَيْر بن الحباب إلى عبد الملك بن مروان بدمشق فأعطى الوفد وكساهم ، فلما صالح عبد الملك زُفَر بن الحرث واجتمع الناس عليه قال الأخطل :

بني أميةَ قد ناضلتُ دُونَكُمُ أبناءَ قوم هم آوَوْا وَهُمْ نَصَرُوا
وقيسَ عَيْلانَ حتى أقبلوا رقصا فبايعوا لكَ قسراً بعد ما قهروا

---

(1) في الأصل " يقاتل رجلاً " .

ضَخوا من الحرب إذ عَضَّتْ غَوارِبَهُمْ وقيسُ عيلان من أخلافها ضَجروا

في أبيات كثيرة ، فلما قُتِلَ عُمير بن الحباب وقف رجلٌ على أسماء بن خارجة الفزاري بالكوفة ، فقال: قَتلتْ بنو تغلب عُمير بن الحباب ، فقال: لا بأس إنما قتل الرجل في ديار القوم مقبلاً غيرَ مدبر ، ثم قال:

يدي رهن على سليم بغارة تشيب لها أصداغ بكر بن وائل
وتترك أولادَ الفدوكس عالةً يتامى أيامى نهزة للقبائل

يوم الكحيل

وَهُوَ مِنْ أرضِ المَوْصِل في جانب دجلة الغربيّ ، وسببه أنه لما قُتِلَ عُمير بن الحَباب السلمي أتى تميم بن عُمير زفر بن الحرث فسأله أن يطلب له بثأره ، فامتنع ، فقال الهذيل بن زفر لأبيه : والله لئن ظفرت بهم تغلب إن ذلك لعارٌ عليك ، ولئن ظفروا بتغلب وقد خذلتهم إن ذلك لأشدُ ، فاستخلف زُفَر على قرقيسيا أخاه أوس بن الحرث ، وعزم على أن يغير على بني تغلب وتغزوهم ، فوجه خيلاً إلى بني فدوكس - بطن "من تغلب - فَقُتِلَ رجالُهُمْ واستبيحتْ أموالهم ونساؤهم حتى لم يبقَ غيرُ امرأة واحدة استجارت فأجارها يزيد بن حمران ، ووجه زفر بن الحرث ابنه الهذيل في جيش إلى بني كعب بن زهير فقتل فيهم قتلاً ذريعاً ، وبعث زفر أيضاً مسلم بن ربيعة العقيلي إلى قوم تغلب مجتمعين فأكثر فيهم القتل ، ثم قصد زُفَر لبني تغلب وقد اجتمعوا بالعقيق من أرض الموصل ، فلما أحسّتْ به ارتحلت تريد عُبُورَ دجلة ، فلما صارت بالكحيل لحقهم زفر في القيسية فاقتتلوا قتالا شديداً ، وترجّل أصحابُ زُفَر أجمعون ، وبقي زُفَر على- بغلٍ له ، فقتلوهم ليلتهم ، وبَقَرُوا بطون نساء منهم ، وغَرِقَ في دجلة أكثر ممن قُتِلَ بالسيف ، فأتى فلّهم لِبق فوجه زُفَر ابنه الهذيل فأوقع بهم إلا من عبر فنجا ، وأسر زفر منهم مائتين فقتلهم صَبْراً، فقال زفر:

ألا يا عينُ بَكّي بانسكابِ وبكّي عاصماً وابن الحبابِ
فإن تك تغلبٌ قتلت عُمَيرا ورهطاً من غَنِيّ في الحرابِ
فقد أفنى بني جُشَمِ بن بَكْرٍ ونمرهم فوارسُ من كلابِ
قَتَلْنا منهمُ مائتينِ صَبْراً وما عدلوا عُمَيرَ بن الحبابِ

وقال ابن صفّار المحاربيَّ :

ألم ترَ حَرْبنا تركتْ حبيباً فحالِفَها المذلَّة والصغار
وقد كانوا أولي عز فأضحوا وليس لهم من الذل انتصارُ

نم وأسرَ القطامي التغلبي في يوم من أيامهم ، وأخذ ماله ، فقام زفر بأمره حتى رد عليه ماله ووصله فقال فيه :

إني وإن كان قومي ليس بيعهم وبين قومك إلا ضربة الهادي
مثن عليك بما أوليت من حسنٍ وقد تعرض لي من مقتل بادي

(حبَيْب) الذي في الشعر هو تضم الحاء المهملة وفتح الباء الموحدة وهو في نسب بني تغلب.

يوم البشر

فلما استقر الأمرُ لعبد الملك واجتمع المسلمون عليه قدم عليه الأخطل الشاعر التغلبيّ وعنده الجحّافُ بنُ حكيم السليميّ ، فقال له عبد الملك : أتعرف هذا يا أخطل ؟قال : نعم هذا الذي أقول فيه :

ألا سائلِ الجحافَ هل هو ثائر بقتلى أصيبت من سليمٍ وعامرِ

وأنشدَ القصيدة حتى فرغ منها ، وكان الجحّاف يأكلُ رُطَباً فجعل النوى يتساقط من يده غيظاً،وأجابه وقال :

بلى سوف نبكيهم بكل مُهند وننعى عميراً بالرماحِ الشواجرِ

ثم قال : يا ابن النصرانية ما كنت أظن أن تجترىء عليَ بمثل هذا ، فأرعد الأخطل من خوفه ، ثم قام إلى عبدالملك ، وأمسك ذيله ، وقال : هذا مقام العائذ بك وأنا لك جار ، ثم قام الجحاف ومشى وهو يجر ثوبه ولا يعقل به فتلطف لبعض كتاب ،كل الديوان حتى اختلق له عهداً على صدقات تغلب ، وبكر بالجزيرة ، وقال لأصحابه : إن أمير المؤمنين قد ولاني هذه الصدقات ، فمن أراد اللحاق بي فليفعل ، ثم سار حتى أتى رصافة هشام ، فاعلم أصحابه ما كان من الأخطل اليه، وأنه افَعل كتاباً ، وأنه ليس بوال ، فمن كان أحب أن يغسل عني العار وعن نفسي فليصحبني فإني قد أقسمتُ أن

لا أغسل رأسي حتى أوقع في بني نغلب . فرجعوا عنه غير ثلاثمائة قالوا له : نموت بموتك ونحيا بحياتك ، فسارٍ ليلته حتى صبح الرحوب –وهو ماء لبني جُشَم بن بكر من تغلب - فصادف عليه جماعة عظيمةً منهم ، فقتل فيهم مقتلة عظيمة ، وأسر الأخطل وعليه عباءة وسخة فظنه الذي أسره عبداً ، فسأله من هو؟ فقال : عبد ، فأطلقه ، فرمى بنفسه في جب ، وخاف إن رآه من يعرفه أن يقتله ، فلما انصرف الجحاف خرج من الجب ، وأسرف الجحاف في القتل ، وبقر البطون عن الأجنة ، وفعل أمراً عظيماً؛ فلما عاد عنهم قدم الأخطل على عبد الملك ، فأنشده قوله :

لقد أوقع الجحاف بالبشر وَقْعَةً إلى الله منها المشتكى والمعولُ

فهرب الجحافُ فطلبه عبد الملك ، فلحق ببلاد الروم ، وقال بعد وقعة البشر يخاطب الأخطل :

أبا مالكٍ هل لُمتني أو حَضَضْتَني على القتل أم هل لامني كلُّ لائم

ألَمْ أفْنِكُم قتلاً وَأجْدعٍ أنُوفَكُم بفتيانِ قيس والسيوفِ الصوارمِ

بكلّ فتى ينعى عميراً بسيفه إذا اعتصمتً أيمانُهُمْ بالقواتْم

فإن تطردوني نطردوني وقد جرى بِيَ الورد يوماً في دماء الأراقم

نكحت بسيفي في زهير ومالك نكاح اغتصاب لا نكاح دراهم (1)

في أبياتٍ ، ولم يزل الجحّاف يتردد في بلاد الروم من طرابزندة الى قاليقلا ،وبعث إلى بطانة عبد الملك من قيس حتى أخذوا له الأمان فأمنه عبد الملك فقدم عليه ، فألزمه ديات من قتل ، وأخذ منه الكفلاء وسعى فيها ، فأتى الحجاج من الشام ، فطلب منه ، فقال له : متى عهدتني خائناً؟ فقال له : ولكنك سند قومك ولك عمالة واسعة فقال : لقد ألهمت الصدق ، فأعطاه مائة ألف درهم وجمع الديات فأوصلها ، ثم تنسك بعدُ وصلُح ومضى حاجاً فتعلّق بأستار الكعبة ، وجعل ينادي : اللهم اغفر لي وما أظنك تفعل ، فسمعه محمد بن الحنفية فقال : يا شيخ قنوطك شرمن ذنبك ، وقيل : إن سبب عوده كان أن الجحاف أكرمه ملك الروم وقربه وعرض عليه النصرانية ويعطيه ما شاء فقال : ما أتيتك رغبة عن الإسلام ، ولقي الروم تلك السنة عساكر

---

(1) الورد : الفرس الذي لونه الحمرة .

المسلمين صائفة فانهزم المسلمون وأخبروا عبد الملك أنهم هزمهم الجحاف ، فأرسل إليه عبد الملك يؤمنه ، فسار وقصد البشر ربه حي من بشر ، وقد لبس أكفانه وقال : قد جئت إليكم أعطي القود من نفسي ، وأراد شبابهم قتله فنهاهم شيوخهم فغفر عنه وحج؛ فسمعه عبدالله بن عمر وهو يطوف وتقول : اللهم اغفر لي وما أظنك تفعل ، فقال ابن عمر : لو كنت الجحاف ما زدت على هذا قال : فأنا الجحّاف .

ثم دخلت سنة إحدى وسبعين

ذكر مقتل مصب وملك عبد الملك العراق

في هذه السنة قُتِلَ مصعب بن الزبير في جمادى الآخرة ، واستولى عبد الملك بن مروان على العراق ، وسبب ذلك أن عبدَ الملك بن مروان ، لما قتل عمرو بن سعيد بن العاص كما تقدم ذكره ، وضع السيف فقتل من خالفَهُ فصفا له الشام ، فلما لم يبق له مخالفٌ فيه ، أجمعَ المسير إلى مُصعب بن الزبير بالعراق فاستشار أصحابه في ذلك ، فأشار يحيى بن الحكم بن أبي العاص عمه ؛ بأن يَقْنَعَ بالشام وتتركَ ابن الزبير والعراق ، وكان يقول عبد الملك : من أراد صواب الرأي فليخالف يحمص ، وقال بعضهم : إن العام جدب ، وقد غزوت سنتين فلم تظفر فأقم عامك هذا فقال عبد الملك : الشام بلد قليلُ المالِ ولا آمن نفاده ، وقد كتب كثير من أشراف العراق تدعونني إليهم ، وقال أخوه محمد بن مروان : الرأي أن تطلب حقك وتسير إلى العراق فإني أرجو ان الله ينصرك ، وقان بعضهم : الرأي أن تُقيم وتبعث بعض أهلك وتمده بالجنود ، فقال عبد الملك : إنه لا يقوم بهذا الأمر إلا قرشي رأي ولعلي أبعثُ من له شجاعة ولا رأي له وإني بصيرٌ بالحرب شجاع بالسيف إن احتجت إليه ، ومصعب شجاع من بيت شجاعة ولكنه لا علم له بالحرب يحب الخفض ومعه من يخالفه ومعي من ينصح لي ، فلما عزم على المسير ، وزوجته عاتكة بنت يزيد بن معاوية ، فبكت وبكى جواريها لبكائها فقال : قاتل الله كثير عزّة لكأنه يشاهدنا حين يقول :

إذا مَا أرادَ الغَزْوَ لم يثنِ هَمهُ حصّانٌ عليها عَقْدُ درٍ يزينُها
نَهَتْهُ فَلَما لَمْ تَرَ النَّهْي عَاقَهُ بَكَتْ وَبَكى مِمَّا عَنَاهَا فَطِيْنُها

وسار عبدُ الملك إلى العراق ، فلما بلغ مُصعباً مسيَرهُ وهو بالبصرة أرسلَ إلى المهلب وهو يقاتل الخوارج يستشيره ، وقيل : بل أحضره عنده فقالَ لمصعب : اعلم

أن أهل العراقِ قد كاتبوا عبد الملك وكاتبهم ، فلا تبعدني عنك ؛ فقال له فصعب : إن أهل البصرة قد أبوا أن يسيروا حتى أجعلك على قتال الخوارج ، وهم قد بلغوا سوق الأهواز، وأنا أكره ؛ إذ سار عبد الملك إلف أن لا أسيرُ إليه فاكفني هذا الثغرَ فعاد إليهم ، وسار مُصعب إلى الكوفة ومعه الأحنف فتوفي بالكوفة ، وأحضر مُصعب ابراهيم بن الأشتر- وكان على الموصل والجزيرة - فلما حضرَ عنده جعله على مقدمته ، وسار حتى نزل بَاجُمَيْرَا(1) ، وهي قريب من أوَانَا (2) وير من مسكن فعسكرَ هناك ، وسار عبد الملك وعلى مقدمتِهِ أخوه محمدٌ بن مروان وخالد بن عبدالله بن خالد بن أسيد فنزلوا بقرقيسيا ، وحصروا زُفر بن الحرث الكلائي ، ثم صالحهم على ما نذكره إن شاء الله تّعالى ، وسير زُفَرُ ابنه الهُذَيْل مع عبد الملك ، وكان معه ، ثم لحق بمصعب بن الزبير ، فلما اصطلحا سار عبدُ الملك وَمَنْ معه فنزلوا بمسكنٍ قريباً من عسكر مُصعب بين العسكرين ثلاثة فراسخ ويُقَال فرسخان ، وكتب عبد الملك إلى أهلِ العراق من كاتبه ، ومن لم يكاتبه ، وبذلَ لجميعهم أصبهان طعمة ، وقيل : إن كل من كاتبه طلب مِنْة امرةَ أصبهانَ فقال :أفيّ شيء أصبهان هذه حتى كلهم يطلبها ؟ فكل منهم أخفى كتابه إلا إبراهيم بن الأشتر، فإنه أحضرَ كتابَة عند مصعب مختوماً، فقرأه مُصعب ، فإذا هو يَدعوهُ إلى نفسه وتجعلُ له ولاية العراق ، فقالَ لَهُ مُصعب : أتدري ما فيه ؟ قال لا ، قال : يعرضُ عليك كذا وكذا وإنّ هذا لما يرغبُ فيه ، فقال إبراهيم : ما كنت لأتقلدَ الغدر والخيانةَ ووالله ما عند عبد الملك من م حدٍ من الناس بأيأس منه منّي ، ولقد كتبَ إلى أصحابك كلّهم مثلَ الذي كتبَ إلي فأطعني واضربْ أعناقهم قال : إذا لا يناصحني عشائرهم قال : فأوقرهم حديداً ، وابعثَ بهم إلى أبيضَ كِسرى واحبسهمِ هناكَ ، ووكّل بهم من إنْ غلبتَ وتفرقَتْ عشائرُهُمْ عنكَ ضَرَبَ رِقابَهم فإن ظهرت مننت على عشائِرهم بإطلاقهم فقال : إني لفي شغل عن ذلك ، فرحم الله أبا تحر - يعني الأحنف بن قيس - إن كان ليحذرني غدر أهلِ العراق وتقول : هم كالمُومِسَة تريد كل يوم بعلاً وهم يريدون كلَّ يوم أميراً ، فلما رأى قيسُ بن الهيثم ما عَزَمَ أهلُ العراق عليهِ من الغدرِ بمُصعب ، قال لهَم : وشكم لا تُدخلوا أهل الشامِ عليكم فوالله

---

(1) باجميرا : في معجم البلدان بالألف المقصورة : موضع دون تكريت .

(2) أوانا : بليدة كثيرة البساتين والشجر ، من نواحي دجيل بغداد ببنها وبين بغداد عشرة فراسخ من جهة تكريت .

لئن يطعموا بعيشكم ليُضَيقنَّ عليكم منازلكم ، والله لقد رأيتُ سيدَ أهلِ الشام على باب الخليفة ، يفرح ان أرسله في حاجةٍ ، ولقد رأيتنا في الصوائف ، وإنْ زاد أحدنا على عدةِ أجمالٍ ، وإن الرجل من وجوههم ليغزوَ على فرسِهِ وزاده خلفه فلم تسمعوا منه ؛ فلما تدانى العسكران أرسلَ عبد الملك الى مصعب رجلاً من كلب وقال له : اقرىء ابن اختك السلام – وكانت أمُّ مصعب كلبية – وقُل له يدعُ دعاءه إلى أخيه وادع دعائي إلى نفسي وتجعل الأمرَ شورى ، فقال له مصبُ : قلْ له : السيف بيننا ، فقدم عبد الملك أخاه محمداً وقدّم مصعب إبراهيم بن الأشتر فالتقيا فتناوش الفريقان فقُتِلَ صاحبُ لواء محمد ، وجعل مُصعب يمد ابراهيم فازال محمداً عن موقفه ، فوجه عبدُ الملك عبدالله بن يزيد إلى أخيه محمد فاشتد القتالُ فَقُتِلَ مسلمُ بن عمرو الباهلي والد قُتيبة – وهو من أصحاب مُصعب – وأمدَ مُصعب ابراهيمَ بُعتَاب بن ورقاء ، فساء ذلك إبراهيم وقال : قد قلتُ له لا تمدُّني بعتاب وضُربائِهِ وإنا لله وإنا إليه راجعون ، فانهزمَ عُتاب بالناسِ وكانَ قدْ كاتبَ عبد الملك وبايعه ، فلما انهزمَ صبرَ ابن الأشتر فقتل قتله عبيدً بن ميسرة مولى بني عَذْرة وحملَ رأسه إلى عبد الملك ، وتقدم أهلُ الشام فقاتلهم مُصعب وقال لقُطن بن عبد الله الحارثي :قَدم خيلك أبا عثمان ، فقال : أكره أن تَقْتُلَ مذحجَ في غير شيءٍ ، فقال لحجار بن أبجر : يا أبا أسيد قدم خيلك ، قال : إلى هؤلاء الأنتانِ قال : ما تتأخر إليه انتن ، فقال لمحمد بن عبد الرحمن بن سعيد مثلَ ذلك ، فقال : ما فعل أحدٌ هذا فأفعله ، فقالَ مصب : يا ابراهيم ولا إبراهيم لي اليوم ، ثم التفت فرأى عُروةَ بن المُغيرة بن شعبة ، فاستدناه فقال له : أخبرني عن الحُسين بن علي كيف صنع بامتناعه عن النزول على حكم ابن زياد وعزمِه على الحرب ؟ فأخبره فقال :

إن الألى بالطف من آلِ هَاشِمٍ تَأسُوا فَسَنوا لِلْكِرَامِ التَأسِيَا

قال عروة : فعلمت أنه لا يبرحُ حتى يُقتل؛ ثم دنا محمد بن مروان من مُصعب وناداه :أنا ابن عمك محمد بن مروان ، فاقبلْ أمان أمير المؤمنين ، فقال : أميرُ المؤمنين بمكة – يعني أخاه عبدالله بن الزبير- قال : فإن القومَ خاذلوك فأبى ما عرض عليه ، فنادى محمد عيسى بن مصعب بن الزبير له ، فقال له مصعب : انظر ما يريد منك ، فدنا منه فقال له : إني لك ولأبيك ناصحٌ ولكما الأمان ، فرجع إلى أبيه فأخبره

فقال : إني أظن القوم يفون لك ، فإن أحببت أن تأتيهم فافعل ،فقال :لا تتحدث نساء قريش أني خذلتك ورغبت بنفسي عنك ، قال : فاذهبْ أنت ومن معك إلى عمك بمكة فأخبره بما صنع أهل العراق ، ودعني فإني مقتول ، فقال :لا أخبر عنك قريشاً أبداً ، ولكن يا أبتِ الحقْ بالبصرة فإنهم على الطاعةِ أو الحق بأمير المؤمنين ، فقال مصعب :لا تتحدثُ قريش أنيِ فررت ، وقال لابنه عيسى : تقدّم اذن احتسبك ، فتقدم ومعه ناس فقتل وقُتِلوا ، وجاء رجل من أهل الشام ليحتزَ رأسَ عيسى ، فحمل عليه مُصعب فقتله ، وشدَّ على الناس فانفرجوا له ، وعاد، ثم حمل ثانية فانفرجوا له ، وبذل عبد الملك الأمان وقال : انه يعز علي أن تُقتلَ فاقبلْ أماني ، ولك حكمك في المال والعمل ، فأبى وجعل يُضارب ، فقال عبد الملك : هذا والله كما قال القاتل :

ومُدَجَّجٌ كَرِهَ الكُمَاةُ نِزَالَهُ لا مُمْعِناً هَرَباً ولا مُسْتَسْلِما

ودخل مصعب سرادقه فتحنط ، ورمى السرادق وخرج فقاتل ، فأتاه عبيد الله بن زياد بن ظبيان ، فدعاه إلى المبارزة فقال له : يا كلبُ؛ اعزب مثلي تبارز مثلك ؟وحمل عليه مُصعب فضربه على البيضةِ فهشمها وجرحه ، فرجع وعصب رأسه ، وترك الناس مصعباً وخذلوه حتى بقي في سبعةِ أنفسٍ ، واثخن مصعب بالرمي ، وكَثُرَت الجراحات فيه ، فعاد الى عبيدِ الله بن زياد بن ظبيان فضربه مصعب فلم يصنعْ شيئاً لضعفهِ بكثرة الجراحات ، وضربه ابن ظبيان فقتله ، وقيل : بل نظر إليه زائدة بن قُدامة الثقفي ، فحمل عليه فطعنه وقال : يا لثارات المختار فصرعه؛ وأخذ عبيد الله بن زياد رأسه؛ وحمله الى عبد الملك فألقاه بين يديه وأنشد :

نُعَاطي الملوكَ الحق ما قسَطوا لَنا وَليس عَلَيْنَا قَتْلُهمْ بِمُحَرمِ

فلما رأى عبدُ الملك الرأسَ سجدَ ، قال ابن ظبيان : لقد هممت أن أقتل

عبد الملك وهو ساجد ، فأكون قد قتلت ملكي العرب وأرحتُ الناس منهما ، وقال عبد الملك : لقد هممت أن أقتل ابن ظبيان ، فأكون قد قتلت أفتكَ الناس بأشجعِ الناس ، وأمر عبد "لملك لابن ظبيان بألف دينار فقال : لم أقتْلهُ على طاعتك ، وانما قتلته على قتل أخي النابىء بن زياد ولم يأخذْ منها شيئاً ، وكان قَتل مصعب بدير الجاثليق عند نهر دجيل ، فأمر عبد الملك به وبابنه عيسى فدفنا ، وتال : كانت الحُرمة بيننا قديمة ، ولكن المْلكَ عقيم .

وكان سبب قتل النابىء أنه قطع الطريق هو ورجل من بني نمير فأحضرا عند مطرف ابن سيدان الباهلي صاحب شرطة مصعب فقتل النابىء وضرب النُميري وأطلقه ، فجمع عبيد الله جمعاً ، وقصد مُطرفاً بعد أن عزله مُصعب عن شرطتِهِ وولاه الأهواز وسار عبيد الله إلى المطرف فقتله ، فبعث مصعب مكرم بن مُطرف في طلب عبيد الله ، فسار حتى بلغ عسكر مكرم فنسب إليه ، ولم يلقَ عبيد الله ، كان قد لحق بعبد الملك ، وقيل في قتله غير ذلك ، فنما أتى عبد الملك برأس مصعب نظر إليه وقال : متى تغزو قرشية مثلك ؟ وكانا يتحدثان إلى حُبَّى وهما بالمدينة فقِيلَ لها :قُتِلَ فصعب فقالت :تَعِسَ قاتله ، فقيل : قتله عبد الملك بن مروان فقالت : وا بأبي القاتل والمقتول ، ثم دعا عبد الملك بن مروان جند العراق إلى بيعته فبايعوه ، وسار حتى دخل الكوفة، فأقام بالنخيلة أربعين يوماً، وخطب الناس بالكوفة، فوعدَ المًحسن وتوعد المُسيء ، فقال : إن الجامعة النيِ وضعت في عنق عمرو بن سعيد عندي ، والله لا أضعها في عنق رجل فانتزعها إلا صعداً لا أفكها عنه فكاً، فلا يبقين امرؤ إلا على نفسه ولا يولغن دمه والسلام .

ودعا الناس إلى البيعة فبايعوه ، فحضرت قضاعة فقال لهم : كيفَ سلمتم وأنتم قليل مع مضر؟ فقال عبد الله بن يعلى النهدي : نحن أعزُ منهم وأمنعُ بك وبمن معك منا ، ثم جاءت مُذحج فقال : ما أرى لأسدٍ مع هؤلاء بالكوفة شيئاً ، ثم جاءت جُعفى فقال : ائتوني بابن أختكم –يعني يحص بن سعيد ، وكانت أمه مذحجية – فقالوا : هو آمن ؟ فقال : وتشترطون أيضاً ؟ فقال رجل منهم : إنّا ما نشترط جهلاً بحقك ولكنا نتسحب عليك تسحب الولد على الوالد فقال : نعم انتم الحي ان كنتم لفرساناً في الجاهلية والاسلام ليحضر فهو آمن ، فأتوه به فبايعه ، ثم أتته عدوان فقدموا بين أيديهم رجلاً جميلاً وسيماً فقال عبد الملك :

عَذِيْرُ الحيِّ من عدوانَ كَانوا حَيةَ الأرْضِ
بَغَى بَعْضُهُم بعضاً فَلَمْ يَرْعوا على بَعْضَ
وَمِنْهُمْ كانتِ السَّادَاتُ والمُوفُونَ بالقرْضِ

ثم أقبل على ذلك الرجل الجميل فقال : إيه فقال :لا أدري فقال مَعْبِدُ بن خالد الجدلي وكان خَلْفهُ :

وَمِنْهُمْ حَكَمٌ يقْضِي فَلاَ ينقضُ مَا يَقْضِي
وَمِنْهُمْ مَنْ يُجيزُ الحَجَّ بِالسنَةِ وَالْفَرْضِ

وَهم مذ وُبدوا شبوا بِسرالنسَبِ المَحضِ

فاقبل عبد الملك على ذلك الجميل فقال : من هو؟ فقال لا أدري ، فقَال مَعبد من ورائه : هو ذو الأصبع فاقبل على الجميل فقال : لم تُسمى ذا الإِصبع ؟ فقال لا أدري ، فقال معبد: لأن حية نهشت أصبعه فقطعتها ؛ فاقبل على "لجميل فقال : ما كان اسمه ؟ قال لا أدري فقال معبد جُرتان بن الحرث ، فقال للجميل من أيكم هو؟ قال لا أدري فقال معبد : من بني ناج ، ثم قال للجميل : كم عطاؤك ؟ قال سبعمائة قال لمعبد : كم عطاؤك ؟ قال : ثلاثمائة فقال لكاتبه : اجعلْ معبداً في سبعمائة وانقصْ من عطاء هذا أربعمائة ففعل ، ثم جاءت كندة، فنظر إلى عبد الله بن اسحاق بن الأشعث فاوحى به أخاه بشر بن مروان ، وأقبل داود بن قُحذم قي جمعٍ كثير من بكر بن وائل ، عليهم الاقبية الداودية وبه سميت ، فجلس مع عبد الملك على سريره ، فأقبل عليه عبد الملك ، ثم نهض ونهضوا معه ، فقال عبد الملك : هؤلاء الفساق ؛ لولا أن صاحبهم جاءني ما أعطاني أحد منهم طاعة ، ثم ولّى قطن بن عبدالله الحارثي الكوفة اربعين يوماً ثم عزله ، فاستعمل أخاه بشر بن مروان ، ثم استعمل محمد بن عمير الهمدانيِ على همذان ، وتزيد بن رُويم على الري ، ولم يفِ لأحدٍ شرط له اصبهان وقال : على بهؤلاء الفساق الذين انغلوا الشام وأفسدوا العراق فقيل : قد أجارهم رؤساء عشائرهّم فقال : وهل يُجير عليّ أحدٍ ؟ وكان عبدالله بن يزيد بن أسد - والد خالدٍ القسري - قد لجأ إلى علي بن عبدالله بن عباس ، ولجأ إليه أيضاً يحيى بن معيوف الهمداني ، ولجأ الهذيل بن زُفرْ بن الحرثِ ، وكان مع عبد الملك على ما نذكره ، عمرو بن يزيد الحكمي إلى خالد بن يزيد فأمنهم عبد الملك فظهروا ، فصنع عمرو بن حُريث لعبد الملك طعاماً كثيراً ، وأمر به إلى الخورنق ، وأذن إذناً عاماً فدخل الناس ، وأخذوا مجالسهم ، فدخل عمرو بن حُريث فأجلسه معه على سريره ، ثم جاءت الموائد فأكلوا فقال عبد الملك : ما ألذ عيشنا لو دام ولكنا كما قال الأول :

وَكلُ جَدِيدٍ يا أمَيْمُ إلى بلى وَكلُّ امرىءٍ يوماً يَصرُ إلى كَان

فلما فرغوا من الطعام ؛ طاف عبد الملك في القصر وعمرو بن حُريث معه وهو تسأله لمن هذا البيت وَمَنْ بنى هذا البيت ؟ وعمرو يخبره فقال عبد الملك :

اعْمَلْ على مَهلٍ فَإنكَ مَيتٌ وَاكْدَحْ لِنَفْسِكَ أيها الإنْسَانْ
فَكَأنَّ مَا قَدْ كَانَ لَمْ يَك إذْ مَضىَ وكَأنَّ مَا هُو كَائِنٌ قَدْ كَانْ

ولما بلغ عبد الله بن خازم مسير مصعب لقتال عبد الملك قال : أمعه عمر بن عبيد الله بن معمَر ؟ قيل لا استعمله على فارس قال : أمعه المهلَّب ؟ قِيْل :لا استعمله على الخوارج قال : أمعه عبَّاد بن الحُصين ؟ قيل : استخلفه على البصرة قال : وأنا بخراسان.

خُذِيني فَجُرِّيني جِعَار وأبْشِرِي بِلَحْمِ أمْرِىءٍ لَمْ يَشْهَدِ اليَوْمَ نَاصِرَهْ

ولما قُتِلَ مصعب بعت عبد الملك رأسه إلى الكوفة ، أو حمله معه إليها ، ثم بعث به الى أخيه عبد العزيز بن مروان بمصر ، فلما رآه وقد قطع السيف أنفه قال : رحمك الله ؛ أما والله لقد كنت من أحسنهم خلقاً وأشدهم بأساً وأسخاهم نفساً ، ثم سيره إلى الشام ، فنصب بدمشق ، وأرادوا أن يطوفوا به في نواحي الشام فأخذته عاتِكَةُ بنت يزيد بن معاوية –زوجة عبد الملك بن مروان – وهي أم يزيد بن عبد الملك فغسلته ودفنته وقالت : أما رضيتمِ بما صنعتم ، حتى تطوفوا به في المدن هذا بغي ، وكان عمر مصعب حين قتِل ستاً وثلاثين سنة ، قال يوماً عبد الملك لجلساته :مَنْ أشد الناس ؟ قالوا : أميرُ المؤمنين قال : اسلكوا غير هذا الطريق قالوا : عمير بن الحُباب قال : قبح الله عميراً ، لص ثوب ينازع عليه أعِزُّ عنده من نفسه ودينه قالوا : فشبيب قال : إن للحرورية لطريقاً قالوا : فمن ؟ قال :مُصعب كان عنده عقيلتا قريش سكينة بنت الحسين وعائشة بنت طلحة، ثم هو أكثر الناس مالاً جعلت له الأمان وولاية العراق ، وعلم أني سأفي له للمودة التي كانت بيننا فحمي أنفاً وأبى وقاتل حتى قُتِل ، فقال رجل : كان مُصعب يشرب النبيذ ،قال :كان ذلك قبل أن يطلب المروءة ، فأما مذ طلبها ، فلو علم أن الماء ينقص مروءته ما ذاقه ، قال الأقشر الأسدي :

حمى أنْفهُ أنْ يَقْبَلَ الضَّيْمَ مُصْعَبُ فَمَاتَ كَرِيماً لَمْ تُذمِ خَلَائِقُه
وَلَوْ شَاءَ أعْطَى الضَّيْمَ مَنْ رَامَ هَضْمَهُ فَعَاشَ مَلوُماً في الرجَالِ طَرَائِقُه
وَلَكِنْ مَضَى وَالبَرْقُ يَبْرقُ خَالَهُ يُشَاوِرُهُ مَرّاً وَمَرَّاً يُعَانِقُه
فَوَلَّى كَرِيماً لَمْ تَنَله مَذَمَّةٌ وَلَمْ يَكُ رَغْدَاً تُطبيهِ نمارِقُه

وقال عَرفجَة بن شُرَيْك :

مَا لِابْنِ مرْوَانَ أَعْمَى الله نَاظِرَهُ وَلَا أصَابَ رُغَيبَاتٍ وَلَا نَفَلَا
يَرْجو الفَلاحَ ابن مروانَ وَقَد قَتَلَتْ خَيْلُ ابنِ مرْوَانَ حُرّاً مَاجِداً بَطَلَا
يَا ابْنَ الحَرَاري كَمْ مِنْ نِعْمةٍ لَكم لَوْ رَامَ غَيْرُكُم أمْثَالَها شُغلَا
خمِّلْتُمُ فَحَملتُمْ كُل معْضِلَةٍ إنَّ الكَرِيْمَ إذا حَمَّلْتَهُ حَمَلَا

وقال عبدالله بن الزبير الأسدي في إبراهيم بن الأشتر : - (هذا الزَبير بفتح الزاي وكسر الباء).

سَأبْكي وإنْ لَمْ تَبْكِ فِتْيَانُ مُذحِجٍ فَتَاها إذَا اللّيْلُ التَّمَام تَأوَّبا
فَتَى لَمْ ،تِكُنْ في مُرَّة الحَرْبِ جَاهِلا وَلَا بمُطِيعٍ في الوَغَى مَنْ تَهَيبا
أبَانَ أنُوف الحَي قحْطَانَ قَتَلُهُ وَأنْفُ نزَارٍ قَدْ أبَانَ فأوعَبْا
فَمَنْ يَكُ أمْسى خَائِناً لأمِيرِهِ فَمَا خَانَ إبراهيمُ في الموت مُصْعَبا

وحين قُتِل مصعب كان المهلّب يحارب الأزارقة بسولاف - بلد بقارس - على شاطىء البحر ثمانية أشهر ، فبلغ قتله الأزارقة قبل المهلب ، فصاحوا بأصحاب المهلب ما قولكم في مُصعب ؟ قالوا : أميرُ هدى ، وهو ولينا في الدنيا والآخرة ، ونحن أولياؤه قالوا : فما قولكم في عبد الملك ؟ قالوا : ذاك ابن اللعين نحن نبرم الى الله منه ، وهو أحلَّ دماً منكم قالوا : فإن عبد الملك قتل مُصعباً وستجعلون غداً عبد الملك إمامكم ، فلما كان الغد سمع المهلب وأصحابه قتل مُصعب ، فبايع المهلّب الناس لعبد الملك بن مروان ، فصاح بهم الخوارج ؛ يا أعداء الله ما تقولون في مصعب ؟ قالوا : تِا أعداء الله لا نخبركم ، وكَرِهوا م ن يكذّبوا أنفسهم ، قالوا : وما قولكم في عبد الملك ؟ قالوا : خليفتنا ؛ ولم يجدوا بداً إذ بايعوه أن يقولوا ذلك ، قالوا : يا أعداء الله أنتم بالأمس تبرؤن منه في الدنيا والآخرة ، وهو اليوم إمامكم ، وقد قتل أميركم الذي كنتم تولونه ، فأتهما المهتدي وأيهما المبطل ؟ قالوا : يا أعداء الله رضينا بذلك إذ كان يتولى أمرنا ونرتضي بهذا ، قالوا :لا والله ؛ ولكنكم إخوان الشياطين وعبيد الدنيا .

وأما عبدالله بن الزبير ، فلما انتهى إليه قتل أخيه مصعب ، قام في الناس

فخطبهم فقال : الحمد لله الذي له الخلق والأمر : يؤتي الملك من يشاء ، وتنزع الملك ممن يشاء ، وتعزّمن يشاء ، وتذلُّ من يشاء ،ألا وإنه لم يذللِ الله من كان الحق معه ، وإن كان فردا ، ولم يعزز من كان وليه الشيطان وإن كان الناس معه طراً ، ألا وإنه قد أتانا من العراق خبر أحزننا وأفرحنا ؛ أتانا قتل مصعب رحمه الله ، أما الذي أفرحنا فعلمنا أن قتله شهادة ، وأما الذي أحزننا ، فإن لفراق الحميم لوعة يجدها حميمه عند المصيبة يرعوي بعدها ذوو الرأي الجميل الى الصبر وكريم العزاء . وما مُصعب إلا عبد من عبيد الله وعون من أعواني . ألا وإن أهل العراق أهل الغدر والنفاق؛ أسلموه وباعوه بأقل الثمن ، فان يقتل فمه ؛ والله ما نموت على مضاجعنا كما يموت بنو أبي العاص ، والله ما قُتِل رجلٌ منهم في زحف (1) في الجاهلية ولا في الاسلام ، ولا نموت الا قعصاً بالرماح وتحت ظلال السيوف . ألا انما الدنيا عارية من الملك الأعلى الذي لا يزول سلطانه ، ولا يبيد ملكه ، فان تقبل لا آخذها أخذ البطر، وإن تُدبر لم أبكِ عليها بكاءَ الضرع المهين . أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم . (حجّار بن أبجر) بفتح الحاء المهملة وتشديد الجيم وكنيته أبو أسيد بضم الهمزة وفتح السين ، و(حبّي) بضم الحاء المهملة وبالباء الموحدة المشددة الممالة وآخره ياء مثناة من تحتها ، و(عبدالله بن خازم) بالخاء المعجمة والزاي .

ذكر ولاية خالد بن عبدالله البصرة

وفي هذه السنة تنازع ولاية البصرة حُمران بن أبان ، وعبيد الله بن أبي بُكرة ،فقال ابن ابي بُكرة : أنا أعظم منك ، كنت أنفق على أصحاب خالد يوم الجُفْرَة ، فقِيل لحَمران : انك لا تقوى على ابن أبي بُكرة ، فاستعن بعبدالله بن الأهيم (2) ، فاستعان به ، فغلب على البصرة وعبدالله على شرطها ، وكان لحمران منزلة عند بني أمية ، وكانت هذه المنازعة بعد قتل مصعب ، فلما استولي عبد الملك على العراق بعد قَتْلهِ استعمل على البصرة خالد بن عبدالله بن خالد بن أسَيد ، فوجه خالد عبيد الله بن أبي بكرة اليها خليفةً له ، فلما قدم على حُمران قال : قد جِئْتَ لا جِئت (3) ؛ فكان عبيد الله

---

(1) في الطبري " في زعف " .
(2) في الطبري " بعبد الله بن الأهثم " .
(3) في الطبري " أقَدْ جئتَ لا جئتَ " .

عليها حتى قدم خالد ، ولما فرغ عبد الملك من أمر العراق عاد إلى الشام .

ذكر أمر عبد الملك وزُفر بن الحرث

قد ذكرنا في واقعة راهط مسير زُفر إلى قرقيسيا ، واجتماع قيس عليه والسبب في استيلائه عليها وما كان منه بعد ذلك . وكان على بيعة هـ ابن الزبير وفي طاعته ، فلما مات مروان بن الحكم وولي ابنه عبد الملك كتب إلى أبان بن عُقبة بن أبي مُعيط –وهو على حمص – يأمره أن يسير إلى زُفر ، فسار إليه وعلى مقدمته عبدالله بن زميت الطائي : فواقع عبدالله زُفر قبل وصول أبان وكثر في أصحابه القتل قتل منهم ثلاثمائة فلامَه أبان على عجلته، وأقبل أبان فواقع زفر ، فقتل ابنه وَكيع بن زُفر وأدركت طيىء ثقلَ زُفر ونساءه فاستوهب محمد بن حصين بن نُميرِ النساء وألحقهن بزُفر بقرقيسيا فقال زُفر :

عَلِقْنَ بِحَبْلٍ مِنْ حُصَيْنٍ لو أنه تَغَيبَ حَالَتْ دُونَهُنَ المَصَائِرُ
أبُوكُم أبُونَا في القَدِيمِ وَإِنني لغَابِرُكُمْ في آخِرِ الدَّهرِ شَاكِرُ

وكان يقال لزفر إنه من كندة ، ثم إن عبد الملك لما أراد المسير إلى مُصعب ، سار الى قرقيسيا فحصر زفر فيها ، ونصب عليها المجانيق ، فأمر زفر م ن ينادى في عسكر عبد الملك لِمَ نصبتم علينا المجانيق ؟ قال :لِنثلم ثلمةً . نقاتلكم عليها فقال زُفر : قولوا لهم : فإنا لا نقاتلكم من وراء الحيطان ، ولكنا نخرج إليكم ، وثلمت المنجنيق من المدينة برجاً مما يلي حُريث بن بُحدل فقال زُفر :

لَقَدْ تَرَكَتْني مَنْجَنِيقُ ابنِ بُحْدُلِ أحيْدُ عَنِ العُصْفورِ حِينَ يَطِيرُ

وكان خالد بن يزيد بن معاوية مجداً في قتالهم ، فقال رجل من أصحاب زفر من بني كلاب : لأقولن لخالد كلاماً يعود عما يصنع ، فلما كان الغد خرج خالد للمحاربة ، فقال له الكلابي :

مَاذا ابتِغاءُ خَالِدٍ وَهَمُّهُ إذ سُلِبَ الملكُ ونيكَتْ أمُهُ

فاستحيا وعاد ولم يرجع يقاتلهم ، وقالت كلب لعبد الملك : إنّا إذا لقينا زفر انهزمت القيسية الذين معك ، فلا تخلطهم معنا ففعل ، فكتبت القيسية على نبلها م نه ليس يقاتلكم غداً مضري ، ورموا النبل إلى قرقيسيا ، فلما أصبح زفر دعا ابنه الهذيل

وبه كان يُكنّى، وقيل : كان يُكنّى أبا الكوثر، فقال : اخرج إليهم فشدّ عليهم شدةً لا تَرجع حتى تَضرب فسطاط عبد الملك والله لئن رجعت دون أن تطأ أطناب فسطاطه لأقتلنك فجمع الهُذيل خيله ، وحمل عليهم فصبروا قليلًا ، ثم انكشفوا وتبعهم الهذيل بخيله حتى وطئوا أطناب الفسطاط وقطعوا بعضها ، ثم رجعوا ، فقبل زفر رأس الهُذيل وقال لا يزال عبد الملك يحبك بعدها أبداً فقال الهذيل : والله لو شئت أن أدخل الفسطاط لفعلت فقال زفر :

ألا لَا أبالي مَنْ أتَاهُ حِمَامَهُ إِذَا مَا المَنَايَا عَنْ هُذيلٍ تَجَلَت
تَرَاهُ أمَامَ الخَيْلِ أولَ فَارِسٍ وَتضْرِبُ في أعْجَازِها إنْ تَوَلَّتِ

ولما ثلم برج قرقيسيا قال لعبد الملك بعض أهله : لو قاتلتهم بقضاعة لملكتهم ففعل وقاتلهم ، فلما كان عند المساء انكشفت قضاعة ، وكثر القتل فيهم ، وأقبل رَوْحُ بن زُنباع الجُذامي إلى برج منها فسأل أهله وقال : نشدناك الله كم قتلنا منكم ؟ قالوا : والله لم يُقتل منا أحدٌ ، ولم يجرح إلا رجل واحد ، ولا بأس عليه ، ثم قالوا : نشدناك الله كم قتل منكم ؟ قال : عدة فرسان وجرحتم مالا يحصى ، فلس الله ابن بحدل ، ورجع رَوْحُ إلى عبد الملك وقال : ان ابن بَحدل يمنيكَ الباطل فاعرض عن هذا الرجل .

وكان رجل من كلب يقال له الذّيال ، يخرج فيسبّ زُفر فيكثر ، فقال زفر للهُذيل ابنه أو لبعض أصحابه : أما تكنيني هذا قال : أنا أجيئك به ، فدخل عسكر عبد الملك ليلاً فجعل ينادي : من يعرف بغلًا من صفته كذا وكذا حتى انتهى إلى خباء الرجل ، وقد عرفه فقال الرجل : ردّ الله عليك ضالتك فقال : يا عبدالله إني قد عييت ، فلو أذنت لي فاسترحت قليلًا ، قال : أدخل ، فدخل والرجل وحده في خبائه ، فرمى بنفسه ونام صاحب الخباء ، فقام إليه فأيقظه ، وقال : والله لئن تكلمت لأقتلنك قُتلت أو سلمت ، فماذا ينفعك قتلي إذا قتلت أنت ولئن سكتّ وجئت معي إلى زُفَر فلك عهد الله وميثاقه أن أردك الى عسكرك بعد أن يصلك زفر وتحسن إليك ، فخرجا وهو ينادي : من دل على بغل من صفته كذا وكذا حتى أتى زُفَر والرجل معه ، فأعلمه أنه قد أمنه فوهب له زُفر دنانير ، وحمله على رحالة النساء وألبسه ثيابهن ، وبعث معه رجلًا حتى دنوا من عسكر عبد الملك ، فنادوا هذه جارية قد بعث بها زُفَر الى عبد الملك وانصرفوا ، فلما نَظَر

إليه أهل العسكر عرفوه وأخبروا عبد الملك الخبر فضحك وقال :لا يُبعد الله رجلا نصر والله إن قَتْلهَم لَذُل وان تَرْكهُمْ لَحسرة وكف الرجل فلم يَعدْ يسبّ زُفر ، وقيل : إنه هَرَبَ من العسكر .

ثم إن عبد الملك أمر أخاهُ محمداً أن يعرض على زُفَر وابنه الهذيل الأمانَ على أنفسهما ومن معهما ومالهم وأن يُعطيا ما أحبا ففعَلَ محمدٌ ذلك فاجاب الهذيلُ وكلم أباهُ وقال له : لو صالحتَ هذا الرجل فقد أطاعَهُ الناس وهو خيرٌ لك من ابن الزُبير فأجابَ على أن له الخَيارَ في بيعآِ سنةً وأن يَنزِلَ حيت شَاءَ ولا يُعينُ عبد الملك على قتال ابن الزبير ، فبينا الرسل تختلف بينهما إذْ جاءَهُ رجلٌ من كلبِ فقال : قد هُدِمَ من المدينة أربعةُ أبراجٍ فقال عبد الملك :لا أصالحهم وزَحَفَ اليهمَ فهزموا أصْحابُه حتى أدخلوهم عسكرهم ، فقال : أعطُوهم ما أرادوا ، فقال زُفَر : لو كان قبل هذا لكان أحسن ؛ واستقرَّ الصلحُ على أمانِ الجميع ووضع الدماء والأموال وأن لا يبايع عبد الملك حتى يموت ابن الزبير للبيعة له في عُنقهِ وأن يُعطى مالاً يقسّمه في أصحابه ، وخَافَ زُفَر م ن يَغدُرَ به عبد الملك كما غدر بعمرو بن سعيد فلم ينزل إليه فأرسل إليه بقضيب النبي صلى الله عليه وسلم أماناً له فنزل إليه ، فلمما دخل عليه أجلسه معه على سريره ، فقال ابن عضاة الأشعري : أنا كنت أحقَ بهذا المجلسِ منه ، فقال زُفَر : كذبت هناك إني عاديتُ فضررتُ وواليتُ فنفعتُ ، ولما رأى عبد الملك قلّة من مع زُفرَ قال : لو عَلمتُ أنه في هذه القلة لحاصرته أبداً حتى نزل على حكمي فَبلغَ قوله زُفر فقال : إن شِئْتَ رَجِعنا ورجعت فقال : بل نفي لك يا أبا الهذيل ، وقال له عبد الملك يوماً : بلغني أنك من كِنْدَةْ فقال : وما خيرُ من لا يبغي حسداً ولا يدعي رغبة ، وتزوج مسلمة بن عبد الملك الربابَ بنت زُفَر فكان يؤذن لأخويها الهذيل ، والكوثر في أول الناس ، وأمَرَ زفر ابنه الهذيل أن يَسيرَ معِ عبد الملك إلى قتالِ مُصْعَبْ وقال له : أنت لا عَهْدَ عليك فسار معه فلما قاربَ مصعباً هرب إليه وقاتل مع ابن الأشتر فلما قُمِلَ ابن الأشتر اختفى الهذيل بالكوفةِ حتى استؤمِنَ له من عبد الملك فأمنه كما تقدم .

ذكر عدة حوادث

وفي هذه السنة افتتحَ عبد الملك قيسارية في قول الواقدي ، وفيها نَزَعَ ابن الزبير جابر بن الأسود بن عوف عن المدينة واستعمل عليهما طَلْحَةَ بن عبيد الله بن عوف وهو

آخر والٍ كان له على المدينة حتى أتاهُ طارق بن عمرو مولى عثمان فهربَ طلحة وأقام طارقٌ بها حتى سارَ إلى مكةَ لِقتالِ ابن الزبير ؛ وفي إمارة مصعب مات البراءُ بن عازب بالكوفة ، وتزيد بن مفزع الحميري الشاعر بها أيضاً ، وعبدالله بن أبي حدود الأسلمي شهد الحديبية ، وخيبر ، وفي أيامه مات شتَير بن شَكل القيسي الكوفي وهو من أصحاب علي ، وابن مسعود. (شتير) بضم الشين المعجمة وفتح التاء فوقها نقطتان ، وبعدها ياء تحتها نقطتان ، و(شكل) بفتح الشين المعجمة والكاف وآخره لام .

ثم دخلت سنة اثنتين وسبعين

ذكر أمر الخوارج

لتا استقر عبد الملك بالكوفة بعد قتل مُصعب استعملَ خالد بن عبدالله على البصرة فلما قَدِمها خالَد كان المهلب يُحارب الأزارقة فجعله على خراج الأهواز ومعونتها ، وسيّر أخاهُ عبد العزيز بن عبدالله إلى قتال الخوارج وسيّر معه مقاتل بن مسمع فخرجا يطلبان الأزارقّة ، فأتت الخوارجُ من ناحية كرمان إلى دار ابجرد ، وأرسل قطري بن الفجاءة المازني مع صالح بن مخارق (1) تسعمائة فارس فأقبل يسير بهم حتى استقبل عبد العزيز وهو يسيرُ مهلًا على غير تعبية فانهزمَ بالناس ونزل مقاتل بن مسمع فقاتل حتى قُتِل ، وانهزم عبد العزيز وأخذت امرأته ابنة المُنذر بن الجارود فأقيمت فيمن يزيد فبلغت قيمتها مائة ألف ، فجاء رجل من قومها من رؤوس الخوارج (2)فقال : تنخرا هكذا ما أرى هذه المُشركة إلا قد فَتنتكمْ وضربَ عنقها ولحق بالبصرة ، فرآه آلُ المنذر فقالوا : والله ما ندري أنحمدكَ أمْ نذمّك فكان يقول : ما فعلته إلا غيرة وحمية . وانتهى عبد العزيز إلى رَام هُرْمُز وأتى المهلب خَبرهُ فأرسل إليه شيخاً من الأزَد وقال له : إن كان منهزماً فعزه فأتاه الرجل فرآه نازلاً في نحو ثلاثينَ فارساً كئيباً حزيناً فأبلغه الرسالة وعاد إلى المهلمب بالخبر ، فأرسل المهلب الى أخيه خالد بن عبدالله يُخبره بهزيمته فقال للرسول :كَذبتَ ، فقال : والله ما كذبت فإن كنت كاذباً فاضرب عنقي وإن كنت صادقاً فاعطني جُبّتكَ ومطرفك قال : قد رضيتُ من الخطرِ العظيمِ بالخطر اليسيرِ وحَبسهُ وأحسن إليه حتى صحّ خبرُ الهزيمة ، قال ابن قيس الرقيات في هزيمة عبد العزيز وفراره عن امرأته :

---

(1) في الطبري " صالح بن مخراق " .

(2) جاء اسمه في الطبري : " أبو الحديد الشَني " .

عبدَ العزيزِ فَضحتَ جَيشَكَ كنَهم وتركتَهم صَرعَى بكلِ سبيلِ
من بين ذي عَطَشٍ يجودُ بنفسهِ وملحب بين الرجال قتيل
هلّا صبرت مع الشهيدِ مُقاتلًا اذ رُحْتَ مُنتكِثَ القوى بأصيلِ
وتركتَ جَيشكَ لا أميرَ عليهم فارجعْ بعارٍ في الحياةِ طويلِ
ونسيتَ عِرْسكَ إذ تُقَادُ سَبيّة تُبكي العيونَ برَنَّةٍ وعويلِ

فَكَتبَ خالدٌ الى عبد الملك يخبره بذلك ، فكتب إليه عبد الملك قد عَرفتُ ذلك وسألتُ رسولك عن المُهلّب فأخبرني أنه عاملٌ على الأهواز فقبّح الله رأيكَ حين تبعثُ أخاك إعرابياً من أهل مكة على القتال وتدع المهلب يجبي الخراج وهو الميمونُ النقيبة المقاسي للحرب ابنها وابن أبنائها ، أرسِلْ إلى المهلب يستقبلهم وقد بعثت إلى بِشْرٍ بالكوفة ليمدكَ بجيش فَسِرْ معهم ولا تعمل في عدوك برأي حتى يحضره المهلب والسلام ، وكتب عبد الملك إلى بشر أخيه بالكوفة يأمره بانفاذ خمسة آلاف مع رجلٍ يرضاه لقتالِ الخوارج فإذا قضوا غزوتهم ساروا الى الري فقاتلوا عدوهم وكانوا مسلحة ، فبعث بشر خمسة آلاف وعليهم عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فكتب له عهداً على الري ،عند الفراغ من قتاله ، وخَرجَ خالد بأهل البصرة حتى قَدِمَ الأهوازَ وقَدِمَها عبد الرحمن بن محمد في أهل الكوفة وجاءت الأزارقة حتى دنوا من الأهواز ، فقال المهلب لخالد : إني أرى ههنا سفناً كثيرة فَضُمّها اليك فإنهم سيحرقونها فلمْ يمضِ إلا ساعة حتى أرسلوا اليها فأحرقوها ، وجعل خالد المهلب على مَيْمَنتهِ ، وعلى مَيْسْرَته داود بن قَحذَم من بني قيس بن ثعلبة ، ومَرّ المهلب على عبد الرحمن بن محمد ولم يُخندق عليه فقال : ما يَمنعُكَ من الخندق ؟ فقال : هم أهونُ علي من ضرطة الجمل قال :لا يهونوا عليك فإنهم سباعُ العرب ولم يبرح المهلب حتى خَنْدقَ عبد الرحمن عليه ، فأقاموا نحواً من عشرين ليلة ثم زحف خالد إليهم بالناس فرأوا أمراً هالهم من كثرة الناس فكثرت عليهم الخيل وزحفت إليهم فانصرفوا كأنهم على حامية وهم مُولون لا يرون طاقةً بقتالِ جماعة الناس ، فأرسل خالد داود بن قحذم في آثارهم وانصرف خالد إلى البصرة ، وسار عبد الرحمن الى الري وأقام المهلب بالأهواز . وكتب خالد الى عبد الملك بذلك ، فلما وصل كتابه إلى عبد الملك كتب إلى أخيه بشر يأمرهُ أن يبعث أربعة آلاف فارس من أهل الكوفة مع رجل بصير بالحرب إلى

فارس في طلب الأزارقة ويأمرُ صاحبه بموافقة داود بن قحذم ان اجتمعا ، فَبَعثَ بشر عتاب بن ورقاء في أربعة آلاف فارس من أهل الكوفة فساروا حتى لحقوا داود فاجتمعوا ثم اتبعوا الخوارج حتى هَلَكت خيول عامتهم وأصابهم الجوع والجهد ورجع عامة الجيشين مشاة إلى الأهواز .

وفي هذه السنة كان خروج أبي فديك الخارجي – وهو من بني قيس بن ثعلبة - فغلب على البحرين وقتل نجدة بن عامر الحنفي ، فاجتمع على خالد بن عبدالله نزول قطري الأهواز وأمر أبي فديك فبعث أخاه أمية بن عبدالله في جند كثيف الى أبي فديك فهزمه أبو فديك وأخذ جارية له فاتخذها لنفسه فكتب خالد الى عبد الملك بذلك .

ذكر قتل عبدالله بن خازم

ولما قتل مصعب كان ابن خازم يقاتل بحجر بن ورقاء الصريميّ التيمي بنيسابور ،فكتب عبد الملك إلى ابن خازم يدعوه إلى البيعة له وتطعمه خراسان سبع سنين وأرسل الكتاب مع سوادة(1) بن م شتم النميري ، وقيل : مع مكمل الغنوي ، فقال ابن خازم : لولا ان أضرب بين بني سليم ، وبني عامر لقتَلتُكَ ولكن كلْ كتابك فاكله ، وقيل : بل كان الكتاب مع سوادة بن عبيد الله النميري وقيل : مع مكمل الغنوي (2) ، فقال له ابن خازم : إنما بعثك أبو الذبان لأنك من غَنِيّ (3) وقد علم أنّي لا أقتل رجلًا من قيس ولكن كُلْ كتابه ، وكتب عبد الملك إلى بكير بن وشاح وكان خليفة بن خازم على مرو بعهده على خراسان ووعده ومنّاه فخلع بكير عبدالله بن الزبير ودعا إلى عبد الملك فأجابه أهل مرو ، وبلغ ابن خازم فخاف م ن يأتيه بكير فيجتمع عليه أهل مرو وأهل نيسابور فترك بَجِيراً وأقبل إلى مرو- وتزيد ابنه بترمِذ(4) فاتبعه بحير ، فلحقه بقرية على ثمانية فراسخ من مرو فقاتله ابن خازم فقُتِلَ ابن خازم ، وكان الذي قتله وَكيع بن عمرو

(ا) في الطبري " مع سورة بن أشيم " .
(2) في الطبري " سنان بن مكمل الغنوي " .
(3)غني :قبيلة
(4) ترمذ : قيل بضم التاء ، وقبل بكسرها ، وقيل بفتحها : مدينة مشهورة من أمهات المدن ، راكبة على نهر جيحون من جانبه الشرقي .

القُرَيْعي (1) أعثره (2) وكيع وبحير بن ورقاء ، وعمار بن عبد العزيز، فطعنوه فصرعوه وقعد وكيع على صدره فَقَتَلهُ ؛ فقال بعض الولاة لوكيع : كيف قتلته ؟ قال : غلبته بنصل القناة (3) فلما صُرِعَ قعدت على صدره فلم يقدر أن يقوم وقلت : يا لثاراتِ دويلة -وهو أخو وكيع لأمه قُتِلَ في بعض تلك الحروب -قال وكيع : فتنخم في وجهي وقال : لعنك الله أتقتل كَبْشَ مُضَر بأخيك وهولا يساوي كفاً من نوى أو قال : من تراب ؟ قال : فما رأيت أكثر ريقاً منه على تلك الحال عند الموت .

وبعث بَجِير ساعة قَتْلِ ابن خازم إلى عبد الملك يخبره بقتله ولم يبعث بالرأس ، وبعث بحير بكير بن وشاح في أهل مرو ، فوافاهم حين قتل ابن خازم فأراد أخذ الرأس وإنفاذه إلى عبد الملك فمنعه بَجِير فضربه بكير بعمود وحَبَسَهُ وسيّر الرأس إلى عبد الملك وكتب إليه يخبره انه هو الذي قتله ، فلما قدم الرأس دعا عبد الملك برسول بَجِيز (4) وقال : ما هذا ؟ قال لا أدري وما فارقتُ القوم حتى قتل ابن خازم ، وقيل : أن ابن خازم إنما قُتِلَ بعد قَتْلِ عبدالله بن الزبير وان عبد الملك أنفذ إليه رأس ابن الزبير ودعاه الى نفسه فغسل الرأس وكفّنه وبعثه وإلى أهله بالمدينة وأطعَمَ الرسول الكتاب وقال : لولا إنك رسول لقتلتك ، وتجيل : بل قَطَع يديه ورجليه وقتله وحلف أن لا يطيع عبد الملك أبداً (بحير) بفتح الباء الموحدة وكسر الحاء المهملة .

ذكر عدة حوادث

كان العامل على المدينة طارقاً لعبد الملك ، وعلى الكوفة بشر بن مروان ،وعلى قضاتها عبيد الله بن عبدالله بن عتبة ، وعلى البصرة خالد بن عبدالله ، وعلى قضاتها هشام بن هبيرة ، وعلى خراسان في قول بعضهم بكير بن وشاح ، وفي قول بعضهم عبدالله بن خازم .

وفي هذه السنة مات عبيدة السلماني وهو من أصحاب علي. (عبيدة)بفتح العين وكسر الباء الموحدة .

---

(1)زاد الطبري " وهو ابن الدَورقية " .
(2) في الطبري " اعتور " .
(3) في الطبري " بنصل القناة " .
(4) سماه الطبري " الغُداني " .

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين

ذكر قتل عبدالله بن الزبير

لما بويع عبد الملك بالشام بعث إلى المدينة عروة بن أنيف في ستة آلاف من أهل الشام وأمره أن لا يدخل المدينة وأن يعسكر بالعرصة ، وكان عامل عبدالله بن الزبير على المدينة الحرث بن حاطب بن الحرث بن معمر الجمحي فهرب الحرث ، وكان ابن أنيف يدخل وتصلي بالناس الجمعة ثم يعود الى معسكره فأقام شهراً ولم يبعث إليهم ابن الزبير أحداً ، وكتب إليه عبد الملك بالعود إليه فعاد هو ومن معه ، وكان يصلي بالناس بعده عبد الرحمن بن سعد القرظي . ثم عاد الحرث الى المدينة ، وبعث ابن الزبير سليمان بن خالد الزرقي الأنصاري - وكان رجلاً صالحاً - عاملاً على خيبر ، وفدك فنزل في عمله ، فبعث عبد الملك عبد الواحد بن الحرث بن الحكم - وقيل : اسمه عبد الملك وهو أصح - في أربعة آلاف فسار حتى نزل وادي القرى وسير سرية عليها أبو القمقام في خمسمائة إلى سليمان فوجدوه قد هرب فطلبوه فأدركوه فقتلوه ومن معه فاغتم عبد الملك بن مروان بقتله وقال : قتلوا رجلاً مسلماً صالحاً بغير ذنب ، وعزل ابن الزبير الحارث واستعمل مكانه جابر بن الأسود بن عوف الزهري فوجه جابر أبا بكر بن أبي قيس في ستمائة فارس وأربعين فارساً الى خيبر فوجدوا أبا القمقام ومن معه مقيمين بفدك يعسفون الناس فقاتلوهم فانهزم اصحاب أبي القمقام وأسِرَ منهم ثلاثون رجلاً فقتلوا صبراً ، وقيل : بل قتل الخمسمائة أو أكثرهم ، ووجه عبد الملك طارق بن عمرو- مولى عثمان - وأمره أن ينزل بين أيلة ووادي القرى ويمنع عمال ابن الزبير من الانتشار ولمجمدّ خللاً إن ظهر له فوجه طارق إلى أبي بكر خيلاً فاقتتلوا فأصيب أبو بكر في المعركة وأصيب من أصحابه أكثر من مائتي رجل ، وكان ابن الزبير قد كتب الى القباع أيام كان عامله على البصرة يأمره أن يرسل اليه ألفي فارس ليعينوا عامله على

المدينة فوجه إليه ألفي رجل ، فلما قتل أبو بكر أمر ابن الزبير جابر بن الأسود أن يسير جيش البصرة الى قتال طارق ، فسار البصريون عن المدينة وبلغ طارقاً الخبر ، فسار نحره فالتقيا فقتل مقدم البصريين وقتل أصحابه قتلًا ذريعاً وطلب طارق مدبرهم وأجهز على جريحهم ولم يستبقِ أسيرهم ورجع طارق إلى وادي القرى .

وكان عامل ابن الزبير بالمدينة جابر بن الأسود وعزل ابن الزبير جابراً واستعمل طلحة بن عبيد الله بن عوف الذي يعرف بطلحة الندي سنة سبعين فلم يزل على المدينة حتى أخرجه طارق ، فلما قَتَلَ عبد الملك مصعباً وأتى الكوفة وجه منها الحجاج بن يوسف الثقفي في ألفين ، وقيل : في ثلاثة آلاف من أهل الشام لقتال عبدالله بن الزبير ، وكان السبب في تسييره دون غيره أنه قال لعبد الملك : قد رأيت في المنام أنى أخذت عبدالله بن الزبير فسلخته فابعثني إليه وولّني قتاله ، فبعثه وكتب معه أماناً لابن الزبير ، ومن معه إن أطاعوا ، فسار في جمادى الأولى سنة اثنتين وسبعين ولم يعرض للمدينة ونزل الطائف ، وكان يبعث الخيل إلى عرفة وتبعت ابن الزبير أيضاً فيقتتلون بعرفة فتنهزم خيل ابن الزبير في كل ذلك وتعود خيل الحجاج بالظفر .

ثم كتب الحجاج إلى عبد الملك يستأذنه في دخول الحرم وحصر ابن الزبير وتخبره بضعفه وتَفرُّق اصحابه ويستمدّه ، فكتب عبد الملك إلى طارق يأمره باللحاق بالحجاج فقَدِمَ المدينة في ذي القعدة سنة اثنتين وسبعين وأخرج عامل ابن الزبير عنها وجعل عليها رجلاً من أهل الشام اسمه ثعلبة ، فكان ثعلبة يخرج المخ وهو على منبر النبي صلى الله عليه وسلم ثم يأكله ويأكل عليه التمر ليغبط أهل المدينة وكان مع ذلك شديداً على أهل الزبير ، وقدم طارق على الحجاج بمكة في سلخ ذي الحجة في خمسة آلاف ، وأما الحجاج فإنه قدم مكة في ذى القعدة وقد أحرم بحجة فنزل بئر ميمون ، وحج بالناس تلك السنة الحجاج إلا أنه لم يَطفْ بالكعبة ولا سعى بين الصفا والمروة منعه ابن الزبير من ذلك ، فكان يلبس السلاح ولا يقرب النساء ولا الطيب إلى أن قتل ابن الزبير ، ولِم يحج ابن الزبير ولا أصحابه لأنهم لم يقفوا بعرفة ولم يرموا الجمار ونحر ابن الزبير بُدنهُ بمكة ، ولما حصر الحجاج ابن الزبير نصب المِنجنيقَ على أبي قبيس ورمى به الكعبة ، وكان عبد الملك ينكر ذلك أيام يزيد بن معاوية ثم أمر به فكان الناس يقولون : خذل في دينه ، وحج ابن عمر تلك السنة فأرسل الى الحجاج أن اتقّ الله واكْفُفْ هذه

الحجارة عن الناس فإنك في شهر حرام وبلد حرام وقد قَدِمَتْ وفود الله من أقطار الأرض ليؤدوا فريضة الله وتزدادوا خيراً وإن المنجنيق قد منعهم عن الطواف فاكْفُفْ عن الرمي حش يقضوا ما يجب عليهم بمكة فبطل الرمي حتى عاد الناس من عرفات وطافوا وسعوا ولم يمنع ابن الزبير الحاج من الطواف والسعي ، فلما فرغوا من طواف الزيارة نادى منادي الحجاج : انصرفوا إلى بلادكم فإنا نعود بالحجارة على ابن الزبير الملحد ، وأول ما رُميَ بالمنجنيق إلى الكعبة أرعدت السماء وأبرقت وعلا صوت الرعد على الحجارة فأعظم ذلك أهل الشام وأمسكوا أيديهم فأخذ الحجاج حجارة المنجنيق بيده فوضها فيه ورمى بها سهم : فلما أصبحوا جاءت الصواعق فقتلت من أصحابه اثني عشر رجلاً فانكسر أهل الشام ، فقال الحجاج : يا أهل الشام لا تنكروا هذا فإني ابن تهامة وهذه صواعقها وهذا الفتح قد حضر فأبشروا ، فلما كان الغد جاءت الصاعقة فأصابت من اصحاب ابن الزبير عدة فقال الحجاج ألا ترون أنهم يصابون وأنتم على الطاعة وهم على خلافها ، وكانت الحجارة تقع بين يدي ابن الزبير وهو لِصلي فلا ينصرف ، وكان أهل الشام يقولون :

يا ابن الزبير طالما عصيكا وطالما عنيتنا اليكا لتجزين بالذي أتيكا

يعنون عصيت وأتيت .

وقدم عليه قوم من الأعراب فقالوا : قدمنا للقتال معك فنظر فإذا مع كل امرىء منهم سيف كأنه شفرة وقد خرج من غمده فقال : يا معشر الأعراب لا قربكم الله فوالله ان سلاحكم لرثّ لان حديثكم لغثّ وإنكم لقتال في الجدب أعداء في الخصب فتفرقوا . ولم يَزلْ القتال بينهم دائماً فغلت الأسعار عند ابن الزبير وأصاب الناس مجاعة شديدة حق ذبح فرسه وقسّم لحمها في أصحابه ، وبيعت الدجاجة بعشرة دراهم ، والمدّ الذرة بعشرين درهماً وان بيوت ابن الزبير لمملوءة قمحاً وشعيراً وذرة وتمراً ، وكان أهل الشام ينتظرون فناء ما عنده ، وكان يحفظ ذلك ولا ينفق منه إلا ما يمسك الرمق وتقول : أنفسُ أصحابي قوية ما لم يفن ، فلما كان قبيل مقتله تفرّق الناس عنه وخرجوا الى الحجج بالأمان خرج من عنده نحو عشرة آلاف ، وكان ممن فارقه ابناه حمزة ، وخبيب أخذا لأنفسهما أماناً ، فقال عبدالله لابنه الزبير : خُذْ لنفسك أماناً كما فعل أخواك فوالله إني لأحب بقاءكم فقال : ما كنت لأرغب بنفسي عنك فصبر معه فقُتِل .

ولما تفرّق أصحابه عنه خطب الحجاج الناس وقال : قد ترون قلة من مع ابن الزبير وما هم عليه من الجهد والضيق ففرحوا واستبشروا وتقدموا فملؤوا ما بين الحجون إلى الأبواء ، فدخل على أمه فقال : يا أماه خذلني الناس حتى ولدي وأهلي ولم تبق معي إلا اليسير ومن ليس عنده أكثر من صبر ساعة والقوم يعطونني ما أردت من الدنيا فما رأيك ؟ فقالت : أنت والله يا بني أعلم بنفسك إن كنتَ تعلم أنك على حق وإليه تدعو فامضِ له فقد قتل عليه أصحابك ولا تمكن من رقبتك يتلعب بها غلمان بني أمية ، وإن كنت إنما أردت الدنيا فبئس العبد أنت أهلكت نفسك ومن قتل معك ، وإن قلت :كُنتَ على حق فلما وهن أصحابي ضعفت فهذا ليس فعل الأحرار ولا أهل الدين ، كم خلودك في الدنيا القتل أحسن . فقال : يا أماه . أخاف ان قتلني أهل الشام أن يمثّلوا بي ويصلبوني ، قالت : يا بني إن الشاة لا تتألم بالسلخ فامضِ على بصيرتك واستعنْ بالله فقبلَ رأسها وقال : هذا رأيي والذي خرجت به دائبا إلى يومي هذا ما ركنتُ الى الدنيا ، ولا أحببت الحياة فيها ، وما دعاني إلى الخروج إلا الغضب لله ، وان تستحل حرماته ولكني احببت أن أعلم رأيك فقد زدتني بصيرة فانظري يا أماه فإني مقتول في يومي هذا فلا يشتد حزنك وسلّمي الأمر الى الله فإن ابنك لم يتعهد إيثار منكر ولا عملاً بفاحشة ولم يجر في حكم الله ولم يغدر في أمان ولم يتعمد ظلم مسلم أو معاهد ولم يبلغني ظلم عن عمالي فرضِيتُ به بل أنكرته ولم يَكُنْ شيء آثر عندي من رضا ربي التهم لا أقول هذا تزكية لنفسي ولكني أقوله تعزية لأمي حتى تَسْلو عني .

فقالت أمه : لأرجو أن يكون عزائي فيك جميلاً إن تقدمتني احتسبتك وإن ظفرت سُررتُ بظفركَ اخرج حتى أنظر إلى ما يصير أمرك ؛ فقال : جزاك الله خيراً فلا تدعي الدعاء لي قالت لا أدعهُ لك أبداً فمن قتل على باطل فقد قتلت على حق ، ثم قالت : اللهم ارحم طول ذاك القيام في الليل الطويل وذلك النحيب والظمأ فى هواجر مكة والمدينة وبره بأبيه وبي ، اللهم قد سلمته لأمرك فيه ورضيت بما قضيت فاثبني فيه ثواب الصابرين الشاكرين ، فتناول يديها ليقبلهما فقالت : هذا وداع فلا تبعد فقال لها : جئت مودعاً لأني أرى هذا آخر أيامي من الدنيا قالت : امضِ على بصيرتك وادنُ مني حتى أودّعك فدنا منها فعانقها وقتلها فوقعت يدها على الدرع فقالت : ما هذا صنيع من يريد ما تريد ، فقال : ما لبسته إلا لأشُد متنك قالت : فإنه لا يشد متني فنزعها ثم درج كُميْهِ وشد أسفل قميصهِ وجبة خز تحت أتناء السراويل وأدخل أسفلها تحت المنطقة وأمه

نقول له : البس ثيابك مشمّرة ، فخرج وهو يقول :

إنى إذا أعرفُ يومي أصبرُ وإنما يَعْرف يومه (1) الحُرّ إذ بعضهم تعرفُ ثم يُنكر فسمعته فقالت : تصبر إن شاء الله أبواك أبو بكر والزبير، وأمك صفية بنت عبد الطلب ، فحمل على أهل الشام حملة منكرة فقتل منهم ثم انكشف هو وأصحابه، وقال له بعض أصحابه : لو لحقت بموضع كذا ، قال : بئس الشيخ أنا إذاً في الاسلام لئن أوقعت قوماً فقتلوا ثم فررت عن مثل مصارعهم ، ودنا أهل الشام حتى امتلأت منهم الأبواب وكانوا يصيحون ته يا ابن ذات النطاقين فيقول :

وتلك شكاة ظاهرٌ عنك عارها

وجعل أهل الشام على أبواب المسجد رجلاً من أهل كل بلد ؛ فكان لأهل حمص الباب الذي يواجه باب الكعبة ، ولأهل دمشق باب بني شيبة ، ولأهل الأردن باب الصفا ، ولأهل فلسطين باب بني جُمَح ، ولأهل قنسرين باب بني تميم (2) . وكان الحجاج ، وطارق من ناحية الأبطح إلى المروة ، فمرة يحمل ابن الزبير في هذه الناحية ومرة في هذه الناحية فكأنه أسدٌ في أجمة ما يقدم عليه الرجال يعدو في أثر القوم حتى يخرجهم ثم يصيح أبا صفوان : ويل أمه فتحاً لو كان له رجال أو كان قرنيِ واحداً كفيته ، فيقول أبو صفوان عبدالله بن صفوان بن أمية بن خلف : أي والله وألف ، فلما رأى الحجاج ان الناس لا يقد مون على ابن الزبير غضب وترتجل وأقبل يسوق الناس ويصمد بهم ، صمد صاحب علم ابن الزبير وهو بين يديه ، فتقدم ابن الزبير على صاحب علمه وضاربهم فانكشفوا وعرّج وصلى ركعتيِن عند المقام فحملوا على صاحب علمه فقتلوه عند باب بني شيبة وصار العلم بأيدي أصحاب الحجاج ، فلما فرغ من صلاته تقدم فقاتل بغير علم فضرب رجلاً من أهل الشام وقال : خذها وأنا ابن الحواري وضرب آخر وكان حبشياً فقطع يده وقال : إصبر أبا حِمَمَة اصبر ابن حام .

وقاتل معه عبدالله بن مطيع وهو يقول :

أنا الذي فَررتُ يوم الحره والحرُ لا يفرّ إلا مَره واليوم أجزى فرة بكره

---

(1) في الطبري " يوميه " .

(2) في الطبرى " باب بني سهم " .

وقاتل حتى قُتل ، وقيل : انه أصابته جراح فمات منها بعد أيام ، وقال ابن الزبير لأصحابه ، وأهله يوم قتل بعد صلاة الصبح : اكشفوا وجوهكم حتى أنظر إليكم وعليهم المغافر ففعلوا فقال : يا آل الزبير لو طبتم بي نفساً عن أنفسكم كنا أهل بيت من العرب اصطلحنا في الله فلا يرعكم وقع السيوف فإنّ ألم الدواء للجراح أشد من ألم وقعها صونوا سيوفكم كما تصونوا وجوهكم ، غضوا أبصاركم من البارقة وليشغل كل امرىء قرنه ولا تسألوا عني فمن كان سائلاً عني فإني في الرعيل الأول احملوا على بركة الله ، ثم حمل عليهم حتى بلغ بهم الحجون فرُمي بآجرة رماه رجل من السكون فأصابته في وجهه فأرعش لها ودمي وجهه فلما وجد الدم على وجهه قال :

فلسنا على الأعقابِ تدمى كلومنا ولكن على أقدامنا تَقْطُر الدمَا

وقاتلهم قتالاً شديداً فتعاودوا عليه فقتلوه يوم الثلاثاء من جمادى الآخرة وله ثلاث وسبعون سنة ، وتولى قتله رجل من مراد وحمل رأسه الى الحجاج فسجد ووفد السكوني ، والمرادي إلى عبد الملك بالخبر فاعطى كل واحد منهما خمسمائة دينار ، وسار الحجاج ، وطارق حتى وقفا عليه فقال طارق : ما ولدت النساء أذْكَر من هذا . فقال الحجاج : أتمدح مخالف أمير المؤمنين ؟ قال : نعم هو أعذر لنا ولولا هذا لما كان لنا عذر إنّا محاصروه منذ سبعة أشهر وهو في غير جُندٍ ولا حصني ولا مَنعة فينتصف منّا بل يفضل علينا فبلغ كلامهما عبد الملك فصوب طارقاً، ولما قتل ابن الزبير كبرّ أهل الشام فرحاً بقتله فقال ابن عمر : انظروا الى هؤلاء ولقد كبرّ المسلمون فرحاً بولادته وهؤلاء يكبّرون فرحاً بقتله وبعث الحجاج برأسه ، ورأس عبدالله بن صفوان ، ورأس عمارة بن عمرو بن حزم إلى المدينة ، ثم ذهب بها إلى عبد الملك بن مروان وأخذ جثته فصلبها على الثنية اليمنى بالحجون فأرسلت اليه أسماء : قاتلك الله على ماذا صلبته ؟ قال : استبقتُ أنا وهو إلى هذه الخشبة وكانت له فاستأذنته في تكفينه ودفنه فأبى ووكل بالخشبة من يحرسها . وكتب الى عبد الملك يخبره بصلبه فكتب إليه يلومه وتقول : ألا خليت بينه وبين أمه فأذن لها الحجاج فدفنته بالحجون فمر به عبدالله بن عمر فقال : السلام عليك يا أبا خبيب أما والله لقد كنت أنهاك عن هذا ولقد كنت صواماً قواماً وصولاً للرحم ، أما والله ان قوماً أنت شرهم لنعم القوم ، وكان ابن الزبير قبل قتله بقى أياماً يستعمل الصبر والمسك لئلا ينتن، فلما صلب ظهرت منه رائحة المسك

فقيل :ان الحجاج صلب معه كلباً ميتاً فغلب على ريح المسك ، وقيل : بل صلب معه سنوراً ، ولما قتل عبدالله ركب أخوه عروة ناقة لم يرَ مثلها فسار الى عبد الملك فقدم الشام قبل وصول رسل الحجاج بقتل عبدالله فاتى باب عبد الملك فاستأذن عليه فأذن له فلما دخل سلم عليه بالخلافة فرد عليه عبد الملك ورحب به وعانقه وأجلسه على السرير فقال عروة :

متنت بأرحام إليك قريبة ولا قرب للأرحام ما لم تقرب

ثم تحدثا حتى جرى ذكر عبد الله فقال عروة: إنه كان ، فقال عبد الملك : وما فعل ؟ قال : قتل ، فَخرّ ساجداً فقال عروة : ان الحجاج صلبه فهبْ جثته لأمه قال : نعم وكتب الى الحجاج يعظم صلبه ، وكان الحجاج لما فقد عروة كتب الى عبد الملك يقول له : إن عروة كان مع أخيه فه لما قتل عبدالله أخذ مالاً من مال الله فهرب ، فكتب اليه عبد الملك انه لم يهرب ولكنه أتاني مبايعاً وقد أمنته وحللته مما كان وهو قادم عليك فإياك وعروة ، وعاد عروة الى مكة وكانت غيبته عنها ثلاثين يوماً ، فأنزل الحجاج جثة عبدالله عن الخشبة وبعث به إلى أمه فغسلته فلما أصابه الماء تقطع فغسلته عضوا عضواً فاستمسك وصلى عليه عروة ودفنته .

وقيل : إن عروة لما كان غائباً عند عبد الملك كتب اليه الحجاج وعاوده في إنفاذ عروة اليه فهم عبد الملك بانفاذه فقال عروة : ليس الذليل من قتلتموه ولكن الذليل من ملكتموه ، وليس بملوم من صَبرَ فمات ولكن المَلومَ من فرّمن الموت ، فسمع منه هذا الكلام فقال عبد الملك : يا أبا عبدالله لن تسمع منا شيئاً تكرهه وإن عبدالله لم يصل عليه أحد منعه الحجاج من الصلاة عليه وقال : إنما أمر أمير المؤمنين بدفنه .

وقيل : صلى عليه غير عروة ، والذي ذكره مسلم في صحيحه أن عبدالله بن الزبير ألقي في مقابر اليهود وعاشت أمه بعده قليلاً وماتت وكانت قد أضرت وهي أم عروة أيضاً ؛ فلما فرغ الحجاج من أمر ابن الزبير دخل مكة فبايعه أهلها لعبد الملك بن مروان ، وأمر بكنسِ المسجد الحرام من الحجارة والدم وسار إلى المدينة – وكان عبد الملك قد استعمله على مكة والمدينة – فلما قدم المدينةَ أقام بها شهراً أو شهرين فأساء إلى أهلها واستخفّ بهم وقال : أنتم قتلة أمير المؤمنين عثمان ، وختم أيدي جماعة من الصحابة بالرصاص استخفافاً بهم كما يفعل بأهل الذمة منهم جابر بن

عبدالله ، وأنس بن مالك ، وسهل بن سعد ثم عاد إلى مكة فقال حين خرج منها : الحمد لله الذي أخرجني من أم نَتنُ أهلها أخبثُ بلدٍ وأغشه لأمير المؤمنين وأحسدهم له على نعمةً الله والله لولا ما كانت تأتيني كتب أمير المؤمنين فيهم لجعلتها مثل جوف الحمار أعواداً يعودون بها وزمة قد بليت يقولون : منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبلغ جابر بن عبدالله قوله فقال : إن وراءه ما يسوءه قد قال فرعون ما قال ثم أخذه الله بعد أن أنظره ، وقيل : إن ولاية الحجاج المدينة وما فعله بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان سنة أربع وسبعين في صفر خُبيب بن عبدالله بن الزبير) بضم الخاء المعجمة وبباءين موحدتين بينهما ياء مثناة من تحت وكان عبدالله يكنى به وبأبي بكر أيضاً.

ذكر عمر ابن الزبير وسيرته

كان له من العمر حين قتل اثنتان وسبعون سنة ، وكانت خلافته تسع سنين لأنه بويع له سنة أربع وستين . وكانت له جمة مفروقة طويلة ، قال يحمص بن وتاب : كان ابن الزبير إذا سجد وقعت العصافير على ظهره تظنه حائطاً لسكونه وطول سجوده ، وقال غيره : قسم عبدالله الدهر ثلاث حالات فليلة قائم حتى الصباح ، وليلة راكع حتى الصباح ، وليلة ساجد حتى الصباح . وقيل : أول ما علم من همة ابن الزبير أنه كان ذات يوم يلعب مع الصبيان –وهو صبي -فمر به رجل فصاح عليهم ففروا ومشى ابن الزبير القهقرى وقال : يا صبيان اجعلوني أميركم وشذوا بنا عليه ففعلوا ، ومر به عمر بن الخضاب وهو يلعب ففرّ الصبيان ووقف هو فقال له عمر : مالك لم تفر معهم ؟ فقال : لم أجرم فأخافك ولم تكن الطريق ضيقة فأوسِّع لك ؟ وقال قطن بن عبدالله : كان ابن الزبير يواصل من الجمعة إلى الجمعة .

قال خالد بن أبي عمران : كان ابن الزبير يفطر في الشهر ثلاثة أيام ومكث أربعين سنة لم ينزع ثيابه عن ظهره ، وقال مجاهد : لم يكن بابٌ من أبواب العبادة يعجز عنه الناس إلا تكلّفه ابن الزبير ، ولقد جاء سَيل طبق البيت فجعل ابن الزبير يطوف سباحة ، قال هشام بن عروة : كان أول ما أفصح به عمي عبدالله بن الزبير-وهو صغير- السيف فكان لا يضه من يده فكان الزبير يقول : والله ليكوننّ لك منه يوم وأيام ، قال ابن سيرين : قال ابن الزبير ما شيء كان يحدثنا به كعب إلا وقد جاء على ما قال إلا قوله : فتى ثقيف يقتلني وهذا رأسه بين يدي -يعني المختار-قال ابن سيرين : ولا يشعر ابن

الزبير أن الحجاج قد خبىء له ، وقال عبد العزيز بن أبي جميلة الأنصاري : ان ابن عمر مر بابن الزبير- وهو مصلوب - بعد قتله فقال : رحمك الله أبا خبيب إنك كنت صواماً قواماً ولقد أفلحت قريش إن كنت شرهاً ، وكان الحجاج قد صلبه ثم ألقاه في لم مقابر اليهود وأرسل إلى أمه يستحضرها فلم تحضر فأرسل إليها لتأتيني أو لأبعثن اليك من يسحبك بقرونك فلم تأته فقام إليها ، فلما حضر قال لها : كيف رأيتني صنعت بعبدالله قالت : رأيتك أفسدت على ابني دنياه وأفسد عليك آخرتك أما إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا أن في ثقيف كذاباً ومبيراً فأما الكذاب فقد رأيناه - تعني المختار- وأما المبير فأنت هو ، وهذا حديث صحيح أخرجه مسلم في صحيحه ، وقال ابن الزبير لعبدالله بن جعفر : أتذكر يوم لقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وأنت فأخذ بني فاطمة فقال : نعم فحطنا وتركك ولو علم أنه يقول له هذا ما سأله .

ذكر ولاية محمد بن مروان الجزيرة ، وأرمينية

وني هذه السنة استعمل عبد الملك أخاه محمداً على الجزيرة وأرمينية فغزا منها وأثخن في العدو، وكانت بحيرة الطريخ التي بأرمينية مباحة لم يعرض لها أحد بل يأخذ منها من شاء فمنع من صيدها وجعل عليها من يأخذه ويبيعه وتأخذ تمنه ، ثم صارت بعده لابنه مروان ثم أخذت منه لما انتقلت الدولة عنهم وهي إلى الآن على هذه الحال من الحجر ، ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة من غير أن ينقص من أوزارهم شيء ، وهذا الطريخ من عجائب الدنيا لأن سمكه صغير له كل سنة موسم يخرج من هذه البحيرة في نهر تصب اليها كثيراً يؤخذ بالأيدي والآلات المصنوعة له فإذا انقضى موسمه لا يوجد منه شيء .

ذكر قتل أبي فديك الخارجي

قد ذكرنا سنة اثنتين وسبعين قتل نجدة بن عامر الخارجي وطاعة أصحابه أبا فديك ؛ وثبت قدم أبي فديك إلى الآن فأمر عبد الملك بن مروان عمر بن عبيد الله بن معمر أن يندب الناس من أهل الكوفة ، والبصرة ويسير إلى قتاله فندبهم وانتدب معه عشرة آلاف فأخرج لهم أرزاقهم ثم سار بهم ، وجعل أهل الكوفة على الميمنة وعليهم محمد بن موسى بن طلحة بن عبيدالله ، وأهل البصرة-على الميسرة وعليهم عمر بن

موسى بن عبيد الله بن معمر وهو ابن أخي عمر ، وجعل خيلة في القلب ، وساروا حتى انتهوا الى البحرين فالتقوا واصطفوا للقتال فحمل أبو فديك وأصحابه حملة رجل واحد فكشفوا ميسرة عمر حتى أبعدوا إلا المغيرة بن المهلب ، ومجاعة بن عبد الرحمن ، وفرسان الناس فإنهم مالوا إلى صف أهل الكوفة بالميمنة وجرح عمر بن موسى ، فلما رأى أهل الميسرة أهل الميمنة لَمْ ينهزموا رجعوا وقاتلوا وما عليهم أمير لأن أميرهم عمر بن موسى كان جريحاً فحملوه معهم واشتد قتالهم حتى دخلوا عسكر الخوارج ، وحمل أهل الكوفة من الميمنة ومن معهم من أهل الميسرة حتى استباحوا عسكرهم ، وقتلوا أبا فديك وحصروا أصحابه بالمشقر فنزلوا على الحكم فقتل منهم نحو ستة آلاف وأسر ثمانمائة ، ووجدوا جارية عبدالله بن أمية حبلى من أبي فديك وعادوا إلى البصرة .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة عَزَلَ عبد الملك خالد بن عبدالله عن البصرة وولّاها أخاه بشراً في قول بعضهم فاجتمع له المصران الكوفة ، والبصرة فسار بشر إلى البصرة واستخلف على الكوفة عمرو بن حريث ، وفيها غزا محمد بن مروان الروم صائفة فهزمهم ، وفيها كانت وقعة عثمان بن الوليد بالروم من ناحية أرمينية في أربعة آلاف والروم في ستين ألفاً فهزمهم وأكثر القتل فيهم ، وحجّ بالناس هذه السنة الحجاج وكان على مكة ، واليمن ، واليمامة ، وكان على الكوفة ، والبصرة في قول بعضهم بشر بن مروان ، وقيل : كان على الكوفة بشر وعلى البصرة خالد بن عبدالله ، وعلى قضاء الكوفة شريح بن الحرث ، وعلى قضاء البصرة هشام بن هبيرة ، وعلى خراسان بكير بن وشاح .

وفي هذه السنة مات عبدالله بن عمر بمكة، ودفن بذي طوى وقيل : بفخ ، وكان سبب موته أن الحجاج أمر بعض أصحابه فضرب ظهر قدمه بزج رمح مسموم فمات منها ، وعاده الحجاج في مرضه فقال : من فعل بك هذا ؟ قال : أنت لأنك أمرت بحمل السلاح في بلد لا يحلّ حمله فيه ، وكان موته بعد ابن الزبير بثلاثة أشهر ، وقيل غير ذلك ، وكان عمره سبعاً وثمانين سنة ، وفيها مات سلمة بن الأكوع ، وأبو سعيد الخدري ، ورافع بن خديج ، ومالك بن مسمع أبو غسان البكري ، وقيل : مات سنة أربع وستين وولدَ على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتوفي سلم بن زياد بن أبيه قبل بشر بن

مروان ، وأسماء بنت أبي بكر بعد ابنها بقليل ، وكانت قد عميت وكانت مطلقة من الزبير ، قيل : ان ابنها عبدالله قال له : مثلي لا توطأ أمه فطلقها .

وفيها مات عوف بن مالك الأشجعي وكان أول مشاهده خيبر ، ومعاوية بن حديج قبل ابن عمر بيسير ، وفيها مات معبد بن خالد الجهني وهو ابن ثمانين سنة وله صحبة ، وفيها قُتِلَ عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله مع ابن الزبير ، وهو ابن أخي طلحة بن عبيدالله وله صحبة .

(رافع بن خَدِيج) بفتح الخاء المعجمة وكسر الدال المهملة ، و (معاوية بن حُدَيج)بضم الحاء وفتح الدال المهملتين وآخره جيم

ثم دخلت سنة أربع وسبعين

في هذه السنة عَزَلَ عبدِ الملك طارقاً عن المدينة- واستعمل عليها الحجاج فأقام بها شهراً وفعل بالصحابة ما تقدم ذكره وخَرَجَ عنها مُعتمراً .

وفيها هدم الحجاج بناء الكعبة الذي كان ابن الزبير بناه وأعادها إلى البناء الأول وأخرج الحجر منها ، وكان عبد الملك يقول : كذب ابن الزبير على عائشة في أن الحجر من البيت ، فلما قيل له : قال غير ابن الزبير : إنها روت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : وددت أني تركته وما يحمل ، وفيها استقضى عبد الملك أبا ادريس الخولاني .

ذكر ولاية المهلب حرب الأزارقة

لما استعمل عبد الملك أخاه بشراً على البصرة سار اليها فأتاه كتاب عبد الملك يأمرهُ أن يبعثَ المهلب إلى حرب الأزارقة في أهل البصرة ووجوههم ، وكان ينتخب منهم من أراد أن يتركه وراءه في الحرب وأمره أن يبعث من أهل الكوفة رجلًا شريفاً معروفاً بالبأس والنجدة والتجربة في جيشٍ كثيف الى المهلب ، وأمرهم أن تتبعوا الخوارج أين كانوا حتى يهلكوهم ، فأرسل المهلب جديع بن سعيد بن قبيصة وأمره أن ينتخب الناس من الديوان ، وشق على بشر أن امرة المهلب جاءت من عبد الملك فأوغرت صَدره عليه حتى كأنه أذنبَ اليه فدعا عبد الرحمن بن مخنف فقال له : قد عرفت منزلك عندي وقد رأيت أن أوليك هذا الجيش الذي أسيّره من الكوفة للذي عرفته منك فكن عند أحسن ظني بك وانظر إلى هذا كذا وكذا يقع في المهلب فاستبد عليه بالأمر ولا تقبلنّ له مشورة ولا رأياً وتنقصه ، قل عبد الرحمن : فترك أن توصيني بالجيش وقتال العدو والنظر لأهل الاسلام وأقبل يغريني بابن عمي كأني من السفهاء ما

رأيت شخصاً مثلي طمع منه في مثل هذا ، قال : فلما رأى أني لست بنشيط إلى جوابه قال لي : مالك ؟ قلت : أصلحكَ الله وهل يسعني إلا إنفاذُ أمرك فيما أحببت وكرهت ، وسار المهلب حتى نزل رام هرمز فلقي بها الخوارج فخندق عليه ، وأقبل عبد الرحمن في أهل الكوفة ومعه بشر بن جرير ، ومحمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس ، وإسحاق بن محمد بن الأشعث ، وزحر بن قيس ، فسار حتى نزل على ميل من المهلب حيث يتراءى العسكران برام هرمز ، فلم يلبث العسكر حتى أتاهم نعي بشر بن مروان ترفي بالبصرة فتفرىَ ناس كثير من أهل البصرة ، وأهل الكوفة ، واستَخْلَفَ بشر على البصرة خالد بن عبدالله بن خالد ، وكان خليفته على الكوفة عمرو بن حريث ، وكان الذين انصرفوا من أهل الكوفةَ زحر بن قيس ، وإسحاق بن محمد بن الأشعث ، ومحمد بن عبد الرحمن بن سعيد ، فأتَوا الأهواز فاجتمع بها ناس كثير ، فبلغ ذلك خالد بن عبيد الله فكتب إليهم يأمرهم بالرجوع إلى المهلب وتَهَدَّدَهُمْ إن لم يفعلوا بالضرب والقتل وتحذرهم عقوبة عبد الملك ، فلما قرأ الرسول من الكتاب عليهم سطراً أو سطرين قال زحر : أوجِز ، فلما فرغ من قراءته لم يلتفت الناس اليه ، وأقبل زحر ومن معه حتى نزلوا إلى جانب الكوفة وأرسلوا إلى عمرو بن حريث أن النفر لما بلغهم وفاة الأمير تفرّقوا فأقبلنا إلى مصرنا وأحببنا م ن لا ندخل إلا بإذن الأمير ، فكتب إليهم ينكر عليهم عودهم وتأمرهم بالرجوع إلى المهلب ولم يأذن لهم في دخول الكوفة فانتظروا الليل ثم دخلوا الى بيوتهم فأقاموا حتى قدم الحجاج أميراً .

ذكر عزل بكير عن خراسان وولاية أمية بن عبدالله بن خالد

في هذه السنة عَزَلَ عبد الملك بكير بن وشاح عن خراسان وولاها أمية بن عبدالله بن خالد بن أسيد وكانت ولاية بكير سنتين ، وكان سبب عزله أن تميماً اختلفت بها فصارت مقاعس والبطون يتعصبون لبحَير ويطلبون بكيراً وصارت أوف والأبناء يتعصبون لبكير- وكل هذه بطون من بني تميم - فخاف أهل خراسان أن تعود الحرب وتفسد البلاد ، وتقهرهم المشركون فكتبوا إلى عبد الملك بذلك وأنها لا تصلح إلا على رجل من قريش لا يحسدونه ولا تتعصبون عليه ، فاستشار عبد الملك فيمن يوليه فقال أمية : يا أمير المؤمنين تداركهم برجل منك قال : لولا انهزامك (1) عن أبي فديك

---

(1) في الطبري " لولا انحيازك " .

كنت لها، قال : يا أمير المؤمنين والله ما انهزمتُ حتى خذلني الناس ولم أجد مقاتلًا فرأيتُ أن انحيازي إلى فئة أفضل من تعرض (ا) عصبة بقيت من المسلمين للهلكة ، وقد كتب اليك خالد بن عبدالله بعذري ، وقد علم الناس ذلك فولاه خراسان - وكان عبد الملك يحبه - فقال الناس : ما رأينا أحداً عوّض من هزيمة ما عوّض أمية ، فلما سمع بكير بمسيره أرسل إلى بحير وهو في حبسه - وقد تقدم ذكر ذلك في مقتل ابن خازم - يطلب منه الصلحَ فامتنعَ بحير وقال : ظن بكير أن خراسان تبقى له في الجماعة ، ومشت السفراء بينهم فأبى ذلك بحير ، فدخل عليه ضرار بن حصين الضبي فقال : أراك أحمق يرسل اليك ابن عمك يعتذر اليك ، وأنت أسيره والسيف بيده ولو قتلك ما حبقت فلا تقبل منه اقبل الصلح واخرج وأنت على رأس أمرك ، فقبل منه وصالحَ بكيراً ، فأرسل إليه بكير بأربعين ألفاً وأخذ عليه أن لا يقاتله ، وخرج بَحير فأقام يسأل عن مسير أمية فلما بلغه أنه قد قارب نيسابور ، سار اليه ولقيه بها فاخبره عن خراسان وما يحسن به طاعة أهلها ورفع على بكير أموالًا أخذها وحذره غدرهُ وسار معه حتى قَدِمَ مرو ، وكان أمية كريماً ولا يعرض لبكير ولا لعماله وعرض عليه شرطته فأبى فولاها بحير بن ورقاء ، فلامَ بكيراً رجالٌ من قومه فقال : كنت بالأمس أميراً تحمل الحراب بين يدي فأصيرُ اليوم أحمل الحربة ، ثم خيّر أمية بكيراً أن يولّيه ما شاء من خراسان فاختار طخارستان قال : فتجهز لها فأنفق مالًا كثيراً فقال بَحير لأمية : إنْ أتى طخارستان خلَعَك وحذره فلم يولّه . (أسيد) بفتح الهمزة وكسر السين . (وبحير) بفتح الباء الموحدة وكسر الحاء .

ذكر ولاية عبدالله بن أمية سجستان

لما وصل أمية بن عبدالله إلى كرمان استعمل ابنه عبدالله على سجستان ، فلما قَدِمَها غزا رتبيل الذي ملك بعد المقتول الأول وكان رتبيل هائباً للمسلمين ، فلما وصل عبدالله إلى بست أرسل رتبيل يطلب الصلح وبذل ألف ألف وبعث إليه بهدايا ورقيق فأبى عبدالله قبولَ ذلك وقال : إن ملأ لي هذا الرواق ذهباً وإلا فلا صلح - وكان غرفاً - فخلى له رتبيل البلاد حتى أوغل فيها وأخذ عليه الشعاب والمضايق فطلب أن يخلى عنه

---

(1)في الطبري " من تعريفي " .

وعن المسلمين ولا تأخذ منه شيئاً فأبى رتبيل وقال : بل يأخذ ثلاثمائة ألف درهم صلحاً وتكتب لنا به كتاباً ولا تنزو بلادنا ما كنت أميراً ولا يحرق ولا يخرب ففعل ، وبلغ ذلك عبدالملك فعزله .

ذكر ولاية حسان بن النعمان أفريقية

قد ذكرنا ولاية زهير بن قيس سنة اثنتين وستين وكان قتله سنة تسع وستين ؛ فلما علم عبد الملك قتله عظم عليه وعلى المسلمين وأهمه ذلك ، وشغله عن أفريقية ما كان بينه وبين ابن الزبير ، فلما قتل ابن الزبير واجتمع المسلمون عليه جهّز جيشاً كثيراً واستعمل عليهم وعلى افريقية حسان بن النعمان الغساني وسترهم اليها في هذه السنة فلم يدخل افريقية قط جيش مثله ، فلما ورد القيروان تجهز منها وسار الى قرطاجنة وكان صاحبها أعظم ملوك إفريقية ولم يكن المسلمون قط حاربوها ، فلما وصل إليها رأى بها من الروم والبربر ما لا يحص كثرة ، فقاتلهم وحصرهم وقتل منهم كثيراً ، فلما رأوا ذلك اجتمع رأيهم على الهرب فركبوا في مراكبهم وسار بعضهم الى صقلية وبعضهم إلى الأندلس ؛ ودخلها حسان بالسيف فسبى ونهب وقتلهم قتلاً ذريعاً ، وأرسل الجيوش فيما حولها فأسرعوا إليه خوفاً فأمرهم فهدموا من قرطاجنة ما قدروا عليه ؛ ثم بلغه أن الروم والبربر قد اجتمعوا له في صطفورة ، وبنزرت وهما مدينتان فسار إليهم وقاتلهم ولقي منهم شدة وقوة فصبر لهم المسلمون فانهزمت الروم وكثر القتل فيهم واستولوا على بلادهم ، ولم يترك حسان موضعاً من بلادهم إلا وطِئَهُ وخاف أهل افريقية خوفاً شديداً ، ولجا المنهزمون من الروم إلى مدينة باجة فتحصنوا بها وتحصّن البربر بمدينة بونة فعاد حسان إلى القيروان لأن الجراح قد كثرت في أصحابه فأقام بها حتى صحوا .

ذكر تخريب أفريقية

لما صلح الناس قال حسان : دلّوني على أعظم من بقي من ملوك أفريقية فدلّوه على امرأة تملك البربر تُعرف بالكاهنة -وكانت تُخبرهم باشياء من الغيب ولهذا سُميت "لكاهنة - وكانت بربرية وهي بجبل أوراس وقد اجتمع حولها البربر بعد قتل كسيلة ، فسأل أهل افريقية عنها فعظّموا محلها وقالوا له : ان قَتَلْتَها لم تختلف البربر بعدها عليك ، فسار إليها فلما قارَبها هَدمت حصنَ باغاية ظناً منها انه يريد الحصون فلمْ يعرّج

حسان على ذلك وسار إليها فالتقوا على نهر نيني واقتتلوا أشد قتال رآه الناس ، فانهزم المسلمون وقتل منهم خلق كثير وانهزم حسان ، وأسِرَ جماعة كثيرة أطلقتهم الكاهنة سوى خالد بن تزيد القيسي - وكان شريفاً شجاعاً - فاتخذته ولداً ، وسار حسان حتى فارق أفريقية وأقام ، وكتب الى عبد الملك يُعلمه الحال فأمره عبد الملك بالمقام إلى أن يأتيه أمرهُ فأقام بعمل برقة خمس سنين فسُقَي ذلك الى كان قصور حسان إلى الآن ، وملكت الكاهنة أفريقية كلها وأساءت السيرة في أهلها وعَسَفَتهم وظلمتهم ، ثم سيّر اليه عبد الملك الجنود والأموال وأمره بالمسير إلى أفريقية وقتال الكاهنة، فأرسل حسان رسولاً سراً إلى خالد بن يزيد – وهو عند الكاهنة - بكتاب يستعلم منه الأمور، فكتب إليه خالد جوابه في رقعة يعرّفه تَفرق البربر وتأمره بالسرعة ، وجعل الرقعة في خبزة وعاد الرسول فخرجت الكاهنة ناشرة شعرها تقول : ذهب ملكهم فيما يأكل الناس ، فطلب الرسول فلم يوجد فوصل إلى حسان وقد احترق الكتاب بالنار ، فعاد إلى خالد وكتب إليه بما كتب أولاً وأودَعه قربوس السرج ، فسار حسان ، فلما عَلِمت الكاهنة بمسيره إليها قالت : ان العرب يريدون البلاد والذهب والفضة ، ونحن إنما نريد المزارع والمراعي ، ولا أرى إلا أن أخرّب أفريقية حتى ييأسوا منها وفرّقت أصحابها ليخرّبوا ا لبلاد فخرّبوها وهدموا الحصون ونهبوا الأموال وهذا هو الخراب الأول لأفريقية ، فلما قرب حسان من البلاد لَقِيهُ جمعٌ من أهلها من الروم يستغيثون من الكاهنة ويشكون اليه منها فسرّه ذلك ، وسار إلى قابس فلقيه أهلها بالأموال والطاعة - وكانوا قبل ذلك يتحصنون من الأمراء -وجعل فيها عاملاً ؛ وسار إلى قَفْصَة ليتقرب الطريق فأطاعه من بها واستولى عليها وعلى قسطيلية ونفزلوة ، وبلغ الكاهنة قدومه ، فاحضرت ولدين لها ، وخالد بن يزيد وقالت لهم : إنني مقتولة فامضوا إلى حسان وخذوا لأنفسكم منه أماناً فساروا اليه وبقوا معه ، وسار حسان نحوها فالتقوا واقتتلوا واشتد القتال وكثر القتل حتى،ظُنَّ أنه الفناء ثم نصر الله المسلمين وانهزم البربر وقتلوا قتلاً ذريعاً وانهزمت الكاهنة ثم ادْرِكَتْ فقُتِلَتْ ، ثم ان البربر استأمنوا إلى حسان فامنهم وشرط عليهم أن يكون منهم عسكر مع المسلمين عُدّتهم اثنا عشر ألفاً يجاهدون العدو فأجابوه إلى ذلك فجعل على هذا العسكر ابني الكاهنة ، ثم فشا الاسلام في البربر ، وعاد حسان إلى القيروان في رمضان من تلك السنة وأقام لا ينازعه أحد الى أن توفي عبد الملك ، فلما ولي الوليد بن عبد الملك ولى افريقية عمه عبدالله بن مروان فعزل عنها حساناً واستعمل موسى بن نصير سنة تسع

وثمانين على ما نذكره إن شاء الله ، وقد ذكر الواقدي أن الكاهنة خرجت غضباً لقتل كسيلة وملكت أفريقية جميعها وعملت باهلها الأفاعيل القبيحةَ وظلمتهم الظلم الشنيع ونال مَنْ بالقيروان من المسلمين أذى شديد بعد قتل زهير بن قيس سنة سبع وستين ، فاستعمل عبد الملك على أفريقية حسان بن النعمان فسار في جيوش كثيرة وقصد الكاهنة فاقتتلوا فانهزم المسلمون وقتل منهم جماعة كثيرة وعاد حسان منهزماً إلى نواحي برقة فأقام بها إلى سنة أربع وسبعين فسير إليه عبد الملك جيشاً كثيفاً وأمره بقَصْدِ الكاهنة فسار اليها وقاتلها فهزمها وقتلها وقتل أولادها وعاد الى القيروان ، وقيل : إنه لما قَتَل الكاهنة عاد من فَوْره إلى عبد الملك واستخلف على أفريقيةِ رجلاً اسمه أبو صالح إليه ينسب فحص صالح (1) .

ذكر عدة حوادث

حج بالناس هذه السنة الحجاج بن يوسف ، وكان على قضاء المدينة عبدالله بن قيس بن مخرمة ، وعلى قضاء الكوفة شريح ، وعلى قضاء البصرةَ هشام بن هبيرة، وقيل : إن عبد الملك اعتمر هذه السنة ولا تصح ، وفيها غزا محمد بن مروان الروم صائفة فبلغ أندولية .

وفيها ماتت جابر بن سمرة السوائي في امارة بشر بن مروان بالكوفة ، وفيِ إمارته أيضاً مات أبو جحيفة بالكوفة ، وفيها ماتت عمرو بن ميمون الأودي ، وقيل سنة خمس وسبعين وكان قد أدرك الجاهلية وهو من المعمرين ، وفيها مات عبدالله بن عتبة بن مسعود وكان من عمال عمر ، وقيل : ماتت سنة ثلاث وسبعين ، وفيها مات عبد الرحمن بن عثمان التيمي وله صحبة ، وفيها مات محمد بن حاطب بن الحرث الجمحي وكان مولده بأرض الحبشة وأتى به النبي صلى الله عليه وسلم ، وفيها مات أبو سعيد بن معلى الأنصاري ، وفيها مات أوس بن ضمعج الكوفي (ضمعج) بم الضاد المعجمة والجيم .

---

(1) الفحص بفتح أوله وسكون ثانيه وآخره صاد مهملة اسم عدة مواضع في المغرب .

في هذه السنة غزا محمد بن مروان الصائفة حين خرجت الروم من قبل مرعش .

ذكر ولاية الحجاج بن يوسف العراق

في هذه السنة ولّى عبد الملك الحجاج بن يوسف العراق دون خراسان وسجستان ؛ فأرسل إليه عبد الملك بعهده على العراق وهو بالمدينة وأمره بالمسير إلى العراق ، فسار في اثني عشر راكباً على النجائب حتى دخل الكوفة حين انتشر النهار فجأة – وقد كان بشر بعث المهلب – الى الخوارجِ فبدأ الحجاج بالمسجد فصعد المنبر وهو مُتلثِم بعمامةِ خزٍ حمراء ، فقال : علي بالناس فحسبوه وأصحابه خارجية فهمّوا به وهو جالس على المنبر ينتظر اجتماعهم ، فاجتمع الناس وهو ساكتٌ قد أطال السكوت فتناول محمد بن عمير حصباء ، وأراد أن يحصبه بها وقال : قاتله الله ما أغباه وأذمّه والله إني لأحسب خبره كرواته ، فلما تكلّم الحجاج جعلت الحصباء تنتثر من يده وهو لا يعقل به ، قال : ثم كشف الحجاج عن وجهه ، وقال :

أنا ابن جلا وطَلّاع الثنايا متى أضَع العمَامَةَ تَعرفوني

أما والله إني لأحْمِلُ الشر مَحمَلهُ وآخذه بفعله (1)وأجزيه بمثله وإني لأرى رؤوساً قد أتنَعتْ وقد حان قِطَافُها إني لأنظُر إلى الدماءِ بين العمَائمِ واللحى قد شمّرت عن ساقها تشميرا :

---

(1) في الطبري " وأحذوه بنعله " .

هذا أوان الحربِ (1) فاشتدي زِيم قد لفّها الليلُ بسواق حطم
ليس براعي إبلٍ ولا غنم ولاَ بجزّارٍ على لحم وَضَمْ (3)

(ثم قال) :

قعد لَفّها الليلُ بعَصْلبيٍّ أرْوَعَ خَراج من الدّوِيِّ مُهاجرٍ ليس
بأعرابى ليس أوان بكرة الخلاط (3) جاءت به والقلص الأعلاط
تهوى هُوِيَّ سائق الغطاط (4)

إني والله يا أهل العراق ما أغمز بتغماز التين ، (5)ولا يقَعْقَعُ لي بالشنان (6)،ولقد فررت عن ذكاء وجريت إلى الغاية القصوى ثم قرأ :{ وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يم تيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعمِ الله فأذاقها الله لباسَ الجوعِ والخوفِ بما كانو يصنعون }(7)وأنتم أولئك وأشباهُ أولئك إن أميرَ المؤمنين عبد الملك نثر كنانته فعجم عيدانها فوجدني أمرّها عوداً واصلبها مكسرا فوجهني إليكم ورمى بي في نحوركم فإنكم أهل بغي وخلاف وشقاق ونفاق فإنكم طالما أوضعتم في الشر وسننتم سنن الغي فاستوثقوا واستقيموا فوالله لأذيقنّكم الهوانَ ولأمرينّكم به حتى تدروا ولألحُونكم لحوَ العودِ ولأعَصُبنّكم عصب المسلمة حتى تذلّوا ولأضربنّكم ضربَ غرائبِ الإبلِ حتى تذروا العصيان وتنقادوا ولأقرعنّكم قرع المروة حتى تلينوا إني والله ما أعِدُ الا وفَيت ولا أخلق إلا فريَت فإياي وهذه الجماعات فلا يركبن رجلٍ إلا وحده ، اقِسمُ بالله لتقبلن على الإنصاف ولتدعنّ الإرجافَ وقيلاً وقالٍ وما تقول وما يقول وأخبرني فلان أو لأدعن لكل رجلٍ منكم شغلاً في جسدِه فيمَ أنتم وذاك ، والله لتستقيمن على الحق أو لأضربمنّكم بالسيفِ ضرباً يدعُ النساء أيامى والولدان يتامى حتى تذروا السمهي وتقلعوا عن هواها ، ألا إنه لو سَاغَ لأهل المعصية معصيتهم ما جيء فيء

---

(1) في الطبري " هذا أوان الشد " .
(2) في الطبري " على ظهر وَضَم " .
(3) في الطبري " يكره الخلاط " .
(4) في الطبري " سابق الغطاط " .
(5) في الطبري " كتغماز التين " .
(6) الشنان جمع شنة وهي القربة البالية .
(7) سورة النحل 112 .

ولا قوتل عدو ولعطلت الثغور ولولا أنهم يغزون كرهاً ما غزوا طوعاً ، وقد بلغني رفضكم المهلب وإقبالكم علي مصركم عاصين مخالفين وإني أقسم بالته لا أجد أحداً من عَسكرِه بعد ثلاثة إلا ضربتُ عُنقَه وأنهبت دارَه .

ثم أمر بكتاب عبد الملك فقُرىء على أهل الكوفة ، فلما قال القارىء : أما بعد سلام عليكم فإني أحمد الله اليكم قال له : إقطع ثم قال : يا عبيد العصا يسلّمُ عليكم أمير المؤمنين فلا يردُّ رادٌ منكم السلام أما والله لأؤدبنّكم غيرَ هذا الأدب ، ثم قال للقارىء : اقرأ فلما قرأ سلامٌ عليكم قالوا بأجمعهم : سلام الله على أمير المؤمنين ورحمة" الله وبركاته ثم دخل منزله لم يزد على ذلك ، ثم دعا العرفاء وقال : ألحقوا الناس بالمهلب واتوني بالبراءة بموافاتهم ولا تغلقَن أبوابَ الجسر ليلاً ولا نهاراً حتى ، تنقضي هذه المدة .

تفسير هذه الخطبة قوله : (أنا ابن جلا) فابن جلا هو الصبح لأنه يجلو الظلمة ، وقوله : (فاشتدي زيم) هو اسم للحرب ، والحطم الذي يحطم كل ما مر به ، والوضم ما وقي به اللحم عن الأرض ، والعصلبي الشديد ، والاعلاط من الابل التي لا أرسان عليها ، وقوله : (فعجم عيدانها) أي عضها واختبرها ، وقوله : (لأعصبنكم عصب السلمة) فالعصب القطع والسلم تجر من العضاة ، وقوله لا أخلق إلا فريت فالخلق التقدير ، ويقال : فريت الأديم إذا أصلحته ، والسمهي الباطل وأصله ما تسميه العامة مخاط الشيطان ، والغُطاط بضم الغين المعجمة وقِل بفتحها ضرب من الطير .

فلما كان اليوم الثالث سمع تكبيراً في السوق فخرج حتى جلس على المنبر فقال : يا أهل العراق وأهل الشقاقِ والنفاق ومساوىء الأخلاق إني سمعت تكبيراً ليس بالتكبير الذي يراد به وجه الله ولكنه التكبيرُ الذي يراد به الترهيب . وقد عرفت أنها عجاجة تحتها قصف ، يا بني اللكيعة ، وعبيد العصا ، وأبناء الأيامى ألا يربع رجل منكم على ظلفه (1) وتحسنُ حَقنَ دمه وتعرف موضع قدمه ، فأقسم بالله لأوشك أن أوقع

---

(1) في الطبري " طلعه " وفسره بالضعف والوهن في شدة السير ، والقصف شدة الريح ، واللكعاء الحمقاء من الاماء .

بكم وقعة تكون نكالاَ لما قبلها وأدباً لما بعدها ، فقام عمير بن ضابىء الحنظلي التيمي فقال : أصلح الله الأمير أنا في هذا البعث وأنا شمِخٌ كبيرٌ عليلٌ وانجي هذا أشبّ مني ، فقال الحجاج : هذا خير لنا من أبيه ، ثم قال : ومن أنت؟ قال : أنا عمير بن ضابىء . قال : أسمعتَ كلامنا بالأمس ؟ قال : نعم ، قال : م لست الذي غزا عثمان بن عفان ؟ قال : بلى ، قال : يا عدو الله أفلا إلى عثمان بعثت بدلا وما حملك على ذلك ؟ قال : إنه حبس أبي وكان شيخاً كبيراً قال : أو لست القائل (ا) :

هَمَمْتُ وَلَم أفعلْ وكِدت وليتني تَرَكتُ على عثمانَ تبكي حَلائِلُهْ ؟

إني لأحسب ان في قتلك صلاح المصرين وأمر به فضُربتْ رقبته وأنهب ماله ، وقيل : ان عنبسة بن سعيد بن العاص قال للحجاج : أتعرف هذا ؟ قال لا ، قال : هذا أحدُ قَتَلَةِ عثمان ، فقال الحجاج : إي عدو الله أفلا إلى أمير المؤمنين بعثت بديلاً ثم أِمر به فضُرِبَتْ عنقه ، وأمر مناديا فنادى ألا إن عمير بن ضابىء أتى بعد ثلاثة وكان سمع النداء فأمرنا بقتله ألا ان ذمة الله بريئة ممن لم يأت الليلة إلى جند المهلب ،. فخرج الناس فازدحموا على الجسر ، وخرج العرفاء الى المهلب وهو برامهرمز فأخذوا كتبه بالموافاة ، فقال المهلمب :قَدِمَ العراق اليوم رجل ذكر اليوم قوتل العدو ، فلما قتل الحجاج عميراً لقي إبراهيم بن عامر الأسدي عبدالله بن الزبير فسأله عن الخبر فقال :

أقولُ لِإبراهيمَ لمّا لَقِيتُهُ أرى الأمرَ أضحى مُنصباً متشَعبا
تَجهَّزْ وأسرعْ فالحقِ الجيشَ لا أرى سوَى الجيش إلا في المهالكِ مذْهبا
تَخَّيَرْ فإما أن تزورَ ابن ضابىءِ عُميراً وإما أن تزورَ المُهلبا
هما خُطتا خسف (2)جَاؤكَ مِنهُما رُكُوبكَ حَوْليّاً من البلج (3)أشهَبَا
فحان ولو كانت خُراسان دوِ نه رآها مَكان السّوقِ أو هيَ أقْربا
فكائن ترى من مُكْرِهِ الغزوِ مُسمر(4)تَحمّمَ حِنوَ السرج حتى تَحَنّبا

(ا) في الطبري " أو ليس يقول أ وهو الصحيح لأن القائل ضابىء لا عمير .
(2) في الطبري " هما خطتا كره " .
(3)في الطبري " من الثلج " .
(4) فى الطري " من مكره العَدْوَ مسمن أ والمعنى يريد سمينا يكره العَدوَ ، والعدو نوعَ من السيرِ .

تحمم أي لزمه حتى صار كالحميم وتحنب أعوجّ ، و(الزَبِير) ههنا بفتح الزاي وكسر الباء ، قيل : وكان قدَوم الحجاج في شهر رمضان فوجه الحكم بن أيوب الثقفي على البصرة أميراً وأمره أن يشتد على خالد بن عبدالله ، فبلغ خالداً الخبر فخرج عن البصرة قبل أن يدخلها الحكم فنزل الجلحاء وشيّعه أهل البصرة فقسّم فيهم ألف ألف ، فكان الحجاج أول من عاقب بالقتل على التخلف عن الوجه الذي يكتب اليه .

قال الشعبي : كان الرجل إذا أخلّ بوجهه الذي يكتب إليه زمن عمر ، وعثمان ،وعلي نزعت عمامته وتقام للناس وتشهر أمره ، فلما وَليَ مصعب قال : ما هذا بشيء وأضاف اليه حلق الرؤوس واللحى ، فلما وَليَ بشر بن مروان زاد فيه فصار يرفع الرجل عن الأرض ويسمّر في يديه مسماران في حائط فربما ماتت وربما خرق المسمار كفه فسلِمَ فقال شاعر :

لولا مخافةُ بِشرٍ أو عقوبتهُ وإن يُنَوّط (1)في كفي مسمارُ
إذاً لعطلت تغري ثم زرتكم إن المحب لمن يهواه زَوارُ

فلما كان الحجاج قال : هذا لعب اضرب عنق من يخل مكانه في الثغر.

ذكر ولاية سعيد بن أسلم السند وقتله

في هذه السنة استعمل عبد الملك على السند سعيد بن أسلم بن زرعة فخرج عليه معاوية ، ومحمد ابنا الحرث العلاقيان فقتلاه وغلبا على البلاد ، فأرسل الحجاج مجاعة بن سعر التميمي إلى السند فغلب على ذلك الثغر وغزا وفتح أماكن من قندابيل ، ومات مجاعة بعد سنة بمكران فقيل فيه :

ما من مشاهدك التي شاهدتها إلا يزيدكَ ذكْرها مجاعا

ذكر وثوب أهل البصرة بالحجاج

في هذه السنة خرج الحجاج من الكوفة إلى البصرة واستخلفَ على الكوفة عروة بن المغيرة بن شعبة ؛ فلما قَدِمَ البصرة خطبهم بمثل خطبتهِ بالكوفة وتوعّد من راه

---

(1) ينوط بضم ففتح فواو مفتوحة مشددة .

منهم بعد ثلاثة ولم يلحق بالمهلب؛ فأتاه شريك بن عمرو اليشكري وكان به فتق وكان أعورَ يضع على عينه قطعة كُرسفة(1) فلُقِبَ ذا الكرسفة فقال : أصلح الله الأمير إن بى فتقاً وقد رآه بشر بن مروان فعذرني وهذا عطائي مردودٌ في بيت المال فأمر به فضُرِبَتْ عنقه فلنم يبقَ بالبصرة أحدٌ من عسكر المهلب إلا لحق به ، فقَال المهلب : لقد أتى العراقَ رجل ذكر ، وتتابع الناس مزدحمين اليه حتى كَثُر جَمعه ، ثم سار الحجاج إلى رستقاباذ(2)- وبينها وبين المهلب ثمانية عشر فرسخاً وإنما أراد أن يشذ ظهر المهلب وأصحابه بمكانه – فقام برستقا خطيباً حين نزلها فقال : يا أهل المصرين هذا المكان والله مكانكم شهراً بعد شهر وسنة بعد سنة حتى يهلك الله عدوكم هؤلاء الخوارج المطلين عليكم ، ثم إنه خطب يوماً فقال : إن الزيادة التي زادكم إياها ابن الزبير إنما هي زيادة مخسر باطل ملحد فاسق منافق ولسنا نُجيزها – وكان مصعب قد زاد الناس في العطاء مائة مائة – فقال عبدالله بن الجارود : إنها ليسطَ بزيادة ابن الزبير إنما هي زيادة أمير المؤمنين عبد الملك قد أنفذها وأجازها على يد أخيه بشر؛ فقال له الحجاج : ما أنت والكلام لتحسنن حمل رأسك أو لأسلبنّك إياه ، فقال : ولمَ ؟ إني لك لناصحٌ وإنّ هذا لقول من ورائي ، فزل الحجاج ومَكثَ أشهراً لا يذكر الزيادة ثم أعاد القول فيها فرد عليه ابن الجارود مثل رده الأول ، فقام مصقلة بن كرب العبدي أبو رقبة بن مصقلة المحَدّث عنه فقال : إنه ليس للرَّعِيّة أن تردّ على راعيها وقد سمعنا ما قال الأمير فسمعاً وطاعةً فيما أحببنا وكرهنا، فقال له عبدالله بن الجارود : يا ابن الجرمقانية ما أنتَ وهذا ومتى كان مثلك يتكلم وتنطق في مثل هذا وأتَى الوجوه عبدالله بن الجارود فصوّبوا رأيه وقوله .

وقال الهذيل بن عمران البرجمي ، وعبدالله بن حكيم بن زياد المجاشعي ، وغيرهما : نحن معك وأعوانك إن هذا الرجل غير كافٍ حتى ينقصنا هذه الزيادة فهلمّ نبايعك على إخراجه من العراق ثم نكتب إلى عبد الملك نسأله أن يولّي علينا غيره فإن أبى خلعناه فإنه هائب لنا ما دامت الخوارج ، فبايعه الناس سراً وأعطوه المواثيقَ على الوفاء وأخذ بعضهم على بعضهم العهودَ ، وبلغ الحجاج ما هم فيه فاحرز بيت المال

---

(1) الكرسفة : صوفة الدواة

(2)في الطبري ومعجم البلدان " رستقباذ " .

واحتاط فيه فلمّا تم لهم أمرهم أظهروه وذلك في ربيع الأخر سنة ست وسبعين ، وأخرج عبدالله بن الجارود عبد القيس على راياتهم وخرج الناس معه حتى لقي الحجاج وليس معه مالاً خاصته وأهل بيته فخرجوا قبل الظهر وقطع ابن الجارود ومن معه الجسر ، وكانت خزائن الحجاج والسلاح من ورائه ، فأرسل الحجاج أعين صاحب حمام أعين بالكوفة إلى ابن الجارود يستدعيه إليه فقال ابن الجارود : ومن الأمير ؟ لا ولا كرامة لابن أبي رغال (ا) ولكن ليخرج عنا مذموماً مدحوراً وإلا قاتلناه ، فقال أعين : فإنه يقول لك : أتطيبُ نفساً بقتلك وقتل أهل بيتكَ وعشيرتك والذي نفسي بيده لئن لم تأتني لأدعن قومك عامة وأهلك خاصة حديثاً للغابرين – وكان الحجاج قد حمّل أعين هذه الرسالة –فقال ابن الجارود : لولا أنك رسول لقتلتك يا ابن الخبيثة وأمر فوجيء في عنقه وأخرج ، واجتمع الناس لابن الجارود فأقبل بهم زحفاً نحو الحجاج وكان رأيهم أن يخرجوه عنهم ولا يقاتلوه ، فلما صاروا إليه نهبوه في فسطاطِه وأخذوا ما قدروا عليه من مَتَاعِه ودوابِه .

وجاء أهل اليمن فأخذوا امرأته ابنة النعمان بن بشير ، وجاءت مضر فأخذوا امرأته الأخرى أم سلمة بنت عبد الرحمن بن عمرو أخي سهيل بن عمرو فخافه السفهاء ، ثم إن القوم انصرفوا عن الحجاج وتركوه فأتاه قومٌ من أهل البصرة فصاروا معه خائفين في محاربة الخليفة ، فجعل الغضبان بن القبعثري الشيباني يقول لابن الجارود : تعش بالجدي قبل أن يتغدى بك ، أما ترى من قد أتاه منكم ، ولئن م صبح ليكثُرن ناصره وليضعُفن منكم ، فقال : قد قَرُبَ المساء ولكننا نُعاجله بالغداة ، وكان مع الحجاج عثمان بن قطن ، وزياد بن عمرو العتكي - وكان زياد على شرطة البصرة - فض ل لهما : ما تَرَيان ؟ فقال زياد : أن آخذ لك من القوم أماناً وتخرج حتى تلحق بأمير المؤمنين لفقد ارفضّ أكثر الناس عنك ولا أرى لك أن تقاتل بمن معك ؟ فقال عثمان بن قطن الحارثي : لكني لا أرى ذلك إن أمير المؤمنين قد شركك في أمره وخَلطكَ بنفسه واستنْصَحَكَ وسلّطك ، فسرت الى ابن الزبير وهو أعظم الناس خطراً فقتلته فولّاك الله شرفَ ذلك وسناه ، وولّاك أمير المؤمنين الحجاز ثم رفعت فولّاك العراقين فحيث جريتَ إلى المدى وأصبتَ الغرضَ الأقصى تخرج على قص ود إلى الشام ، والله لئن

---

(1) أبو رغال كان دليل أبرهة إلى مكة عام الفيل .

فعلت لا نِلْتَ من عبد الملك مثل الذي أنت فيه من سلطان أبداً وليتضعن شأنك ، ولكني أرى أن تمشي بسيوفنا معك فنقاتل حتى نلقى ظفراً أو نموت كراماً ، فقال له الحجاج : الرأي ما رأيت وحفظ هذا لعثمان وحقدها على زياد بن عمرو ، وجاء عامل بن مسمع إلى الحجاج فقال : إني قد أخذت لك أماناً من الناس فجعل الحجاج يرفع صوته ليسمع الناس وتقول : والله لا أؤمنّهم أبداً حتى يأتوا بالهذيل ، وعبدالله بن حكيم ، وأرسل إلى عبيد بن كعب النميري يقول : هلمّ إلي فامنعني فقال : قل له : إن أتيتني مَنعتكَ فقال :لا ولا كرامة ، وبعث إلى محمد بن عمير بن عطارد كذلك فأجابه مثل الجواب الأول ، فقال :لا ناقتي في هذا ولا جملي ، وأرسل إلى عبدالله بن حكيم المجاشعي فأجابه كذلك أيضاً .

ومر عباد بن الحصين الحبطي بابن الجارود وابن الهذيل ، وعبدالله بن حكيم وهم يتناجون فقال : أشركونا في نجواكم :فقالوا :هيهات أن يدخل في نجوانا أحدٌ من بني الحبط فغضب وسار إلى الحجاج في مائة رجل فقال له الحجاج : ما أبالي من تخلف بعدك ، وسعى قتيبة بن مسلم في قومه في يحيى(1)أعصر وقال :لا والله لا نَدعُ قيساً يقتل ولا ينهب ماله -تِعني الحجاج -وأقبل إلى الحجاج -وكان الحجاج قد يئِسِ من الحياة فلما جاءهُ اطمأن ، ثم جاءه سبرة بن علي الكلابي ، وسعيد بن أسلم بن زرعة الكلابي فسلّم فأدناه منه ؛ وأتاه جعفر بن عبد الرحمن بن مخنف الأزدي ، وأرسل إليه مسمع بن مالك بن مسمع إن شئتَ أتيتكَ وإن شئت أقصَ وثبطتُ الناس عنك فقال : أقِمْ وثبّطِ الناس عني ، فلما اجتمع إلى الحجاج جمع يمنع بمثلهم خرج فعبى أصحابه وتلاحق الناس به ، فلما أصبح إذ حوله نحو ستة آلاف ؛ وقيل غير ذلك ، فقال ابن الجارود لعبيد الله بن زياد بن ظبيان : ما الرأي ؟ قال : تركتَ الرأي أمس حين قال لك الغضبان : تعشَّ بالجدي قبل أن يتغدى بك ، وقد ذهب الرأي وبقي الصبر ، فدعا ابن الجارود بدرعٍ فلبِسَها مقلوبةً فتطير ، وحرّض الحجاج أصحابه وقال :لا يهولنّكم ما ترون من كثرتهم ، وتزاحف القوم ، وعلى ميمنة ابن الجارود الهذيل بن عمران ، وعلى ميسرته عبدالله بن زياد بن ظبيان ، وعلى مَيمنةِ الحجاج قتيبة بن مسلم ، وتقال : عباد بن الحصين ، وعلى مَيسرتِه سعيد بن أسلم فحمل ابن الجارود

---

(1)لفظ يحمص هنا لا معنى له .

في أصحابه حتى جاز أصحاب الحجاج فعطف الحجاج عليه ثم اقتتلوا ساعة وكاد ابن الجارود يظفر فأتاه سهم غرب فأصابه فوقع ميتاً ، ونادى منادي الحجاج بأمان الناس إلا الهذيل ، وعبدالله بن حكيم ، وأمر أن لا يتبع المنهزمون وقال : الاتباع من سؤ الغلبة ، فانهزم عبيد الله بن زياد بن ظبيان وأتى سعيد بن عياذ بن الجلندي الأزدي بعمان فقيل لسعيد : إنه رجلٌ فاتكٌ فاحذره ، فلما جاء البطيخ بعت إليه بنصف بطيخة مسمومة وقال : هذا أول شيء جاء من البطيخ وقد أكلت نصف بطيخة وبعثت بنصفها فأكلها عبيد الله فأحس بالشر فقال : أردتُ أن أقتله فقتلني ، وحمل رأس ابن الجارود وثمانية عشر رأساً من وجوه أصحابه الى المهلب فنصبت ليراها الخوارج وتتأسوا الاختلاف .

وحبس الحجاج عبيد بن كعب ، ومحمد بن عمير حيث قالوا للحجاج : تأتينا لنمنعك ، وحبس الغضبان بن القبعثري وقال له : أنت القاتل : تعشّ بالجدي قبل أن يتغدى بك ، فقال : ما نفَعَتْ من قِيلتْ له ولا ضَرتْ من قِيلتْ فيه ، فكتب عبد الملك إلى الحجاج بإطلاقه ، وقُتِل مع ابن الجارود عبدالله بن أنس بن مالك الأنصاري فقال الحجاج : ولا أرى أنساً يعين عليّ فلقا دخل البصرة اخَذ ماله فحينِ دَخَلَ عليه أنس قال لا مرحباً ولا أهلاً بك يا ابن خبيثة شيخ ضلالة جوال في الفتن مرةَ مع أبي تراب ، ومرةً مع ابن الزبير ، ومرة مع ابن الجارود ، أما والله لأجردنّك جَرْدَ القضيب ولأعصبنّكَ عصبَ السلمة ولأقلعنّك قلع الصمغة ، فقال أنس : بس يعني الأمير؟ قال : إياك أعني أصمّ الله صداك ، فرجِعَ أنس فكتب إلى عبد الملك كتاباً يشكو فيه الحجاج وما صنع به ، فكتب عبد الملك إلى الحجاج : أما بعد ، يا ابن أم الحجاج فإنك عبدٌ طَمتْ بك الأمور فعلوتَ فيها حتى عدوت طورك وجاوزتَ قدركَ يا ابن المستفرمة(1) بعجم الزبيب لأغمزنك غمزة كَبعضِ غمزات الليوثِ الثعالبَ ولأخبطنّك خبطةً تود لها أنك رجعت في مخرجك من بطن أمك ، أما تَذْكُرَ حال آبائك في الطائف حيت كانوا ينقلون الحجارة على ظهورهم ، ويحتفرون الآبار بأيديهم في أوديتهم ومياههم ؟ أنسيت سال آبائك في اللؤم والدناءة في 9المروءة والخلق ؟ وقد بلغ أمير المؤمنين

---

(1) المستفرمة بميم فسين مهملة فتاء مثناة من فوق ففاء فراء فميم فهاء وهي التيِ تجعل عجم الزبيب في خرقة ونتحمل بها لقطع رطوبة المكان .

الذي كان منكَ إلى أنس بن مالك جرأةً وإقداماً وأظنك أردت أن تشر ما عند أمير المؤمنين في أمره فتعلم إنكاره ذلك وإغضاءه عنك فإن سوغَكَ ما ئ ن منك مضيت عليه قدماً فعليك لعنة الله من عبدٍ أخفش العينين أصكّ الرجلين ممسوح الجاعرتين ، ولولا أن أمير المؤمنين يظن أن الكاتب كثر في الكتابة عن الشيخ إلى أمير المؤمنين فيك لارسِل من يَسحبُكَ ظهراً لبطن حتى يأتي بك أنساً فيحكم فيك فأكرم أنساً وأهل بيته واعرف له حقه وخدمته رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تقصرن في شيء من حوائِجه ولا يبلغن أمر المؤمنين عنك خلاف ما تقدم فيه إليك مِنْ أمر أنس وبره وإكرامه فيبعث إليك من يضرب ظهرك وَيهْتِك سِتْرَكَ وتشمّت بك عدوك والقه في منزله متنصلاً إليه ، وليكتب إلى أمير المؤمنين برضاه عنك إن شاء الله والسلام .

وبعث بالكتاب مع اسماعيل بن عبدالله مولى بني مخزوم فأتى إسماعيل أنساً بكتاب أمير المؤمنين إليه فقرأه ، وأتى الحجاج بالكتاب إليه فجعل يقرؤه ووجهه يتغير وتتغبّر وجبينه يرشَحُ عرقاً ويقول : يغفر الله لأمير المؤمنين ، ثم اجتمع بأنس فرحبن به الحجاج واعتذر إليه ، وقال : أردت أن يَعلمَ أهل العراق إذ كان من ابنك ما كان ، إذ بلغت منك ما بلغت أني إليهم بالعقوبة أسرع . فقالع أنس : ما شكوتُ حتى بَلغ مني كل الجهد، وحتى زعمت أنا الأشرار وقد سمانا الله الأنصار، وزعمت أنّا أهل النفاق ونحن الذين تبوؤا الدار والايمان ، وسيحكم الله بيننا وبينك فهو أقدر على التغيير لا يشبه الحق عنده الباطل ولا الصدق الكذب ، وزعمت أنك اتخذتني ذريعة وسلماً إلى مساءة أهل العراق باستحلال ما حرم الله عليك مني ولم يكن لي عليك قوةّ فوكلتك إلى الله ثم " إلى أمير المؤمنين فحفظ من حقي ما لم تحفظ ، فوالله لو أن النصارى على كفرهم رأوا رجلاً خدم عيسى بن مريم يوماً واحداً لعرفوا من حقه ما لم تعرف أنت من حقي ، وقد خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين ، وبعد فإن رأينا خيراً حمدنا الله عليه وأثنينا وإن رأينا غير ذلك صبرنا والله المستعان ، ورد عليه الحجاج ما كان أخذ منه .

ذكر شير زنجي والزنج معه

اجتمع ة لزنج بفرات البصرة في آخر أيام مصعب بن الزبير ولم يكونوا بالكثير فأفسدوا وتناولوا الثمار ، وَوَليَ خالد بن عبدالله بن خالد البصرة وقد كثروا فشكا الناس

اليه ما نالهم منهم فجمع لهم جيشاً فلما بلغهم ذلك ، تفرقوا ، وأخذ بعضهم فقتلهم وصلبهم ، فلما كان من أمر ابن الجارود ما ذكرنا خرج الزنج أيضاً فاجتمع منهم خلق كثير بالفرات وجعلوا عليهم رجلًا اسمه رباح وتلقب شير زنجي - يعني أسد الزنج - فأفسدوا ، فلما فرغ الحجاج من ابن الجارود أمر زياد بن عمرو- وهو على شرطة البصرة -أن يرسل اليهم جيشا يقاتلهم ففعل وسير إليهم جيشاً عليه ابنه حفص بن زياد فقاتلهم فقتلوه وهزموا أصحابه ، ثم أرسل إليهم جيشاً آخر فهزم الزنج وقتلهم واستقامت البصرة .

ذكر إجلاء الخوارج عن رامهرمز وقتل ابن مخنف

لما أتى كتائب الحجاج إلى المهلب ، وابن مخنف يأمرهما بمناهضة الخوارج زحفوا إليهم وقاتلوهم شيئاً من قتال فانهزمت الخوارج كأنهم على حامية ولم يكن منهم قتال ، وسار الخوارج حتى نزلوا كازرون وسار المهلب ، وابن مخنف حتى نزلوا بهم ، وخَنْدَقَ المهلب على نفسه وقال لابن مخنف : إن رأيت أن تُخنْدِقَ عليك فافعل ، فقال أصحابه : نحن خندقنا سيوفنا ، فأتى الخوارج المهلب ليبيتوه فوجدوه قد تحرز فمالوا نحو ابن مخنف فوجدوه ولم يخندق فقاتلوه فانهزم عنه أصحابه فقاتل في أناس من أصحابه فقتل وقتلوا حوله فقال شاعرهم :

لمن العسكر المكلّل بالصرعى فَهمْ بين ميتٍ وقتيلِ
فتراهم تَسفي الرياح عليهم حاصب الرمل بعد جرِّ الذيولِ

هذا قول أهل البصرة ، فأما أهل الكوفة ، فإنهم ذكروا أنه لما وصل كتاب الحجاج بمناهضة الخوارج ناهضهم المهلب ، وعبد الرحمن فاقتتلوا قتالاً شديداً ، ومالت الخوارج إلى المهلب فاضطرّوه إلى عسكره فأرسل الى عبد الرحمن يستمدّه فامدّه عبد الرحمن بالخيل والرجال ، وكان ذلك بعد الظهر لعشرٍ بقينَ من رمضان فلما كان بعد العصر ورأت الخوارج ما تجيءُ من عسكر عبد الرحمن من الرجال ظنوا أنه قد خف أصحابه فجعلوا بازاء المهلب من يشغله وانصرفوا بجندهم إلي عبد الرحمن فلما رآهم قد قصدوه نزل ونزل معه القراء منهم أبو الأحوص صاحب ابن مسعود- وخزيمة بن نصر أبو نصر بن خزيمة العبسي ا أرزي قتل مع زيد بن علي وصلب معه بالكوفة ونزل معه من قومه أحد وسبعون رجلاً وحملت عليهم الخوارج فقاتلهم قتالاً

شديداً وانكشف الناس عنه وبقي في عصابة من أهل الصبر تبتوا معه ، وكان ابنه جعفر بن عبد الرحمن فيمَنْ بعثه إلى المهلب فنادى في الناس ليتبعوه إلى أبيه فلم يتبعه إلا ناسُ قليل فجاء حتى دنا من أبيه فحالت الخوارج بينهما فقاتل حتى جرح ، وقاتَل عبد الرحمن ومن معه على نلٍ فشرفٍ ، حتى ذهب نحر من ثلثي الليل ثم قُتِلَ في تلك العصابةً ، فلما أصبحوا جاء المهلب فدفنه فصلى عليه وكتب بذلك الى الحجاج فكتب الحجاج إلى عبد الملك بذلك فترحم عليه وذمّ أهل الكوفة ، وبعث الحجاج إلى عسكر عبد الرحمن عتاب بن ورقاء وأمره أن يسمع للمهلب فساءه ذلك ولم يجد بداً من طاعته ، فجاء إلى العسكر وقاتل الخوارج وأمره إلى المهلب وهو يقضي أموره ولا يكاد يستشير المهلب ، فوضع عليه المهبب رجالاً اصطنعهم وأغراهم به ، منهم بسطام بن مصقلة بن هبيرة ، وجرى بين عتاب والمهلب ذات يوم كلامٌ أغْلَظَ كل منهما لصاحبه ورفع المهلب القضيبَ على عتاب ، فوثب اليه ابنه المغيرة بن المهلب فقبض القضيب وقال : أصلح الله الأمير، شيخٌ من أشياخ العرب وشريفٌ من أشرافهم أن سمعتَ بعض ما في ه فاحتمله له فإنه لذلك أهل ففعل فافترقا ، فأرسل عتاب إلى الحجاج ، يشكو المهلب ويسأله أن يأمره بالعود فوافق ذلك حاجة من الحجاج اليه فيما لقي أشراف الكوفة من سببه (1) فاستقدمه وأمره أن يترك ذلك الجيش مع المهلب فجعل المهلب عليهم ابنه حبيباً ، وقال سراقة بن مرداس البارقي يرثي عبد الرحمن بن مخنف :

ثوى سيد الأزدين أزد شنوءة وازد عمان رهن رمس بكازر
وضارب حتى مات أكرم ميتة بأبيض صاف كالعقيقة باتر
وصرع حول التل تحت لوائه كرام المساعي من كرام المعاشر
قضى نحبه يوم اللقا ابن مخنف وأدبر عنه كل ألوث داثر
أمد ولم يمدد فراح مشمراً إلى الله لم يذهب بأثواب غادر

وأقام المهلب بسابور يقاتلهم نحواً من سنة .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة تحرك صالح بن مسرح أحد بني امرىء القيس بن زيد مناة من

---

(1) في الطبري " من شبيب " .

تميم - وكان يرى رأي الصفرية ، وهو أول من خرج فيهم .

وحج هذه السنة ومعه شبيب بن يزيد ، وسويد ، والبُطين وأشباههم ، وحج في هذه السنة عبد الملك بن مروان فهمّ شبيب أن يَفتُكَ به فبلغه ذلك مِنْ خبرهم فكتب إلى الحجاج بن يوسف بعد انصرافه يأمره بطلبهم -وكان شيخاً صالحاً يأتي الكوفة فيقيم بها الشهر ونحوه فيلقى أصحابه وتعد ما يحتاج اليه - فلما طلبه الحجاج نبت به الكوفة فتركها.

وفيها غزا محمد بن مروان الصائفة عند خروج الروم إلى الغنيق من ناحية مرعش ، وحج بالناس عبد الملك فخطب الناس بالمدينة . فقال - بعد حمد الله والثناء عليه : أما بعد فإني لست بالخليفة المستضعف - يعني عثمان -ولا بالخليفة المُداهِنْ - يعني معاوية - ولا بالخليفة المأفون - يعني يزيد - ألا واني لا أداوي هذه الأمة إلا بالسيف حتى تستقيم لي قناتكم ، وإنكم تحفظون أعمال المهاجرين الأولين ولا تعملون مثل أعمالهم ، وإنكم تأمروننا بتقوى الله وتنسون ذلك من أنفسكم والله لا يأمرني أحد بتقوى الله بعد مقامي هذا إلا ضَرَبتُ عنقه ثم نزل .

وفي هذه السنة مات العرباض بن سارية السلمي وهو من أهل الصفة ، وقيل :

بل مات بالشام في فتنة ابن الزبير ، وفيها توفي الأسود بن يزيد النخعي وهو ابن أخي علقمة بن قيس .